

مكاشفة القلوب

المقرب إلى حضرة علام الغيوب

لحجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

مختصر من المكاشفة الكبرى ،

حقق نصوصه وخرج أحاديثه

أبو عبد الرحمن صلاح محمد محمد عويضة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

نسبه :

هو الإمام الكبير أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي .

مولده :

ولد في طوس ، ونشأ فيها ، وكان حاكماً مقبلاً على طلب العلم وتحصيله ، وأخذ العلم عن جميع من المشايخ منهم إمام الحرمين ، ثم ولاه نظام الملك تدريس مدرسته ببغداد .

تصانيفه :

ألف الإمام الغزالي الكثير من المؤلفات نذكر منها :

(١) « البسيط » في الفروع على « نهاية المطلب » لإمام الحرمين .

(٢) « الوسيط » في الفقه الشافعي .

(٣) « الوجيز » في الفروع .

(٤) « تهافت الفلاسفة » .

(٥) « مقاصد الفلاسفة » .

(٦) « إحياء علوم الدين » .

(٧) « فضائح الباطنية » .

(٨) جواهر القرآن .

وفاته :

توفي - رضى الله عنه - في سنة (٥٠٥ هـ) .

انظر ترجمته في :

(١) العبر ٤ / ١٠ .

(٢) شلوات الذهب ٣ / ٢٩٩ .

(٣) النجوم الزاهرة ٥ / ٧٥ .

كتبه :

أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات وخلق الأرضين والسموات وأنزل الماء من المعصرات وأنشأ الحب والنيات وقدر الأرزاق والأفوات وأثاب على الأعمال الصالحات .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي المعجزات الظاهرات الذي حصل من نوره وجود الكائنات .

وبعد فهذا كتاب اخترته من الكتاب البديع حسن لصنع المسمى بمكاشفة القلوب المقرب إلى حلام الغيوب المنسوب إلى الشيخ الغزالي وقد سميت كأصله بمكاشفة القلوب وأعوذ بالله من الشرك والمنسوب واتصفت فيه على مائة وأحد عشر باباً ليحفظ ما فيها أولو العلم والأكتاب .

باب الأول

في بيان الخوف

جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « أن الله تعالى خلق ملكاً له جناح في المشرق وجناح في المغرب ورأسه تحت العرش ورجلاه تحت الأرض السابعة ، وعليه بعدد خلق الله تعالى ريش ، فإذا صلى رجل أو امرأته من أمتى صلى ، أمره الله تعالى بأن ينحس في بحر من نور تحت العرش لينحس فيه ثم يخرج وينحس جناحه فيقطر من كل ريشة قطرة . فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة »

قال بعض الحكماء : سلامة الجسد في قلة الطعام ، وسلامة الروح في قلة الأثام وسلامة الدين في الصلاة على خير الأنام .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ بمعنى اخشوا الله ﴿ وَتَقَرُّ قُلُوبُكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ لِنَفْسِكُمْ ﴾ يعني ما عملت ليوم القيامة ومعناه تصدقوا واعملوا بالطاعة لتجدوا ثوابها يوم القيامة ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) من الخير والشر ، فإن الملائكة والسماء والأرض والليل والنهار يوم القيامة يشهدون بما عمل ابن آدم من خير أو شر طاعة أو معصية حتى أن جوارحه تشهد عليه والأرض تشهد للمؤمن والزاهد فتقول : صلى على وصام وحج وجهاد فيخرج المؤمن والزاهد وتشهد على الكافر والمعاصي فتقول : أشرك على ظهري وشرب الخمر وأكل الحرام فباياله أن

(١) آية (١٨) سورة الحشر .

ناقشه في الحساب أرحم الراحمين .

المؤمن هو الذي يخاف الله تعالى بجميع جوارحه كما قال الفقيه أبو الليث : علامة خوف الله تظهر في سبعة أشياء :

أولها : لسانه فيستعني من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضل ويجعله مشغولا بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم .

والثاني : قلبه فيخرج منه العداوة والبهتان وحسد الإخوان ، لأن الحسد يمتص الحسنيات كما قال عليه السلام : الحسد يأكل الحسنيات كما تأكل النار الحطب (١) .

واعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة في القلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل .

والثالث : نظره فلا ينظر إلى الحرام من الأكل والشرب والكسوة وغيرها ولا إلى الدنيا بالرغبة ، بل يكون نظره على وجه الاعتبار ولا ينظر إلى ما لا يحل له كما قال عليه السلام : من ملا عينه من الحرام ملا الله تعالى يوم القيامة حينئذ ينظره من النار (٢) .

والرابع : بطنه فلا يدخل بطنه حراما فإنه أثم كبير كما قال عليه السلام : إذا وقعت لقمة من الحرام في بطن ابن آدم لعت كل ملك في الأرض والسماء ما دامت تلك اللقمة في بطنه ، وإن مات على تلك الحالة فمأواه جهنم .

والخامس : يده فلا يمد يده إلى الحرام بل يمدّها إلى ما فيه طاعة الله تعالى .

وروي عن كعب الأحبار أنه قال : أن الله تعالى خلق داراً من زبرجدة خضراء فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت لا يتزلها إلا رجل يعرض عليه الحرام فيتركه من مخافة الله تعالى .

والسادس : قدمه فلا يمشي في معصية الله بل يمشي في طاعته ورضاه وإلى صحبة العلماء والصلحاء .

والسابع : طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله تعالى ويخاف من الرباء والتفاني فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله تعالى في حقهم : ﴿ وَالْآخِرَةُ حِمْزٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) وقال في آية

(١) (ضعيف) أبو داود (٤٩٠٣) ، وضعيف الجامع (٢١٩٧) .

(٢) (موضوع) الفوائد المجموعة ص (٢٠٧) : حديث (٢٧) .

(٣) آية (٣٥) سورة الزخرف .

أخرى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَتُحِيمٍ ﴾ (٢) وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ (٣) كأنه تعالى يقول : أنهم يتجرون يوم القيامة من النار .

ويشفي للمؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء ليرجو رحمة الله ولا ييأس منها كما قال الله تعالى : ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (٤) ويعبد الله ويرجع عن أفعاله السيئة ويحب إلى الله .

حكاية : بينما داود - عليه السلام - جالس في صومته يطر الزبور إذ رأى دودة حمراء في الثراب فقال في نفسه ما أراد الله في هذه الدودة ؟ فأذن الله للدودة حتى تكلمت فقالت : يا نبي الله أما نهاري فأنهمني ربي أن أقول في كل يوم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة ، وأما ليلي فأنهمني ربي أن أقول في كل ليلة اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ألف مرة ، فأنت ما تقول حتى أسفيد منك ، فندم داود - عليه السلام - على احتقار الدودة وخاف من الله تعالى وثاب إليه وتوكل عليه .

وكان إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - إذا ذكر خطيئته يفضي عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فأرسل الله إليه جبريل فقال له الجبار بقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلي يخالف خليله فقال يا جبريل إذا ذكرت خطيئتي وفكرت في عقوقه نسبت تخليتي .

فهذه أحوال الأنبياء والأولياء والصالحين والزهادين فتأمل ؟ .

الباب الثاني

في الخوف من الله تعالى أيضا

قال أبو الليث - رحمه الله تعالى - : أن لله ملائكة في السماء السابعة سجدا منذ خلقهم الله تعالى إلى يوم القيامة ترتعد فراسخهم من مخافة الله تعالى ، وإذا كانوا يوم القيامة رفعوا رؤوسهم فقالوا سبحانك ما هيبتك حقيق هيبتك وذلك قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (٥) يعني لا يعصون الله تعالى طرفة عين . وقال رسول الله ﷺ : إذا اقتسم جسد العبد من خشية الله تعالى تحانت عنه ذنبه كما يتحانت عن الشجرة ورقها .

حكى أن رجلا تعلق قلبه بامرأة فخرجت تلك المرأة إلى حاجة لها فذهب الرجل معها فلما

(٢) آية (١٧) سورة الطور .

(٤) آية (٥٣) سورة الزمر .

(١) آية (٤٥) سورة الحجر .

(٣) آية (٥١) سورة الدخان .

(٥) آية (٥٠) سورة النحل .

خلا بها في البادية وتام الناس أفشى الرجل سره إليها فقالت له المرأة : انظر أنام الناس بأجمعهم قفرح الرجل بقولها وظن أنها قد أجابته فقام وطاف حول القافلة فإذا الناس نيام فرجع إليها وقال لها نعم هم نيام فقالت : ما تقول في الله تعالى أنائم في هذه الساحة فقال الرجل إن الله تعالى لا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم فقالت المرأة : إن الذي لم ينم ولا ينام يرانا وإن كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف منه ، فتركها الرجل خوفاً من الخالق ، وقاب ورجع إلى وطنه ، فلما مات رآوه في المنام فقبل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بخوفي وتركى ذلك اللئب .

حكاية : كان في بني اسرائيل رجل عابد ذو عيال وأصابته للجاعة وصار مضطراً فبعث امرأته لتطلب شيئا لعيالها فجاءت إلى بيت رجل تاجر وطلبت منه ما تقوت به عيالها فقال الرجل : نعم ولكن مكينني من نفسك فسكتت المرأة وصادت إلى بيتها فنظرت إلى عيالها يصيحون ويقولون يا أمي نحن نموت من الجوع أعطنا ما نأكله فذهبت إلى الرجل وكلمته في أمر عيالها فقال لها : أنتكون حاجتي مقضية فقالت : نعم فلما خلا بها ارتعدت مفاسلها حتى كادت أعضاها تزول عن مواضعها فقال لها : مالك ؟ فقالت إني أعرف الله فقال الرجل إنك تخافين الله تعالى مع ما بك من الفقر فأنا أحق بالخوف منك ، وامتنع عنها وقضى حاجتها وانصرفت بنعمة كثيرة إلى أولادها ففرحوا فأوحى الله إلى - موسى عليه السلام - أن قل لفلان ابن فلان أنى قد غفرت ذنوبه ، فجاء موسى - عليه السلام - فقال لملك قد فعلت خيرا بينك وبين الله ، فذكر القصة عليه ، فقال إن الله تعالى قد غفر لك ما كان من ذنوبك . . كذا في مجمع اللطائف .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى : « لا أجمع على عبيد خوفين ولا أمنين ، من غافني في الدنيا أمته في الآخرة ، ومن آمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة » (١) قال الله تعالى ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخَشَوْا اللَّهَ ﴾ (٢) وقال في آية أخرى ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَخَشَوْا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)

وكان عمر - رضي الله عنه - يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه وأخذ يوماً تينة فقال يا ليتني كنت تينة ولم أك شيئا مذكوراً ، يا ليتني لم تلدن أمي ، ويكي كثيرا حتى تجري دموعه من عينيه ، فكان في وجهه خطان أسودان من الدموع ، وقال ﷺ « لا يبلج النار من يكي من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع » .

وفي رقائق الأخبار : يؤتى بعيد يوم القيامة فتخرج سيئاته فيؤمر به إلى النار فتتكلم شمعة من شمعات عينيه وتقول : يا رب رسولك محمد ﷺ قال : « من يكي من خشية الله حرم الله تلك العين على النار وإن يكيك من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شمعة واحدة

كنت يكيك من خشيتك فيغفر الله له ويستخلصه من النار ببركة شمعة واحدة كانت يكيك من خشية الله في الدنيا ، وينادي جبريل - عليه السلام - لجأ فلان ابن فلان بشمعة واحدة » .

وفي بداية الهداية : إذا كان يوم القيامة جيء بهم ترفرف زفرة فتجثو كل أمة على ركبها من هولها كما قال الله تعالى : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثية ﴾ (١) أي على الركب « كل أمة تدعى إلى كتابها » فإذا أتوا النار سمعوا لها تغيظا وزفيرا تسمع زفرتها من مسيرة خمسمائة عام ، وكل واحد حتى الأنبياء يقول : نفسي نفسي إلا صفى الأنبياء ﷺ فإنه يقول : أمتى أمتى ، وتخرج من الجحيم نار مثل الجبال فتجهد أمة محمد ﷺ في دفعها وتقول يا نار بحق المسلمين وبحق المصدقين وبحق الخاشعين وبحق الصائمين أن ترجعي فلا ترجعي وينادي جبريل - عليه السلام - أن النار قصدت أمة محمد ﷺ ثم يأتي بقدر من ماء فيأوله رسول الله ﷺ ويقول : يا رسول الله خذ هذا فرشه عليها فرشه عليها فتطفا في الحال فيقول ﷺ ما هذا فيقول : جبريل - عليه السلام - هذا ماء دموع عصاة أمك الذين بكوا من خشية الله تعالى فالآن أمرت أن أعطيكه لترشه على النار فتطفا النار باذن الله تعالى .

وكان ﷺ يقول : « اللهم ارزقني عيتين تبكيان من خشيتك قبل أن لا يكون الدمع » (٢)

أعني هلا تبكيان على ذنبي تنثر عمري من يدي ولا أدرى

حكى عن محمد بن المنذر - رحمه الله تعالى - أنه كان إذا بكى يمسح وجهه وحيته بدموعه ويقول بلغني أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع ، فينبغي للمؤمن أن يخاف من عذاب الله وينهى نفسه عن الشهوات الغسائية كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) ﴾ (٣) ومن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه ورحمته فليصبر على شدائد الدنيا وطاعة الله ويجتنب المعاصي .

وفي زهر الرياض : روى عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة تتلقاهم الملائكة بكل خير ونعمة فتوضع لهم المناير وتقرش ويؤتى لهم بالوان الأطعمة والفواكه وتكون فيهم مع هذه النعمة حيرة فيقول الله : « يا عبادي ما هذه الحيرة وليست هذه حيرة » ؟ فيقولون : إن لنا موعدا قد جاء وقته . فيقول الله تعالى : « إرفعوا الحجب عن الوجوه » فتقول الملائكة : يا ربنا كيف يرونك وقد كانوا عصاة ؟ فيقول الله تعالى : « إرفعوا الحجب فانهم كانوا ذاكرين

(١) آية (٢٨) سورة الحاقة .

(٢) (ضعيف) حلية الأولياء ١٩٦ / ٢ - ١٩٧ ، وضعيف الجامع (١١٧٣) ، والضعيفة (٢٩٠٥) .

(٣) آية (٣٧ - ٤١) سورة النازعات .

(٢) آية (٤٤) سورة المائدة .

(١) إتحاف السادة المطيعين ١٠ / ٢٧٧ ،

(٣) آية (١٧٥) سورة آل عمران .

ساجدين باكين في الدنيا طمعا في لقاءه فترفع الحجب فينظرون فيخرون سجد لله - عز وجل - فيقول الله تعالى : « أرفعوا رؤوسكم فإن هذه ليست بدار العمل بل دار الكرامة » فينجلى لهم بلا كيف ويقول لهم أنبساطا : « سلام عليكم عبادي فقد رخصت عنكم فهل رخصتم عنى » فيقولون وما لنا يا ربنا لا نرخص وقد أعطيتنا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهو قوله تعالى : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ »^(١) وقوله تعالى « سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ »^(٢)

الباب الثالث

فى الصبر والعزم

من أراد أن يتنجو من عذاب الله ويثاب ثوابه ورحمته ويدخل جنته فليته نفسه عن شهوات الدنيا وليصبر على شدائد ما ومصائبها ، كما قال الله تعالى : « وَاللَّهُ يَجِبُ الْعَاصِرِينَ »^(٣) والصبر على أوجه : صبر على طاعة الله ، وصبر عن محارمه ، وصبر على المصيبة وعند الصدمة الأولى

فمن صبر على طاعة الله تعالى أعطاه الله تعالى يوم القيامة ثلثمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين السماء والأرض ، ومن صبر عن محارم الله أعطاه الله تعالى يوم القيامة ستمائة درجة كل درجة مثل ما بين السماء السابعة والأرض السابعة ، ومن صبر على المصيبة أعطاه الله تعالى يوم القيامة سبعمائة درجة في الجنة كل درجة ما بين العرش إلى الثرى .

روى عن النبي ﷺ أنه قال : يقول الله تعالى : « ما من عبد نزلت به بلية فاحتصم بي إلا أعطيت قبل أن يسألني وأستجب له قبل أن يدعوني ، وما من عبد نزلت به بلية فاحتصم بمخلوق دوني إلا أغلقت أبواب السماء عنه » فيجب على العاقل أن يصبر للبلاء ولا يشكو فينجو من عذاب الدنيا والآخرة ، لأن أشد البلاء على الأنبياء والأولياء .

قال ابن القيم البغدادي - رحمه الله - : البلاء مرآة العارفين وقيظة المؤمنين وصلاح المؤمنين وهلاك الغافلين ، لا يجد أحد حلالة الإيمان حتى يأتيه البلاء ويرضى ويصبر .

وقال ﷺ : « من مرض ليلة فصبر ورضى عن الله خرج من قنوبه كيوم ولدته أمه ، فإذا مرضتم فلا تنتموا العافية »^(٤) .

قال الضمكلى من لم يتل بين كل أربعين ليلة يلبه أو هم أو مصيبة فليس له عند الله خير .

(١) آية (١١٩) - سورة المائدة

(٢) آية (٥٨) - سورة يس

(٣) آية (١٤٦) - سورة آل عمران

(٤) تزيه الشريعة ٢ / ٣٥٦ ينجو -

وعن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال : إذا ابتلى العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال ارفع القلم عنه وقال لصاحب اليمين اكتب لعبدى أحسن ما كان يعمل .

وجاء في الخبر عن النبي ﷺ : « إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكا فقال انظروا ما يقول عبدى فإن هو قال الحمد لله رفع ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على إن أنا توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شقته أن أبده لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وأن أكفر عنه سيئاته »^(١) .

حكى أنه كان في بني إسرائيل رجل فاسق وكان لا يمتنع عن الفسق حتى ضج أهل بلده وعجزوا عن منعه من فسقه فتضرعوا إلى الله تعالى فأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - أن في بني إسرائيل شابا فاسقا ، فأخرجه من بلدهم حتى لا تقع عليهم النار بسبب فسقه ، فجاء موسى - عليه السلام - فأخرجه فذهب الشاب إلى قرية من القرى فأمر الله موسى أن يخرج من تلك القرية فأخرجه موسى - عليه السلام - فخرج إلى مقبرة ليس فيها خلق ولا ذرع ولا وحوش ولا طيور فمرض في تلك المقبرة وليس عنده معين يعينه فوقع على التراب ووضع رأسه عليه وقال لو كانت والدتي عند رأسى لرحمتنى ولبكت على ملكتى ، ولو كان والدى حاضرا لأعانتى وتولى أمرى ، ولو كانت زوجتى حاضرة لبكت على فرأتى ، ولو كان أولادى حاضرين عندى ليكوا خلف جذتى ولقالوا اللهم أغفر لوالدنا الغريب الضعيف المعاصى الفاسق المظروء من بلده إلى قرية ومن القرية إلى مقبرة ومن المقبرة يخرج من الدنيا إلى الآخرة أيسا من كل الأشياء .

اللهي قطعنى عن والدى وأولادى وزوجتى فلا تقطعننى من رحمتك فإنك أحرفت قلبى بفراقهم فلا تحرقنى بترك لأجل معصيتى ، فأرسل الله تعالى له حوراء على صفة أمه وحوراء على صفة زوجته وخمسا على صفة أولاده ، وملكا على صفة والده فجلسوا عنده وبكوا عليه فقال : إن هذا والدى ووالدتى وزوجتى وأولادى حضروا عندى وطاب قلبه ، ووصل إلى رحمة الله تعالى طاهرا مقفورا له ، فأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - إذهب إلى مقبرة كل موضع كذا فإنه مات ولى من الأولياء فأحضره وتول أمره ووارده ، فلما حضر موسى - عليه السلام - ذلك الموضع رأى الشاب الذى كان أخرجه من البلد ومن القرية بأمر الله تعالى ورأى الحور المعين حوايه فقال موسى - عليه السلام - : يا رب أما هذا الشاب الذى أخرجته من البلد ومن القرية بأمرى ؟ فقال الله تعالى يا موسى إنى رحمته ونجوت عنه بآيته فى موضعه وفراقه وطنه ووالدته ووالده وأولاده وزوجته أرسلت إليه حوراء على صفة والدته وملكا على صفة والده وحوراء على صفة زوجته يترحمون على مثله فى غربته فإنه إذا مات الغريب بكى عليه أهل السموات وأهل الأرض ورحمة له ، فكيف لا أرحمه وأنا أرحم الراحمين ١٩ .

(١) الموطأ ص (٧١٧) : حديث (٥) .

إذا وقع الغريب في النزاع يقول الله تعالى : يا ملائكتي هذا ضرب مسافر ترك أولاده وحياله ووالديه وإذا مات لا يبكي عليه أحد ولا يحزن ثم يجعل الله واحداً من الملائكة على صورة أبيه وواحداً على صورة أمه وواحداً على صورة ولده وواحداً على صورة واحد من أقاربه فيدخلون عليه فيفتح عينه فيرى والده وحياله فيطيب قلبه وتخرج روحه مع الفرح والسرور .

ثم إذا خرجت جنازة يشيعونها ويدعون له : لي قبره إلى يوم القيامة فذلك قوله تعالى : ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ (١)

وقال ابن عطاء : يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات البلاء والرخاء فمن شكر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين ولو اجتمع في رجل علم الثقلين ثم هاجت عليه رياح البلاء فأظهر الشكوى لما نزل به لا ينفعه علم ولا عمله كما جاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى : « من لم يرخصي بقضائي ولم يشكر لمطالي فليرطب ربا سوائي » (٢) .

حكى وهب بن منبه أن نبيا عبد الله خمسين عاما فأوحى الله إليه أتى قد غفرت لك ، فقال يا رب لماذا تغفرت لي ولم أذنّب قط ؟ فأمر الله علقه بضرب عليه ولم يتم تلك الليلة فجاء ملك الصبح فشكا إليه ما لقى من ضربان العرق فقال إن ربك يقول لك عبادة خمسين عاما ما تعدل شكوى هذا العرق .

الباب الرابع

في الرياضة والشهوة النفسانية

أوحى الله إلى موسى - عليه السلام - : يا موسى إن أردت أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن وسوسة قلبك إلى قلبك ومن ريحك إلى بطنك ومن نور بصرك إلى عينيك ومن سمعك إلى أذنك فأكثر من الصلاة على محمد ﷺ . قال تعالى : « ولتنظر نفس ما قدمت لقد » يعني ما عملت في يوم القيامة .

اعلم أيها الإنسان أن النفس الأمارة بالسوء هي أهدى لك من إبليس وإنما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس ، وشهواتها فلا تغترنك نفسك بالأماني والفروور ، لأن من طبع النفس الأمن والغفلة والراحة والفتنة والكسل فدعواها باطل وكل شيء منها ضرور وإن وضيت عنها وأتيت أمرها هلكت وإن غفلت عن محاسبتها فرقت وإن عجزت عن مخالفتها وأتيت هواها قادتك إلى النار .

(١) آية (١٩) سورة الشورى .

(٢) (ضعيف) تحف السادة المتقين ٩ / ٦٥١ ، وضعيف الجامع (٥٨٤٢) .

وليس للنفس مرجع إلى الخير هي رأس البلاء ومعدن الفضيحة وهي خزانة إبليس وماوى كل شر لا يعرفها إلا خالقتها ﴿ واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ يعني من الخير والشر .

وإذا تفكر العبد فيما مضى من عمره في طلب آخرته كان هذا التفكير غسل القلب كما قال ﷺ : تفكر ساعة خير من عبادة سنة (١) كلما في تفسير أبي النيث .

فينبغي للمعاقل أن يتوب من الذنوب الماضية ويتفكر فيما يقربه وينجيه في الدار الآخرة ، ويقتصر الأمل ويجعل التوبة ويذكر الله تعالى ، ويترك المناهي ويهجر نفسه ولا يتبع الشهوات النفسانية فالنفس صتم ، فمن عهد النفس بعهد الصمت ومن عهد الله بالإخلاص فهو الذي تهرقه .

وروى أن مالك بن دينار كان يمشى في سوق البصرة فرأى التين فاشتتهاه فخلع ثقله وأعطاه إلى البقال وقال أعطني التين فرأى البقال النمل وقال لا يساوي شيئاً فمضى مالك ، فقيل للبقال أليس تعرف من هذا ؟ قال لا قيل هو مالك بن دينار فحمل البقال الطبق على رأس غلامه وقال له إقبل هذا مني فأبى فقال إقبل فإن فيه تحميري فقال له مالك بن دينار : إن كان فيه تحميري ففيه تعذبي ، فألح الغلام عليه فقال مالك بن دينار حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا أكل التين إلى يوم الدين .

حكى أن مالك بن دينار مر من مرقه الذي مات فيه فاشتتهى قدحاً من العسل والمين ليشرده فيه رغيفاً حاراً فمضى الخادم وحمله إليه فأخذه مالك بن دينار ونظر فيه ساعة وقال يا نفس قد صبرت ثلاثين سنة وقد بقي من عمرك ساعة ورمى القدح عن يده وهجر نفسه ومات . . وهكذا أحوال الأنبياء والأولياء والصادقين والعاشقين والزاهدين .

قال سليمان بن داود - عليه السلام - أن القاهر نفس أشد من فتح المدينة وحده .

وقال علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - : ما أنا ونفسي إلا كراهي غم كلما هجمها من جانب انتشرت من جانب آخر ، من أمانت نفسه يلف في كفن الرحمة ، ويلفن في أرض الكرامة ، ومن أمانت قلبه يلف في كفن اللعة ويلفن في أرض العقوبة .

قال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله تعالى - : جاهد نفسك بالطاعة والرياضة فالرياضة هجر المنام وقلة الكلام ، وحمل الأذى من الأنام والفلة من الطعام ، ليتولد من قلة المنام صفو الإرادات ، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات ، ومن قلة الطعام موت الشهوات لأن في كثرة الأكل قسوة القلب وقهاب نوره ، نور الحكمة المجموع و

(١) (موضوع) تذكرة الموضوعات (١٨٨) ، وضعيف الجامع (٣٩٨٨) .

الشيخ يبعد من الله كما قال ﷺ : « نوروا قلوبكم بالجوع وجاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش وأديموا قعر باب الجنة بالجوع فإن الأجر في ذلك كأجر للجاهد في سبيل الله ، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش ولن يبلغ ملكوت السماء من ملاطفته وفقد حلوة العبادات » .

قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : ما شبت منذ أسلمت لأجد حلوة عبادة ربي ، وما رويت منذ أسلمت اشتياقا إلى لقاء ربي ، لأن في كثرة الأكل قلة العبادة ، لأنه إذا أكثر الإنسان الأكل ثقل بطنه وغلبت عيناه وفترت أعضاؤه فلا يبقى منه شيء وإن اجتهد إلا النوم فيكون كالجيفة الملقاة - كذا في منهاج العابدين .

عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه : لا تكثر النوم والأكل فإن من أكثر منهما جاء يوم القيامة مفلسا من الأعمال الصالحة . . كذا في منية الفنى .

وقال ﷺ : « لا تختار القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب يموت كالزروع إذا كثرت عليه الماء » . (١)

ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بأن المعدة كالقدر تحت القلب تغلى البخار يصل إليه فكترة البخار تكدره وتسوده وفي كثرة الأكل قلة الفهم والعلم فإن البطنة تلعب القطنة .

حكى عن يحيى بن زكريا - عليه السلام - أن إبليس بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي أصيد بها بني آدم قال يحيى : هل تجد لى فيها شيئا قال : لا إلا أنك شبت ذات ليلة فظننتك من الصلاة ، قال يحيى - عليه السلام - : لا جرم أنى لا أشبع أبدا . فقال إبليس لا جرم أنى لا أنصح أحدا أبدا . فهذه فيمن لم يشبع فى صومه إلا ليلة فكيف بمن لا يجوع فى صومه ليلة ثم يطعم فى العبادة .

حكى أيضا عن يحيى بن زكريا - عليه السلام - أنه شبع مرة من غبى شعير فنام تلك الليلة حين وده فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى هل وجدت فارا هي خير لك من طارى أو وجدت جوارا هو خير لك من جوارى ، وهزنى وجلالى لراطلعت على الفردوس واطلعت على جهنم لبيت الصديد بدل الدمع وللبست الحديد بدل السروج .

(١) (الصيغة (٧٢١) ، وتذكره للوضوحات (١٥١) .

الباب الخامس

فى غلبة النفس وعداوة الشيطان

ينبغى للعاقل أن يقمع شهوة النفس بالجسوع إذا الجسوع نهر لعدو الله ، قال ﷺ : الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم قضيقوا مجاريه بالجوع ^(١) ، إن أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه ، وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم وسواء من دار القرار إلى دار الدل والانتقار ، إذ نهاهما عن أكل الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا فبدت لهما سوراتهما . والبطن على التحقير ينبرع الشهوات .

وقال بعض الحكماء : من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هفواتها ، ومنعت قلبه من القرائد ، من سقى أرض الجوارح بالشهوات فقد خرص فى قلبه شجرة الندامة .

إن الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة ، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل ، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة ، فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه ، ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة .

حكاية : قال إبراهيم الخواص : كنت فى جبل للكمام فرأيت زمنا فاشتبهته فأنزلت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد أجمعت عليه الزنا بغير فقلت : السلام عليك فقال لى : عليك السلام يا إبراهيم ، فقلت : من أين عرفتنى فقال : من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك مع الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من هذه الزنا بغير ؟ فقال لى إرى لك من الله حالا فهلا سألته أن ينجيك من شهوة الرمان فإن الرمان يجد الإنسان آله فى الآخرة ولذع الزنا بغير يجد آله فى الدنيا ، ولذع الزنا بغير على النفوس ولذع الشهوات على القلوب . . فمضيت وتركته .

الشهوة تصير الملوك عبدا ، والصغير يصير العميد ملوكا ، ألا ترى إلى قصة يوسف - عليه السلام - وزليخا ، فقد صار يوسف سلطان مصر بصبره ، وصارت زليخا ذليلة فقيرة عجزوا عماه لأجل شهواتها ، فإن زليخا لم تصبر عن محبة يوسف .

حكى : أبو الحسن الرازى أنه رأى والده فى منام بعد موته يستين وعليه ثياب من القفطان فقال يا أبى ما لى أرى عليك هيئة أهل النار فقال يا والدى جذبتنى نفسى إلى النار فأحذر يا ولدى من خديعة نفسك .

(١) (صحيح) أحمد ٣/ ٣٠٩ وصحيح الخليل (١٦٥٨) .

إني ابتليت بإربع : ماسلطان •• إلا لشدة شغوتي وعناي :

إليس والدنيا ونفسي والهوى •• كيف اخلاص وكلهم أعدائي

وأرى الهوى تدعو إليهِ خواطري •• في ظلمة الشهوات والآراء

قال حاتم الأصم رحمه الله : نفسي وباطني ، وعلمي وسلاحي ، وفنبي وخبيثي والشرطيان عدوي ، وأنا بنفسي غادر .

حكى عن بعض أهل المعرفة أنه قال : الجهاد على ثلاثة أصناف : جهاد مع الكفار وهو جهاد الظاهر كالذي في قوله تعالى : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) وجهاد مع أصحاب الباطل بالعلم والحجة كقوله تعالى : ﴿ وَجَاهِدْنَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) وجهاد مع النفس الأمار بالسوء كالذي في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٣) وقوله ﴿ أَفْضَلُ الْجِهَادِ جِهَادُ النَّفْسِ ﴾ .

إن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا إذا رجعوا من جهاد الكفار يقولون رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . وإنما سموا الجهاد مع الهوى والنفس والشرطيان أكبر لأن الجهاد معهما أديم وجهاد الكفار يكون في وقت دون وقت ، لأن الغازي يرى العدو ولا يرى الشيطان ، والجهاد مع عدو يراه أسهل من الجهاد مع عدو لا يراه ، ولأن للشيطان معينا من نفسه وهو الهوى ، وليس للكافر من نفسه معين ، فلذلك كان أشد ، ولأنك إذا قتلت الكافر تجد النصر والخيمة وإن قتلت الكافر تجد الشهادة والجنة . ولا تهذر أن تقتل الشيطان ، وأن تقتل الشيطان في عقوبة الرحمن . كما قيل من فر منه فرسه في الحرب يقع في أيدي الكفار ، ومن فر منه الإيمان يقع في غضب الجبار تعود بالله منه ، ومن وقع في أيدي الكفار لا تغل يده إلى عتقه ولا تقيد رجله ولا يجمع بطنه ولا يهرى يده ، ومن وقع في غضب الجبار يسود وجهه وتغل يده إلى عتقه بالأغلال وتقيد رجله بقيود النار ، ويكون طعامه نارا وشرابه نارا ولباسه من نار .

الباب السادس

في الغفلة

الغفلة تزيد الحسرة ، الغفلة تزيد النعمة ، وتحجب عن الخدمة ، الغفلة تزيد الجسد ، الغفلة تزيد الملازمة والتدامة .

(١) آية (٥٤) سورة المائدة .

(٢) آية (١٢٥) سورة النحل .

(٣) آية (٦٩) سورة العنكبوت .

حكى أن بعض الصالحين رأى أستاذه في المنام فسأله أي الحسرة أعظم عندكم فقال حسرة الغفلة . وروى أن بعضهم رأى ذا النون المصري في منامه فقال له ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه وقال لي يا مدح يا كذاب ادعيت محبتي ثم غفلت عني .

أنت في غفلة وقلبك ساهي •• ذهب العمر والذنوب كسماهي

حكى أن رجلا من الصالحين رأى والده في منامه فقال يا بئيت كيف أنت وكيف حالك فقال له يا ولدي عشا في الدنيا فافلين ومتا خافلين .

وفي زهر الرياض كان يعقوب - عليه السلام - مؤاخيا لملك الموت فزاره فقال له يعقوب يا ملك الموت أزارا جئت أم قابضا روحى ، فقال بل زارنا قال فإني أسألك حاجه قال : وما هي قال : أن تعلمني إذا دنا أجلي وأردت أن تقبض روحى فقال نعم أرسل إليك رسولين أو ثلاثة ، فلما انقضى أجله أتى إليه ملك الموت فقال أزارا جئت أم لقبض روحى فقال لقبض روحك فقال أولست كنت أخبرني أنك ترسل إلى رسولين أو ثلاثة قال قد فعلت بياض شعرك بعد سواده . وضعف بدنك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ، هذ ، ولسي يا يعقوب إلى بنى آدم قبل الموت .

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل •• وجاء رسول الموت والقلب خافل

نسيمك في الدنيا ضرور وحسرتا •• وعيشك في الدنيا محال وباطل

قال أبو علي الدقاق دخلت على رجل صالح أحوده وهو مريض وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه وهو يبكي وقد بلغ أوزل العمر فقلت له أيها الشيخ م بكاؤك أعلى الدنيا ؟ فقال : كلا بل أبكي على فوت صلاتي ، قلت : وكيف ذلك وقد كنت مصليا ؟ قال لأنني قد بقيت يومي هذا وما سجدت إلا في غفلة ولا رفعت رأسي إلا في غفلة وما أنا أموت على الغفلة ثم أنه تنفس الصعداء وأشد يقول :

تفكرت في حشرى ويوم قيامتي •• وأصباح غصدي في المقابر ثاوي

فسريدا وحيدا بعد عز ورفعة •• رهيبا بجرمي والتراب وساديا

تفكرت في طول الحساب وعرضه •• وذلل مقامى حين أعطى كتابيا

ولكن رجائي فيك ربي وخالقي •• بأنك تغفروا إلي الهوى خطايا

وفي حيون الأخبار ذكر عن شقيق البلخي أنه قال : الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد تألفوها في أعمالهم : يقولون نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحرار وهذا خلاف قولهم . ويقولون

أن الله كثير بأرزقانا ولا تطمن قلوبهم إلا بالدنيا ، وجمع حطامها : وهذا أيضا خلاف قولهم .
ويقولون لا بد لنا من الموت وهم يعملون أعمالا من لا يموت وهذا أيضا خلاف قولهم .

فانظر لنفسك يا أخي بأي بدنة ثقف بين يدي الله تعالى وبأي لسان لمحبيه ، وماذا تقول إذا سألك عن القليل والكثير ، فأعد للسؤال جوابا وللجواب جوابا ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون أي من الخير والشر ، ثم وعظ المؤمنين بأن لا يتركوا أمره وبأن يؤخروه في السر والعلانية جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعني ومحب من أحبني ومحبب من دهاني وغافر لمن استغفرني » (١) ، فينبغي للماعقل أن يطيع الله بالخوف والإخلاص في طاعته والرضا بقضائه والصبر على بلائه والشكر على نعمائه والقناعة بإعطائه يقول الله تعالى : من لم يرخص بخصائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكر على نعماتي ولم يتق بعبائي فليطلب ربا سواي (٢) .

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله : إني لا أجد للطاعة لذة فقال له لعلك نظرت في وجه من لا يخاف الله .

المعبودية أن تترك الأشياء كلها لله .

وقال رجل لأبي يزيد رحمه الله إني لا أجد للطاعة لذة فقال لأنك تعبد الطاعة ولا تعبد الله أعبد الله حتى تجد للطاعة لذة .

حكى أن رجلا دخل في الصلاة فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ (٣) خطر بباله أنه عابد لله في الحقيقة فردى في السر كذبت إنما تعبد الخلق فتأب واعتزل الناس ، ثم شرع في الصلاة فأنهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي كذبت إنما تعبد مالك فتصدق بمالك كله ، ثم شرع في الصلاة فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي كذبت إنما تعبد ثيابك فتصدق بها إلا ما لا بد له منه ، ثم شرع فيها فلما انتهى إلى قوله ﴿ إياك نعبد ﴾ نودي الآن صدقت إنما تعبد ربك .

وفي وثوق المجالس : ضاع لرجل جوائق فلم يدوم من أعطاه منه فلما دخل في الصلاة تذكره فلما سلم قال لفلانم اذهب إلى فلان ابن فلان واسترد منه الجوائق فقال له الفلام متى ذكرته فقال حين كنت في الصلاة فقال يا مولاي كنت طالب الجوائق لا طالب الخالق ، فأعطاه مولاه بركة اعتقاده .

وينبغي للماعقل أن يشترك الدنيا ويعبد الله ويشكر أماله ويريد الآخرة ، كما قال الله

(١) سورة الشورى

(٢) سورة الشورى
(٣) سورة الشورى

تعالى ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا ﴾ (١) أي ملافها من لباسها وطعامها وشرابها ﴿ نؤت منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾ بأن يتزع من ليله حب الآخرة ، ولذلك أنفق أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - على النبي ﷺ أربعين ألف دينار في السر وأربعين ألف دينار في العلانية حتى لم يبق له شيء ، وكان ﷺ معرضا عن الدنيا وشهواتها ولذاتها هو وأهله ، ولذلك كان جهاز السيدة الزهراء - رضي الله عنها - لما زوجها النبي ﷺ من علي جلد كبش منبوغ ووسادة آدم حشوها ليف .

الباب السابع

في نصيان الله تعالى ، والفسق والنفاق

جاءت امرأة إلى الحسن البصري - رضي الله عنه - فقالت إنه كانت لي ابنة شابة فماتت وأحببت أن أراها في المنام فحسنتك كي تعلمني ما أستعين به على رؤيتها فعملها قرأتها وعليها لباس من قطران وفي عنقها الغل وفي رجلها القيد فأخبرت الحسن بذلك فاضم ، ومضت مدة ثم رآها الحسن في الجنة وعلي رزسها تاج فقالت يا حسن بذلك أما تعرفني أنا ابنة المرأة التي أتتك وقالت لك كذا فقال لها ما الذي صيرك إلى ما أرى ؟ قالت مر بنا رجل فصلى على النبي ﷺ مرة وكان في المقبرة خمسمائة وخمسون إنسان في العذاب فنودي إرفعوا العذاب عنهم بركة صلاة هذا الرجل . بصلاة رجل على محمد ﷺ أصابهم المغفرة فمن صلى عليه منذ خمسين سنة أفلا يجد شفاعة يوم القيامة .

قال الله تعالى : ﴿ ولا تكونوا ﴾ أي في المعصية ﴿ كاذبين ﴾ يعني المنافقين الذين ﴿ نسوا الله ﴾ (٢) يعني تركوا أمر الله وفعلوا خلافه وتلفوا بشهوات الدنيا وركنوا إلى غرورها .

ومثل رسول الله ﷺ عن المؤمن والمنافق فقال : « إن المؤمن همه في الصلاة والصيام والمنافق همه في الطعام والشراب كالبهيمة وترك العبادة والصلاة ، والمؤمن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة ، والمنافق مشغول بالحرص والأمل ، والمؤمن يأمن من كل أحد إلا من الله ، والمنافق راج كل أحد إلا الله ، والمؤمن يقدم ماله دون دينه ، والمنافق يقدم دينه دون ماله ، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله ، والمؤمن يحسن ويكفي ، والمنافق يسر ويضحك ، والمؤمن يحب الوحدة والخلة ، والمنافق يحب الخلطة والملا ، والمؤمن يزور ويخشى الفساد ، والمنافق يفلح ويرجو الحصاد ، والمؤمن يأمر وينهى سياسة دينية ويصلح ،

(١) آية (١٩) سورة الشورى

(٢) آية (٢٠) سورة الشورى

و دناهم يأمر ويسبى ويسبى ويعد ، بل يأمر بالمكر ويسبى عن المعروف كما قال الله تعالى . ﴿ يَصَافُرُونَ وَالْمَافِقَاتِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْتِرُونَ بِالْمَكْرِ وَيَنهَرُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٢٧) وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نارا جهنم خالدن فيها هي سبهم ولعنهم الله ولهم عذاب عظيم ﴿ (١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ صِعًا ﴾ (٢) الآية . . . يعني إن ماتوا على كفرهم وعاقبهم تبدأ بالمنافقين لأنهم شر من الكفار وجعل أوامهم جميعا النار وقال تعالى . ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٣) الآية . والمنافق اشتقاقه من اللمعة مافقاء السريوع ويقال إن للسريوع حجرتين إحداهما المنافق والأخرى الفاسق فليظهر نفسه في إحداهما ويخرج من الأخرى ، ولهذا سمي المنافق مافقا ، لأنه يظهر من نفسه أنه مسلم ويخرج من الإسلام إلى الكفر .

وهي الحديث . مثل المنافق كمثل الشاة ترى بين قطيعين من الغنم تارة تسير إلى هذا القطيع وتارة إلى هذا القطيع ولا تسكن لواحد منهما لأنها غريبة ليست منهما ﴿ (٤) وكذلك المنافقين لا يستقر مع المسلمين بالكيفية ولا مع الكافرين .

إن الله خلق النار ولها سبعة أبواب كما قال الله تعالى : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ (٥) الآية . من حديد مطبق باللغة وعليها ظهارة النحاس وبطانة الرصاص في أصلها العذاب وفوقها السخط وأرضها من نحاس وزجاج وحديد ورصاص ، النار من فوق أهلها والنار من تحتهم ، والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم ، طبقاتها بعضها فوق بعض أحد للمنافقين منها الدرك الأسفل

وجاء في الخبر أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا جبريل صف لي النار وحرها فقال : إن الله عز وجل خلق النار ماؤها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة والذي يمشي بالحق نيبا لو أن ثوبا من ثياب أهل النار طهر لأهل الأرض لما توارح جميعا ولو أن دلوا من شربها صب على ماء الأرض جميعه لقتل من دقه ولو أن دراعا من السلسلة التي ذكرها الله تعالى بقوله ﴿ ثُمَّ فِي سُلْسُلَةٍ دُخَانُهَا سَوَاحِلُ ثَوَارِعِ الْأَسْكَوْهِ ﴾ (٦) الآية . . كل دراع طوله من المشرق إلى المغرب ولو وضع على حبال الدنيا لكانت ولو أن رجلا دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من تن وبعه ﴿ (٧) .

و سأل ﷺ جبريل فقال يا جبريل صف لي أبواب جهنم أمي كأوابنا هذه فقال يا رسول الله

(١) آية (٦٧-٦٨) سورة التوبة

(٢) آية (١٤٥) سورة النساء

(٣) آية (٤٤) سورة الحجر

(٤) ضيف (الصحيح) (٩١٠)

(٥) آية (١٤٥) سورة النساء

(٦) (صحيح) مسلم بحره (٢٧٨٤)

(٧) آية (٢٢) سورة احاقة

لا ولكنها طباق بعضها أسفل من بعض ، من الباب إلى الباب مسيرة سبعين سنة كل باب منها أشد حرا من الذي يليه بسبعين ضعفا . وسأله أيضا عن سكان هذه الأبواب فقال أما الأسفل ففيه المنافقون واسمه لهابة كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (١) والباب الثاني فيه المشركون واسمه الجحيم ، والباب الثالث فيه الصابئون واسمه سقر ، والباب الرابع فيه إبليس - عليه اللعنة - ومن تبعه من اللجوس واسمه لظى ، والباب الخامس فيه اليهود واسمه الخطة والباب السادس فيه النصارى واسمه السعير ، ثم أمك جبريل - عليه السلام - فقال له ورسول الله ﷺ لم تخبرني عن سكان الباب السابع فقال جبريل : يا محمد لا تسألني عنه فقال له : أخبرني عنه فقال فيه أهل الكبائر من أمك الذين ماتوا ولم يتوبوا .

وروى أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (٢) اشتد خوفه ﷺ على أمه ويكى بكاء شديدا فالعارف بالله وبشدة سطوته وفهره بعامه خوفا شديدا ويكى على نفسه وتصرعه قبل أن يرى هذه الشدائد ويعاين هذه الدار المخوفة وقبل أن تنتهك الاستلا ويعرض على المتقم الجبار ويؤمر به إلى النار .

فكم من شيخ يتنادى في النار واشتبهته ، وكم من شاب يتنادى في النار واشتبهاه ، وكم من امرأة في النار تتنادى وانفصيحتهاء ولعنت ستراه ، وقد سودت رجوعهم وأجسادهم وانكسرت ظهورهم فلا يكرم كبيرهم ولا يرحم صغيرهم ولا تشر نسائهم .

اللهم أجرتنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا إلى النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار يرحمك يا عزيز يا غفار ، اللهم اسر هوائنا ، وأمن روعاتنا وأقلنا من هوائنا ، ولا تضحنا بين يديك يا أرحم الراحمين .

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباب الثامن

في التوبة

التوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة ، قال الله تعالى : ﴿ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ (٣) والأمر للرجوب . وقال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُ اللَّهُ مَا قَالُوا ﴾ (٤) الآية

(١) آية (٧١) سورة مريم

(٢) آية (١٤٥) سورة النساء

(٣) آية (٨) سورة التوبة

(٤) (صحيح) مسلم بحره (٢٧٨٤)

(٥) آية (٢٢) سورة احاقة

« ظهورهم » فأنساهم أنفسهم « يعنى أنساهم حالهم حتى لم ينهوا أنفسهم ولم يقدموا لها خيرا بل عكس ذلك : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » (١) « أولئك هم الفاسقون » (٢) يعنى العاصون النافضون عهدهم ، أى الخارجون عن طريق الهداية والرحمة والبر ، والفاسق على نوعين فاسق كافر وفاسق فاجر ، والفاسق الكافر هو من لم يؤمن بالله سبحانه وخرج عن الهداية ودخل فى الضلالة كما قال الله تعالى ﴿ فَتَقَى عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (٣) يعنى خرج عن طاعة أمر ربه بالإيمان ، والفاسق الفاجر هو الذى يشرب الخمر ويأكل الحرام ويترى يعصى الله تعالى ويخرج من طريق العبادة ويدخل فى المعصية ولا يأتى بالشرك .

والمرق بينهما أن الفاسق الكافر لا يرجى خفراته إلا بالشهادة والخوة قبل موته ، والفاسق الفاجر يرجى خفراته بالثبوت قبل الموت ، فإن كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجى عثراتها وكل معصية أصلها من الكبر لا يرجى خفراتها . ومعصية إبليس كان أصلها من الكبر .

فيبقى لك أن تتوب من ذنوبك قبل الموت رجاء أن يقبلك الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ قَدَىٰ قَبْلَ الْفِتْنَةِ عَنْ عِبَادِهِ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) الآية . . يعنى يتجاوز عما عملوا بقبوله التوبة . وقال الله : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (٥)

حكى أن رجلا كان كلما أديب يكتب دسه فى ديوان فأذنب يوما ففكر ديوانه ليكتب فيه فلم يجد فيه إلا قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ اللَّهُ بِمَنَّاكُمْ حَمَاتٍ ﴾ (٦) الآية . . يعنى يدل مكان الشرك لإيمان ، ومكان الزنا العفو ، ومكان المعصية العصمة والطاعة .

وحكى أن عمرو بن الخطاب - رضى الله عنه - مر وقتا من الأوقات فى سكك المدينة فاستقبله شاب وهو حامل قدورة تحت ثيابه فقال عمر أبها الشاب ما الذى تحمل تحت ثيابك وكان خمرًا ، فحس الشاب أن يقول حمرا وقال فى سره الهى لا تحجلنى عند عمر ولا تمضحنى واسترنى عنه فلا أشرب الخمر أبدا ، ثم قال يا أمير المؤمنين الذى أحمل هو خمرى ، فقال أرنى حتى أراها فكشفها بين يديه فرأها عمر صارت خلا .

فانظر إلى مخلوق تاب من خوف مخلوق قبل الله سبحانه وتعالى خمره بالخل لما علم منه

صحيح البخاري (٦٥٠٨) .

(٢) آية (١٩) سورة الحجر

(٤) آية (٢٥) سورة النور

حسن (أبو داود) (٤٢٥٠) وصحيح الجامع (١٣٠٠٨) .

آية (٧٠) سورة الفرقان

إخلاص التوبة ، فلو تاب العاصى المفسى عن الأعمال العاصدة توبة نصوحا وندم على ذنبه بذل الله سبحانه وتعالى ، غفر سيئاته بحل الطاعة .

وذكر عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : خرجت ذات ليلة بعد ما صليت العشاء الأخيرة مع رسول الله ﷺ فإذا أنا بامرأة فى الطريق فقالت يا أبا هريرة إني ارتكبت ذنبا فهل لى من توبة فعلت ما دلت ؟ قالت إني ربيت وقتلت ولدى من الربا ، فقلت لها هلكت وأهلك ، والله مالت من توبه محرت معشيا عليها مصيت ، فعلت من نفسى أنتى ورسول الله ﷺ بين أظهرنا فرحمت إليه فأجبرته بذلك فقال هلكت وأهلك فأبين أنت من هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ اللَّهُ بِمَنَّاكُمْ حَمَاتٍ ﴾ (١) الآية . فخرجت وقلت من يدلنى على امرأة سألتنى مسألة والصبيان يقولون جن أبو هريرة حتى أدركتها وأخبرتها بذلك فشعقت شهقة من السرور وقالت إن لى حليقة جعلتها صدقة لله ورسوله .

حكاية : عن عتبة الغلام - رحمه الله تعالى - وكان من أهل الفسق والفجور مشهورا بالفساد وشرب الخمر فدخل يوما فى مجلس الحسن البصرى وهو يقرأ فى تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (٢) يعنى ألم يجىء وقت يخاف قلوبهم ؟ فوعظ الشيخ فى تفسيره هذه الآية وعظا بليغا حتى أبكى الناس ، فقام من بينهم شاب فقال يا فتى المؤمن أيقبل الله العاصى الفاجر متى إذا تاب ؟ فقال الشيخ نعم يقبل الله توبة فسفك وفجورك فلما سمع عتبة الغلام هذا الكلام اصفر وجهه ولم تعدت فرائضه فصاح صيحة فخر مغشيا عليه فلما أفانق ذنا من الحسن وقال الأبيات :

أيا شابا لرب العرش عاصى * أتدري ما جزاء ذوى المعاصى
سمير للمصاة لها زفير * وغيط يسوم يؤخذ بالتواصى
فان تصبر على النيران فاعصه * ولا كن من العصيان قاصى
وقبما قد كسبت من الخطايا * وهنت النفس فاجهد فى الخلاصى

فصاح عتبة صيحة عظيمة وغر مغشيا عليه ، فلما أفانق قال يا شيخ هل يقبل الرب الرحيم توبة مثلى التميم ؟ فقال الشيخ هل يقبل توبة العبد الجانى إلا الرب المعافى ؟ ثم رفع رأسه ودها ثلاث دعوات : الأولى قال الهى إن كنت قبلت توبتى وخفرت ذنوبى فأكرمنى بالقهم والحفظ حتى أحفظ كل ما سمعت من العلم والقرآن ، والثانية قال الهى أكرمنى بحسن الصوت حتى إن كل من سمع قرأتى يزداد رقة فى قلبه وإن كنت قاسى القلب ، والثالثة قال الهى أكرمنى بالرزق

(١) آية (٦٨ - ٧٠) سورة الفرقان .

(٢) آية (٩٦) سورة الحديد

جلال ورزقي من حيث لا أحسب . فاستجاب الله جميع دعائه حتى زاد فهمه وحفظه وكان يدور المرأتان تاب كل من سمع قراءته ، وكان يوضع في بيته كل يوم فصعة من المرق ورغيفان ولا يرى أحد من يضحها وكان على هذه الحال حتى فارق الدنيا .

وهذا حال من أتى الله تعالى ، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

وسئل بعض العلماء هل يعرف العبد إذا تاب أن توبته قبلت أم ردت ؟ فقال لا حكم في ذلك ويكره لذلك علامات أن يرى نفسه معصومة من المعصية ، ويرى الفرج من قلبه شاكياً والرب شامخاً ، ويقارب أهل الخير ويباعد أهل الفسق ، فيرى القليل من الدنيا كثيراً والكثير من عمل لا حرة قلباً ، ويرى قلبه مشتغلاً بما فرض الله تعالى عليه ، ويكون حافظاً لسلاته دائم المكرة ملزم الغم والندامة على ما فرط من ذنوبه .

الباب التاسع

في المحبة

ذكر أن رجلاً رأى صورة فيبيحة في البداية فقال : من أنت ؟ قالت : أنا صملك الفحيح قال : من نجاة منك قالت الصلاة على النبي ﷺ كما قال ﷺ الصلاة على نور على الصراط ومن صر على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين عاماً (١) .

وحكى أن رجلاً كان خافلاً من الصلاة على سيدنا محمد فولى النبي ﷺ ليلة في المنام ولم يحب به فقال يا رسول الله أنت على غضب ؟ قال لا قال فم لا تنظر إلى قال لأنى لا أهلك . قال كيف لا تعرفنى وأنا رجل من أمك وقد روى العلماء أنك أعرف بأمتك من الوالد بالولد . قد صدقوا ولكن إنك لا تذكرنى بالصلاة ، وأن معرفتى بأمتى يقدر صلاتهم على ثم أتبه الرجل . وحب على نفسه أن يصلى على النبي ﷺ كل يوم مائة مرة فعلى ذلك ثم رآه بعد ذلك في المنام فذكر عنك الآن واشمع لك ، أى لأنه صار محباً لرسول الله . انتهى .

وربه تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ (٢) الآية . سبب بولها أن رسول الله ﷺ لما دعا نبيه من لأشرف وأصحابه إلى الإسلام قالوا نحن في المنزلة أبناء الله ولحمنا أشد حباً لله . فقال : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ على ديني فأتى رسول الله أودى رسالته إليكم .

صحيح جداً ضعيف الجامع (٣٥٦٤) ، والضعيفة (٣٨٠٤) .

١ سورة آل عمران

وحبته عليكم ﴿ يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيُبْرِئْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وحب المؤمنين لله اتباعهم أمره وإظهار طاعته وإبتغاء مرضاته ، وحب الله للمؤمنين ثلثه عليهم ونوابه لهم وعبودهم عنهم وإنعامه عليهم برحمته وعصمته وتوفيقه .

قال الإمام في إحيائه من ادعى أديماً من غير أربع فهو كذاب : من ادعى حب الجنة ولم يعمل بالطاعة فهو كذاب ، ومن ادعى حب النبي ﷺ ولم يحب العلماء والفقراء فهو كذاب ، ومن ادعى الخوف من النار ولم يترك المعاصي فهو كذاب ، ومن ادعى حب الله تعالى وشكا من البلى فهو كذاب ، كما قالت رابعة :

لعمري الإله وأنت تظهر حسب ••• هذا لعمري في القياس يهيج

لو كان حبك صادقاً لأطعت ••• إن المحب لمن يحب مطيع

وعلمة المحبة موافقة للمحبوب واجتناب مخالفته .

حكى أن جماعة دخلوا على الشبلي رحمه الله تعالى فقال من أنتم قالوا نحن أحياءك فأقبل ثم رماهم بالحجارة فهربوا منه فقال لهم تهربون منى لو كنتم أحبائي لما فرمتم من بلاني ، ثم قال الشبلي رحمه الله أهل المحبة شربوا بكأس الوداد فضاعت عليهم الأرض والبلاد وعرفوا الله حق معرفته وقاهوا في عظمته وتحيروا في قدرته وشربوا بكأس حبه وغرقوا في بحر أنسه وتلذذوا بمناجاته ، ثم أنشد :

ذكر للمحبة يا مولاي اسكرني ••• وهل رأيت محبوباً غير سكران

ويقول إن البعير إذا سكر لا يأكل العلف أربعين يوماً ولو حمل عليه أضعاف ما يحمله لحمله لأنه إذا هاج في قلبه ذكر محبوبه لا يحب العلف ولا يعيا من الحمل الثقيل لاشتياقه إلى محبوبه .

إذا كان من شأن الأبل شهوتها وتحمل الحمل الثقيل لأجل محبتها فهل أنتم تركتم شهوة محرمة لأجل الله تعالى وهل حملتم على أنفسكم حملاً ثقيلاً لأجل الله تعالى ، فإن لم تفعلوا شيئاً من الخيرات بما ذكرت لدهواكم اسم بلا معنى لا تنفع في الدنيا ولا في العقبى ، ولا عند الخلق ولا عند الخالق

وعن علي كرم الله وجهه قال : من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن خالف النار بهى نفسه عن الشهوات ، ومن تيقن الموت هامت عليه الذلالت .

وسئل إبراهيم الخواص عن المحبة فقال : محر الإرادات وإحراق جميع الصفات والحاجات وإغراق نفسه في بحر الإشارات .

الباب العاشر

في العشق

حب عبادة من : ميل الطبع إلى الشيء الملذذ ، فإن تأكد ذلك الميل وقوى سمي عشقا فيجاور إلى أن يكون رفيقا لمحبوته وينفق ما يملك لأجله ألا ترى إلى زليخا بلغ بها من محبة يوسف - عليه السلام - أن ذهب ماله وجمالها وكان لها من الجواهر والفلأند وقر صبين جملا وقد أنفقتا كلها في محبة يوسف وكل من قال رأيت يوسف اليوم أعطته قلادة تفتحه حتى لم يبق لها شيء وكانت تسمى كل شيء باسم يوسف وقد نسيت كل شيء سواه من فرط العشق وإذا رفعت رأسها إلى السماء وأتت اسم يوسف مكتبا على الكواكب .

وروي أنها لما أمنت وتزوجت به - عليه السلام - اتفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى ، فكان يدعوها إلى مرأته نهارا متنافعا إلى الليل فإذا دعا ليلا سوفت به إلى النهار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أهره ، فأما إذا عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد بهجدا ، حتى قال لها إن الله جعل ذكره أمري بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وجاعلهم بيين فضالت أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعتك لأمر الله تعالى لها بها سكنت إليه .

وحكي أن مجنون ليلى قيل له ما اسمك قال ليلى وقيل له يوما أو ماتت ليلى قال إن ليلى في قلبي لم تمت أنا ليلى ، ومر يوما على دار ليلى فنظر إلى السماء فقيل له يا مجنون لا تنظر إلى السماء ولكن انظر إلى جدار ليلى لعلك تراها قال أنا أكتفى بنجم يقع ظله على دار ليلى .

وحكي عن منصور الحلاج - رحمه الله تعالى - أنهم حسوه ثمانية عشر يوما فجاهه الشبلى - رضي الله عنه - فقال يا منصور ما المحبة فقال لا تسألني هذا فإني غدا فلما جاء الغد وأحمر جوه من النحر وبصروا الطبع لأجل قتله ، مر الشبلى بين يديه فتأذى بالشبلى للمحبة أولها حرق وأحمرها قتل .

إشارة لما تحقق للحلاج - رضي الله عنه - في نظره أن كل شيء ما خلا الله باطل ، وعلم أن الله هو الحق نسي عند تحقق اسم الحق اسم نفسه فقل من أنت قل أنا الحق .

وروي أن صديق للمحبة في ثلاث خصال أن يختار كلام حبيب على كلام غيره ويختار مجالسة حبيب على مجالسة غيره ، ويختار رضا حبيب على رضا غيره . كلما في المنتهى .

وقيل : العشق هتك الأسرار وكشف الأسرار ، وأوجد حجر الروح عن احتمال غلبة الشوق عند حلاوة الذكر ، حتى لو قطع عضو من أعضائه لا يمس ولا يشعر

وحكي أن رجلا كان يقتل في المرات فسمع رجلا يقرأ ﴿ وَاَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَنَّهُ يُصْفِرُ الْقُلُوبَ إِلَى غَدٍّ هَآءٍ ﴾ فلم يزل يضطرب حتى غرق ومات .

وعن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت في البصرة شابا على سطح مرتفع قد أشرف على الناس وهو يقول من مات عاشقا فليمت هكذا لا تخبر في عشق بلا موت ثم رمى بنفسه فعمل ميتا

قال الجيد - رحمه الله تعالى - : التصرف ترك الاختيار .

وحكي أن ذا النون المصري رحمه الله دخل المسجد الحرام فرأى شابا عربيا مطروحا مريضا تحت اسطوانة وله أنين من قلبه حزين قال فدنوت منه وسمعت عليه وقلت له من أنت ولماذا قال أنا غريب عاشق فعلمت ما يقول ، قلت وأما مثلك فيكي بأعلى صوته وصاح صيحة عظيمة عالية فخرجت ووجه من ساعته فطرحته عليه ثوبى وخرجت من عنده لطلب الكفن فاشتريت الكفن ورجعت إليه فلم أجده في مكانه فقلت سيحان الله فسمعت هاتفا يقول : يا ذا النون إن هذا الغريب الذي طلبه الشيطان في الدنيا لما وجدته وطلبه مالك فلم يره وطلبه رهوان في الجنة فما وجدته ، قلت فأين هو قال فسمعت هاتفا يقول : ﴿ في مقعد صبيك عند ملكك تفتقر ﴾ (٢) بسبب محبته وكثرة طاعته وتعجيل توبته . كلما في زهر الرياض .

ومثل بعض المشايخ من المحب فقال قليل الخلطة كثيرة الخلوة دائم الفكر ظاهر الصمت ، لا يصبر إذا نظر ولا يسمع إذا تودى ولا يفهم إذا كلم ولا يحزن إذا أصيب بمصيبة وإذا أصيب بجوع فلا يرى ، ويعمرى ولا يشعر ويستم ولا يخشى ، ينظر إلى الله تعالى في خلوته ويأنس به ويتأجبه ، ويتأزع أهل الدنيا في دنياه ، وقد قال أبو نواب النخشي في علامات المحبة أياتا :

لا تخدع من للمحبيب دلائل ● ولدي من تحف الحبيب وسائل

منها تنعمه بمسر بلائيه ● وسروره في كل ما هو فاعل

فمنع منه عطية مقبولة ● والفقر إكرام وير عاجل

ومن الدلائل أن ترى من عزمه ● طوع المحبيب وإن ألح العاقل

ومن الدلائل أن يرى متبسما ● والقلب فيه من المحبيب بلايل

ومن الدلائل أن يرى متبسما ● لكلام من يعطى لديه السائل

ومن الدلائل أن يرى متبسما ● متحفظا من كل ما هو قاتل

(٢) آية (٥٦) سورة القمر

(١) آية (٥٩) سورة يس

حكيمة - مر عيسى - عليه السلام - بشاب يسأل يستأثنا لقال الشاب لعيسى هل ربك أن يروني من محبة فقال ذرة فقال عيسى لا تطيق مقدار ذرة ، فقال نصف ذرة ، فقال عيسى - عليه السلام - يارب ابروفه نصف ذرة من محبتك ، فمضى عيسى - عليه السلام - فلما كان بعد مدة عرقلته بجمل ذلك الشاب فسأل عنه فقالوا جن وذهب إلى الجبال ، فدعا الله عيسى - عليه السلام - أن يريه إياه فأراه بين الجبال فوجده قائما على صخرة شامخة طرفه إلى السماء فلم يسمع عيسى - عليه السلام - فلم يرد عليه ، فقال أنا عيسى فأوحى الله تعالى إلى عيسى كيف يسمع كلام الأعميين من كان في قلبه مقدار نصف ذرة من محبتى ، فوعزنى وجلالى لو قطعته بالتشار لما علم بذلك .

من ادعى ثلاثة ولم يظهر من ثلاثة فهو مفروز أولها من ادعى حلالة ذكر الله وهو يحب الدنيا ، وثانيها من ادعى محبة الإخلاص في العمل ويحب تعظيم النفس له ، وثالثها من ادعى محبة خالقه من غير إسقاط نفسه .

قال رسول الله ﷺ : « سألني زمان على أمتي يحبون خمسا وينسون خمسا : يحبون الدنيا وينسون الآخرة ، ويحبون المال وينسون الحساب ، ويحبون الخلق وينسون الخالق ، ويحبون الذنوب وينسون التوبة ، ويحبون القصور وينسون القبور » .

وقال منصور بن عمار لشاب يعظه يا شاب لا يعروك شبابك فكم من شاب آخر التوبة وأطال الأمل ولم يذكر موته ، فقال إني أتوب هذا أو بعد غد فجاءه ملك الموت وهو خافض عن التوبة نصرا في جوف القبر لا يمنعه مال ولا عبد ولا ولد ولا أب ولا أم ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (١) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ مَلِيمٍ (٢) ﴾ .

اللهم إرزقنا التوبة قبل الموت ، وتبها عند القفلة وانفخنا بشفاة نبيك خير المرسلين ﷺ .

صفة المؤمن أن يتوب من يومه وساعته ، ويندم على ما فعل من قنوبه ويرضى بالقوت من الدنيا ولا يشتغل بالدنيا ، بل يشتغل بعمل الآخرة ويعبد الله تعالى بالإخلاص .

حكاية : كان رجل يخيل منافق حلف على زوجته بالطلاق أن لا تصدق بصدقة فجاء سائل على باب داره وقال يا أهل الدار بحق الله ألا أعطينكموني شيئا فأعطته امرأة ثلاثة أرعة فاستقبله بها وقال من أعطاك هذه الأربعة قال أعطوني من لدار أحده شيء فقال أعطيت لأجل الله مر وجن فذهب المنافق وأوقد النور حي حمي ، ثم قال قومي فالتقي بفسك في النور لأجل الله ، فقامت المرأة وأحدث خلعتها فقال المنافق دعي الخلل فقالت المرأة الحبيب يترى لحبي ، وأما المرأة حبسني ثم ألقت نفسها في نيران فأتى المنافق عليها ومضى ، فلما لم لها ثلاثة أيام جاء المنافق

(١) آية (٨٨-٨٩) سورة الشعراء

فصاح عليها رأس لنور ، فأرى امرأة سالمة بقدرته الله تعالى لتعجب الرجل من تلك الحال فهتف به هاتف يقول ما علمت أن النار لا تحرق أحبائنا .

وحكى أن آسية امرأة فرعون كانت تكتم إيمانها من فرعون فلما اطلع فرعون على إيمانها أمر بها أن تعذب فعذبوها بأنواع العذاب وقال إرتدى فلم ترتد ، فأتى بأوتاد وضربوها على أعضائها ثم قال إرتدى ، فمضت إليك تعلم أن نفسى وقلبي في عصمة ربي لو قطعنى إربا ما زددت إلا حيا ، فمر موسى - عليه السلام - بين يديها فنادت موسى : أخبرنى أياها عن ربي أم لاحظ قال موسى - عليه السلام - يا آسية ملائكة السموات فى انتظارك أى مشتقة إليك والله يباهى بك عساالى حاجتك فإنها مقضية ، فقالت : ﴿ رَبِّهِ أَتَى بِي حَبْلَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجَّيْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَعَثَ لِي الْفَرُّقَانَ (١) ﴾ .

وعن سلمان - رضى الله - عنه قال كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فإذا انصرفوا عنها أظنتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة .

وعن أبي هريرة أن مرعوى وتد لامرأته أربعة أوتاد وأجمعها وجعل على صدرها رحي واستقبل بها عين الشمس فرفعت رأسها إلى السماء فقالت : ﴿ رَبِّهِ أَتَى بِي حَبْلَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ (٢) الآية . . . قلل الحسن لنجاحها الله أكرم لها ورفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب .

وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والاتجاه إليه ومسألا الخلاص منه عند المحن والتوكل من سر الصالحين ودليل المؤمنين .

الباب الحادي عشر

في طاعة الله ومحبة رسول الله ﷺ

قال الله تعالى ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٣) اعلم رحمك الله أن محبة العبد لله ورسوله طاعته لهما واتباعه أمرهما ومحبة الله للعباد إتباعه عليهم بالخبران .

فيل العبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يرى كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله ثم يكن حبه إلا لله وفي الله ، وذلك يقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلهذا فسرت للمحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزما لاتباع الرسول ﷺ في عبادته وأخلى على طاعته

(٢) آية (١١) سورة التحريم .

(١) آية (١١) سورة التحريم .

(٣) آية (٣٦) سورة آل عمران

وعن الحسن قال أقوام : على عهد رسول الله ﷺ يا محمد إنا لنحب ربنا فأنزل الله هذه الآية

وعن بشر الحافي - رضى الله عنه - قال روى النبي ﷺ في المنام فقال يا بشر أتدري بم رفعت الله من بين أترانك قلت لا يا رسول الله قال بخدمتك بلصالحين وبصحبتك لا حوائك ومحببتك لأصحابك وأهل ستي وتباعك لستى .

قال ﷺ : « من أحببني فقد أحبني ومن أحبني كان معي يوم القيامة في الجنة » (١)

وجاء في الآثار المشهورة أن لتمسك سنة سيد الخلق والمرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذهب له أجر مائة شهيد كذا في شرعة الإسلام . وقال « كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا من أبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى كل عمل ليس على ستي فهو معصية » (٢)

وقال بعضهم لو رأيت شيئا يطير في الهواء أو يمشي على البحر أو يأكل النار أو غير ذلك وهو يترك فرضا من فرائض الله تعالى أو سنة من السن عاملا فاعلم أنه كذاب في دعواه وليس فعله كرامة بل هو استعراج ، نعوذ بالله منه .

قال الجنيد - رحمه الله - ما وصل أحد إلى الله إلا بالله والسبيل إلى الوصول إلى الله متابعة المصطفى ﷺ .

وقال أحمد الخواري - رحمه الله - كل عمل بغير اتباع السنة فباطل كما قال ﷺ من صبح ستي حرمت عليه شفاعتي . . . كذا في شرعة الإسلام .

حكى أن رجلا من بعض المجانين ما استجهله فيه فأخبر بذلك معروف الكرخي - رحمه الله - فتبسم ثم قال يا أخي له محبوب صغار وكبار وعقلا ومجانين فهذا الذي زأته من مجانينهم .

وحكى عن الجنيد أنه قال مرض استأذنا السري رحمه الله فلم تعرف لعلك دوله ولا عرفها لها سبا فوصف له طبيب حادق وأحدا قارورة مائة منبر إليها الطيب وجعل ينظر إليها مليا ثم قال أرء بول عاني مال اجيد مصغت وعنى على ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السري فأخبرته فتبسم ثم قال قاتله الله ما أبصره قلت يا أستاذ وتين للحية في البول قال نعم .

قال الفضيل - رحمه الله - إذا قيل لك ألحق الله فاسكت فإنتك إن قلت : لا كذرت وإن قلت نعم فليس وصعت للمحين فاحذر الحق .

(١) (حسن) الترمذي (٢٦٧٨)

(٢) (صحيح) البخاري (٧٢٨٠)

وقال سفيان من حب من يحب الله تعالى فإنما أحب الله ، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإن يكرم الله تعالى

وقال سهل علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ ، وعلامة حب الله حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادا ويطغى إلى الآخرة ، قال أبو الحسن الزنجباني أصل العبادة على ثلاثة أركان القلب واللسان ، فالعين بالعبادة والقلب بالعبادة واللسان بالصدق والتسبيح والذكر كما قال الله تعالى : ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ (١) وسبحوه بكثرة وأصليا ﴿ (٢) ، يعني غنوا وعشيا .

وحكى أن عبد الله وأحمد بن حبيب حضرا موحضا قطع أحمد بن حبيب قطعة من جبهته الأرض فقال له عبد الله حصل عليك خمسة أشياء شغل قلبك به عن تسبيح مولاك ، وهودت نفسك الاشتغال بغير ذكر الله تعالى ، وجعلت ذلك طريقا يقتل بك فيه ، ومنعتك عن تسبيح ربه وأكرمت نفسك حجة الله عز وجل يوم القيامة . كذا في روثق للجالس .

وعن السري - رضى الله عنه - قال : رأيت من الجرجاني سويقا يستغ منه فقلت لماذا لا تأكل طعاما غيره ؟ قال إني حسبت ما بين المضغ والاستغاف تسعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة .

وكان سهل بن عبد الله يأكل في كل خمسة عشر يوما فإذا دخل رمضان لم يأكل إلا أكلة واحدة ويصبر على بعض الأوقات عن الطعام سبعين يوما ، وكان إذا أكل ضعف وإذا جاع قوى ، وجاور أبو حماد الأسود في المسجد الحرام ثلاثين سنة وما روى أنه أكل وشرب ولا يحلو ساحة من ذكر الله .

وحكى أن عمرو بن عبيد كان لا يخرج من منزله إلا ثلاث : للصلاة مع الجماعة ولعبادة المريض ، ولحضور الجنائز ويقفون رأيت الناس سراقا وقطاعا للطريق

العمر جوهر نفيس لا قيمة له فيبيع أن تملأ منه خزائن باقية في الآخرة . واعلموا بأن طالب الآخرة لا يد له من الرهد في الحياة الدنيا ليصير همه واحدا ، ولا يفترق باطنه من ظاهره ، ولا يمكن حفظ الحال لا بضبط الظاهر والباطن .

وحكى عن إبراهيم الحاكم أنه قال كان أبي إذا جاءه اليوم دخل البحر فيسبح فتجتمع إليه حيتان البحر يسبحون معه .

(١) آية (٤١ - ٤٢) سورة الأحزاب

الباب الثاني عشر

في ذكر إبليس وعذابه

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنْ تَوَلَّوْا ﴾ (١) أى أمرضوا عن طاعة الله ورسوله بمعنى لا يضرهم ولا يقبل توبتهم كما يقبل توبة إبليس لكفره واستكباره . وثاب على آدم - عليه السلام - وقبل توبته لأنه أقر على نفسه بالدس وبدم عليه ولام معه وهذا وإن لم يكن ذنباً حقيقة لأن الأسياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون لا تقع منهم المعصية أبداً لا قبل التوبة ولا بعدها على الصحيح لكنه على صورة الذنب ولذلك قال هو وحواء - عليهما السلام - : ﴿ بَلَّغْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ نُنْظَرْ لَنَا وَفَرْحَمْنَا لِنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) فندم عليه السلام وأسرع بالتوبة ولم يفتن من رحمة الله تعالى كما قال الله تعالى : ﴿ لَا تَقْطُرُوا مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (٣) .

وإبليس لم يقر على نفسه بالذنوب ولم يندم عليها ولم يلم نفسه ولم يسرع بالتوبة وقتل من رحمة الله تعالى وتكبر . فمضى حاله مثل حال إبليس لم تقبل توبته ، ومن كان مثل حال آدم قبل الله توبته ، لأن كل معصية أصلها من الشهوة فإنه يرجى غفرانها ، وكل معصية أصلها من الكبر فإنه لا يرجى غفرانها ، ومعصية آدم أصلها من الشهوة ، ومعصية إبليس أصلها من الكبر .

حكى أن إبليس جاء إلى موسى - عليه السلام - فقال له : أنت الذى اصطفاك الله برسالتك وكلمك تكليماً ؟ فقال له موسى نعم فما الذى تريد يا هذا ومن أنت ؟ فقال إبليس يا موسى قل لربك خلق من خلقت قد سألك التوبة ، فأوحى الله إلى موسى قل له أنى قد استجبت لك فيما سألت ومره يا موسى أن يسجد لقبر آدم فإذا سجد له قبلت توبته وغفرت له فوبه فأخبره موسى فغضب إبليس واستكبر وقال يا موسى أنا لم أسجد له فى الجنة فكيف أسجد له وهو ميت .

وروى أن إبليس يشتد عليه العذاب فى النار فيذال له كيف وجدت عذاب الله ؟ فيقول أشد ما يكون فيقال له إن آدم فى رياض الجنة فسجد له واعتذر حتى يغفر لك فيأبى فيشتد عليه العذاب بقدر عذاب أهل النار سبعين ضعفاً .

وجاء فى الخبر أن الله تعالى يخرج إبليس من النار كل مائة ألف سنة ويخرج آدم ويأمره بالسجود له فيأبى ثم يرده إلى النار .

إخوانى أن أردكم النجاة من إبليس فاحتصموا بالوئ واستمروا به .

إذا كان يوم القيامة يوضع كرسى من النار فيقعد عليه إبليس عليه اللعنة فيجتمع الشياطين

(٢) آية (٢٣) سورة الأعراف

(١) آية (٣٧) سورة آل عمران .

(٣) آية (٥٣) سورة الزمر

والكفار عنده وله صوت كصوت الحمار ينطق ويقول يا أهل النار كيف وجدتم اليوم ما وعد ربكم قالوا حقاً ثم يقول هذا يوم أبست فيه من الرحمة فيأمر الله تعالى الملائكة أن يهريقوه ومن تبعه بمقامع من نار فيهبون فيها أربعين سنة فلا يسمعون الأمر بالخروج أبداً إلا بعد نعوذ بالله منها .

وروى أنه يؤتى إبليس يوم القيامة فيؤمر به أن يجلس على كرسى من نار وعلى عنقه طوق من اللعنة ويأمر الله - عز وجل - الرابطة أن يجره من الكرسى ويلقوه فى النار فيتعلقون به ليلقوه فلا يقدر أن يأسر الله تعالى جبريل مع ثمانين ألف ملك بذلك فلا يقدر أن يأسر إسرائيل ثم عزرائيل ومع كل واحد منهما ثمانون ألف ملك فلا يقدر أن يأسر الله تعالى لهم لو اجتمع عليه أصحاب ما خلقت من الملائكة لما قدروا على أن يقتلوه وطوق اللعنة على عنقه .

وروى أن إبليس كان اسمه فى سماء الدنيا التميد وفى الثانية الراهد وفى الثالثة الطارف وفى الرابعة الولى وفى الخامسة التقى وفى السادسة الخارون وفى السابعة عززيل وفى اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل حاقة أمره فأمره الله أن يسجد لآدم فقال أنفضله على وأنا خير منه خلقتنى من نار وخلقتهم من طين فقال تعالى أنا أفعل ما أشاء مرأى لنعسه شرفاً فولى آدم ظهره ثقتاً وكبراً وانتصب قائماً إلى أن سجدت الملائكة للمدة للمرة فلما رفعوا رؤوسهم ورأوه لم يسجد وهم قد وقوا للسجود سجدوا ثانياً شكراً وهو قائم يرى معرضاً عنهم غير عارم على الاتباع ولا نادم على الامتناع لسله الله من الصورة البهية فنكسه كخنزير وجعل رأسه كرامس البعير وصلبه كسام الجمل الكبير ووجهه كوجه الفرد وعينه مشقوقين من طول وجهه ، ومنعرجه مفتوحين ككوز الحجام ، وشعته كشعته الثور ، وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وفى لحته سبع شعرات وطرده من الجنة بل من السماء بل من الأرض إلى الجحيم فلا يدخل الأرض الإجماع ولعنه إلى يوم الدين لأنه صار من الكفار .

وانظر كيف كان بهي الصورة وباهي الأجنحة وكثير العلم كثير العبادة طاووس الملائكة وأعظمهم ، سيد الكرويين إلى غير ذلك فلم يبق ذلك منه شيئاً ، إن فى ذلك لذكرى .

وفى الآخر لما مكر إبليس بكى جبرائيل وميكائيل فقال الله لهما : ما يكيكما ؟ قالوا : ربنا ما أمنا منك فقال الله تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكرى .

وروى أن إبليس قال يارب أخرجنى من الجنة لأجل آدم وأنا لا أقدر عليه إلا بتسلطك قال أنت مسلط عليه أى على أولاده معصمة الأسياء منه ، قال زدنى قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله ، قال زدنى قال صدورهم مساكن لك تجرى فيه مجرى الدم ، قال زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك ، أى استمن عليهم بأهوائك من راكب وماشئ وشاركهم فى الأموال ، أى يحملهم على كسبها وصرفها فى الحرام والأولاد أى باعنت على التوصل إليهم بالسبب المحرم .

كانوط في الخبيص والإشراك فيهم بتسميتهم سحر عبد العري ، والتضليل بالحمل على الأديان ، بطلنة ، وحرف الديمقراطية والأفعال الفبيحة ، واضلعم الواهيد الياطلة كشعاعة الآلهة والانتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بطول الأمل وهذا على طريق التهديد كاحملوا مااستتم .

فقال آدم يارب قد سلطته على فلا امتنع منه إلا بك قال لا يولد لك وولد إلا وكنت به من يحفظه من الملائكة ، قال ردى قال الحسة بعشر أمثالها ، قال زدنى قال لا أنزع منهم التوبة ماقلت أرواحهم في أبنائهم ، قال زدنى قال أخفر لهم ولا أبالي ، قال اكتفيت .

فقال إبليس يارب جعلت في بني آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما وصى قال الكهان ، قال فما كتبتى قال الوشم ، قال فما حطيتى قال الكذب ، قال فما قرأتى قال الشعر ، قال فما مؤذنى قال الممار ، قال فما مسجدنى قال الأسواق ، قال فما بيتى قال الحمام ، قال فما طعاسى قال الذى لم يذكر عليه اسمى ، قال فما شراى قال لشكر قال فما مصلحتى قال النساء .

الباب الثالث عشر

فى الأمانة

قال الله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ﴾ أى امتنعن عن قبولها ﴿ وأخلفن منها ﴾ (١) أى خفن من الأمانة أن لا يؤديتها فيلحقهن من العقاب أو تخفن من الخيانة فيها . ومعنى الأمانة فى هذه الآية لطاعة والفرائض التى يتعلق بأدائها الثواب والعقاب .

قال القرطبي . الأمانة نعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور ، واختلف فى تفاصيل بعضها .

فقال ابن مسعود : هى أمانة الأموال كالودائع وغيرها ، وروى عنه أنها فى كل الفرائض وأشدّها أمانة المال . . وقال أبو الدرداء فضل الجناية أمانة ، وقال ابن عمر أول ما خلق الله من إنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتك فلا تلها إلا بحق فإن حفظتها حفظتك فالتفرح أمانة ولأذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والطن أمانة ، اليد والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له

وقال الحسن بن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال فأضطربت وما فيها فقال الله بها رب أحسنت أجرتك وإن أسأت عذبتك فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه رد . له ذلك فقال قد تحملتها .

١٠٢٠ (٧٢) سورة الأعراف .

ولا يحى أن عرض هذه الأمانة على السموات والأرض والجبال عرض تخيير لا عرض إلزام ، ولو ألزمهم لم يستمن من حملها .

وقال الفقهاء العرض فى هذه الآية ضرب مثل أى أن السموات والأرض والجبال على كبر أجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لنقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب أى أن التكليف أمر عظيم حقيق أن تعجز عنه السموات والأرض والجبال وقد كلمه الإنسان ، قال تعالى . ﴿ وحملها الإنسان ﴾ أى التزم بحملها آدم بعد عرضها عليه فى عالم اللز عند خروج ذريته من ظهره وأخذ الميثاق عليهم ﴿ إنه كان ظلوما جهولا ﴾ (١) أى هو فى ذلك الحمل ظنرم لضعه جهول بقدر ما دخل فيه أو جهول بأمر ربه .

وعن ابن عباس قال عرضت الأمانة على آدم فقبل عذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها ، لما كان إلاماين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أكل من الشجرة لولا أن تشاركه الله برحمته فتاب عليه وهلى .

والأمانة مشتقة من الإيمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله إيمانه ، قال ﴿ لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ﴾ (٢) .

قال الشاعر :

تيا لمن رضى الخيانة مهيبا ••• وأزور من صون الأمانة جاثبه

وفى الديانة والمرومة فاهتدى ••• تنرى عليه من الزمان مصائبه

وقال آخر :

أخلق بمن رضى الخيانة شعبة ••• أن لا يرى إلا صريح حوادث

ما زالت الأرزاء ينزل يؤسسها ••• أبدا بنادر ذممة أو ناكث

وقال رسول الله ﷺ : « يطيع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب » (٣) وقال رسول الله ﷺ : « لا تزال أمتى بخير ما لم تر الأمانة مغنا والمصلحة مغرما » وقال ﷺ : « أد الأمانة إلى من ائتمن ولا تخن من خانك » (٤) .

(١) آية (٧٢) سورة الأعراف .

(٢) (صحيح) أحمد ٣ / ١٣٨ ، وصحيح الجامع (٧١٧٩) .

(٣) (ضعيف) أحمد ٥ / ٥٥٢ ، وضعيف الجامع (٦٤٣١) والصيغة (٣٢١٥) .

(٤) (صحيح) أبو داود (٣٥٣٤) ، وصحيح الجامع (٢٤٠) .

من صحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ^(١) . أي إذا أئتمنته أحد بكلمة خافه بافشاها ليس بصدق حانه بانكارها وعدم حفظها واستعمالها بعير إيمه ، فحفظ الأمانة صفة الملائكة المقربين والرسولين وشيعة الأبرار المتقين . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) قال المفسرون هذه الآية مشتملة على كثير من أمهات الشروع ومحمد به عموم المكلفين الولاية وغيرهم فيجب على الولاية إصناف المظنوم وإظهار حقه وفئة أمانة وحفظ أموال المسلمين لأسيما الرثامي ، ويجب على العلماء تعليم العوام أحكام دينهم بغير أمانة اختار لمعظها العلماء . ويجب على الوالد رعاية ولده بحسن التأديب إذ هو أمانة عنه . وقال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ^(٣) .

وفي زهر الرضا يؤتى بالمعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى : أردت أمانة فيقول لا يارب فيأمر الله تعالى ملكا فيأخذ بيده وينطلق به إلى جهنم ويريه الأمانة بعينها في قعر جهنم فيهرى فيها سبعين عاما حتى يتهدى إلى قعرها ثم يصعد بالأمانة فإذا بلغ أعلى جهنم زلت قعره فيهرى فيها ، كذلك ثم يصعد ثم يهبط وهكذا حتى يدركه لطف ربه بشفاعه الصالحين ﷺ فيرضى عنه صاحب الأمانة .

وروى عن سلمة قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ أتى يجتاز ليصلي عليها . فقال هل عليه دين قالوا لا فصلى عليها ثم أتى يجتاز أخرى فقال هل عليه دين قالوا نعم قال فهل ترك شيئا قبلنا ثلاث ذنائب فصلى عليها ثم أتى بثالثة فقال هل عليه دين قالوا نعم فقال ﷺ هل ترك شيئا قبلنا : لا قال : صلوا على صاحبكم . وعن قتادة - رضي الله عنه - قال : « قال رجل يا رسول الله لو أريت إن كنت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير ملير يكفر الله عنى خطاياي قال نعم فلما أخبر الرجل ناداه فقال يعمر الله للشهيد كل ذنب إلا الدين » ^(٤) .

الباب الرابع عشر

في إتمام الصلاة بالخضوع والخشوع

« وَتَعَالَى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ ^(٥) .

إعلم أن الخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالحروف والرهية ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الإلتفات والعبث . وقد اختلفوا في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين . واستدل من قاله بالأول بحديث : « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل » ، ويقولون تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ^(١) والعقبة تضاد الذكر ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَالِينَ ﴾ ^(٢)

أخرج البيهقي عن محمد بن سيرين قال نبئت أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت الآية . وراد عبد الرزاق عنه فأمره بالخشوع فرمى بصره نحو مسجده . وأخرج الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة كان ﷺ إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت هذه الآية فطأها رأسه .

وروى عن الحسن أن النبي ﷺ قال : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم كثير الله يقتل فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى ببلنه من الذنوب شيئا » ^(٣) يعني أن الصلوات تطهر من الذنوب ولا تبقى منها شيئا فيما دون الكياف وهذا إذا صلى بخشوع وحضور قلب ولا فهي مردودة عليه وقال ﷺ : « إنما فرغت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت للناسك لإقامة ذكر الله تعالى » فإذا لم يكن في قلبك المذكور الذي هو المقصود والمبتغى غفلته ولا هيته فما قيمة ذكرك . وقال ﷺ : « من لم تنته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » ^(٤) .

وقال بكر بن عبد الله بن أبي آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت ، قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت كان رسول الله ﷺ يحدثنا ويحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم يعرفه أشغالا بعظمة الله عز وجل وقال ﷺ : « لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع يده » .

وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع ويحجب قلبه على ميلين . وكان سعيد التتوخي إذا صلى لم تنقطع الذمير من عليه على لحيته . ورأى رسول الله ﷺ رجلا يعيب بلحيته في

(١) آية (١٤) سورة طه

(٢) آية (٢٠٥) سورة الأعراف

(٣) (صحيح) مسلم (٦٦٧-٦٦٨)

(٤) (ضعيف) الطبراني (١١) / ٥٤ ، وضعيف الجامع (٥٨٣٤)

١١ - صحيح بخاري (٣٣) و٢٦٨٢ و٢٧٤٩ (٢) آية (٥٨) سورة النساء .

٣١ - صحيح بخاري (٢٥٥٤) . (٤) (صحيح) أحمد (٢٢٠ / ٢٢٠) ، وصحيح الجامع (٨١٦٩)

١٢ - سورة طه

الصلاة فقال : « لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه »^(١)

وروى أن علياً كرم الله وجهه كان إذا حضرت الصلاة ينزلون ويقلون وجهه فيقال له مالك يا أمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها . وروى عن علي بن الحسن أنه كان إذا توضأ أصفر لونه فيقول له أمه مالم يترك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم .

وروى عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلته فقال إذا حانت الصلاة أصبحت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقمع فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى الصلاة أجعل الكتف بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنب عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت ورائي وأقنها آخر صلاتي أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا يتحقق وأقرأ قراءة يتربل ولركع ركعها بتواضع وأمسجد سجوداً بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر ظمها وأنصبي قدم اليمنى على الأبهام وأتبعها بالإخلاص ثم لا أدرك أقبليت مني أم لا .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ركعتان مفصلتان في شكر خير من قيام ليلة والقلب ساكن .

وقال رحمه الله : « يأتي في آخر الزمان ناس من أمي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يحاسبهم فليس لهم بهم حاجة » .

وعن الحسن أن النبي ﷺ قال : « ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة قالوا من هو يا رسول الله قال الذي يسرق من صلاته ، قالوا كيف يسرق من صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها »^(٢) وقال رحمه الله : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن قد أتتها حرق عليه الحساب وإن كان قد استغفر منها شيئا قال الله تعالى لللائكة هل لعبدي من تطوع فأتوا الفريضة منه »^(٣) وقال رحمه الله : « ما أعطى عبد عطاء خيراً من أن يؤدي له في ركعتين يصليهما » .

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا أراد القيام إلى الصلاة ترتعد فرقتاه وتصطف أسنانه فقبل له بذلك قال حين وقت أداء الأمانة وفداء الفريضة ولا أدري كيف أؤديها .

حكى : عن خلف بن أيوب أنه كان قائماً في الصلاة فللحظة زبجور فسال منه الدم وهو لا يشعر حتى خرج ابن سعيد فأعلمه بذلك فسال ثوبه فقبل له يلدحك زبجور ويسيل منك الدم ولم

(١) (موضح) البيهقي ٢ / ٢٨٩ ، والمصنف (١١٠) ، ومفيد الجامع (١٨٢١)

(٢) (صحيح) أحمد ٣ / ٥٦ ، وصحيح الجامع (٩٨٦)

(٣) (صحيح) أحمد ٤ / ٦٥ ، وأبو داود (١٤٢٦) ، وصحيح الجامع (٢٥٧٤)

تسمر به فقال أشعر بمثل هذا من يكون واقفاً بين يدي الملك لجبار وملك الموت على قفاه والنار عن شماله والصراط تحت قدميه .

ووقعت الأكلة في يد عمرو بن در وكان جديلاً في الزهد والمعبادة فقال له الأطباء لا بد لك من قطع هذه اليد فقال أقطعوها فقالوا لا تقدر على قطعها إلا أن نشدك بالجبال فقال لا ولكن إذا شرعت في الصلاة فأقطعوها حيث شئت ، فلما دخل في الصلاة لصمت يده ولم يشعر بذلك .

الباب الخامس عشر

فصل في ما بالعصاة والنهي عن المنكر

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى على مرة خلق الله تعالى من نفس الصلي غمامة يضاء ثم يأمرها الله تعالى أن تأخذ من بحر الرحمة فتأخذ ثم يأمرها الله تعالى أن تطر فإذا أسطرت ، فأى قطرة قطرت من الجبال يخلق الله تعالى منها الفضة ، وأى قطرة قطرت على كافر رزقه الله تعالى الإيمان »^(١) .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(٢) قال الكلبي هذه الآية تتضمن بيان حال هذه الأمة في الفضل على غيرها من الأمم ، وفيها دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأم على الإطلاق وأن هذه الخبرة مشتركة بين أول هذه الأمة وآخرها بالنسبة إلى غيرها من الأمم ، وإن كانت متعاقبة في ذاتها كما ورد في فضل الصحبة على غيرهم . ومعنى أخرجت : أظهرت للناس أي لغتهم ومصلحتهم في جميع الأعصار حتى غيبت وعرفت .

وقوله تعالى : ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُقِيمُونَ بِاللَّهِ ﴾^(٣) .

كلام مستأنف يتضمن بيان كونهم خير أمة ما يشتمل عليه من أنهم خير أمة ما أقاموا على ذلك وأنصفوا به فإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر زال عنهم ذلك ، فجعلهم الله خير الناس لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاثلون الكفار ليسلموا فترجع متعتهم على غيرهم كما قال رحمه الله : « خير الناس من ينفع للناس وسر الناس من يضر الناس »^(٤) .

(١) لوائح الوضع ظاهرة عليه

(٢) (٣ ، ٢) آية (١١٠) سورة آل عمران

(٣) (١) أورد المصنف في كشف الحقائق ١١ / ٤٧٢ ، وقال : لم أر من ذكره حديث ، فراجع ، لكن معناه صحيح

ومعنى بلفظ « خير الناس أنفعهم للناس » ، وهو حديث (حسن) انظر (صحيح الجامع) (٣٢٨٩)

« تؤمن بالله » أي تصدقون بتوحيد الله وتتبعون على ذلك وتقررون أن محمدًا نبي الله ، من كثر بحمد الله لم يؤمن بالله لأنه يزعم أن الآيات المعجزات التي أتى بها من عند نفسه .
 -- وقال الله : « من ولي متكررا فليخبره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك سلف الإيمان » . يعني أضعف فعل أهل الإيمان .

قال بعضهم التفسير باليد للأمراء ، وباللسان للعلماء ، وبالقلب للمساكين . قال بعضهم : من يلمس على ذلك فالواجب عليه أن يخبره كما قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى تعاونوا على الإثم والعدوان » (١) الآية . ومن التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير إليه وسد سبل الشرور والعدوان بحسب الإمكان .

وقال الله في حديث آخر : « من اتهم صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيماننا ومن آمن صاحب بدعة ملأه يوم الموعظ الأكبر ومن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله » (٢) .

عن حذيفة - رضي الله عنه - قال يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم .

قال موسى يا رب ما جزاء من دعا أخاه وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ؟ قال أكتب له بكل ليلة عبادة سنة وأستحي أن أحمله يتارى .

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : « يا ابن آدم لا تكن من يؤخر التوبة ويطول الأمل يرجع إلى الآخرة بغير عمل ، يقول قول العاصي ويعمل عمل المنافق ، أن أعطى لم يتق وأمن لم يصبر ، ويحب الصالحين وليس منهم ، ويحضر المنافقين وهو منهم ، يأمر بالخير ولا فعله ، وينهى عن الشر ولم ينه عنه » .

وعن علي كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « سيأتي قوم في آخر الزمان يحدث الأسنان نواقص العقل يقولون من قول خير البرية لا يعملون حناجرهم ، يعرفون من دين كما يعرف السهم من الرمية » (٣) .

وقال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسرى بي إلى السماء رجلا لا تعرض شملهم بمقاريض من النار قلت من هؤلاء يا حبيب قال هؤلاء حظاء أمك الذين يأمر الناس بالنار ويسبون أنفسهم »

(١) آية (٢) سورة المائدة .

(٢) (موضوع) كتب الخطأ ٢ / ٣٠٨ ، وقال . قال الفارسي . موضوع

(٣) (صحيح) البخاري (٦٩٢٤) ، ومسلم (١٤٣-١٤٥)

كما قال الله تعالى في حقهم « اتأمروا الناس بالنار وتسون أنفسكم وأنتم تطون الكتاب فلا تطون » (١) يعني تطون كتاب الله ولا تعملون بما فيه فكأنوا يأمرون بالصدقة ولا تصدقون .

يجب على المؤمنين أن يأمروا وينهوا عن المنكر ولا يسوا أنفسهم كما قال الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحلون الصلاة » (٢) الآية . فقد نعت المؤمنين بأن يأمروا بالمعروف فالذي هجر الأمر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المعتبرين في هذه الآية . وقد ذم الله أقواما بترك الأمر بالمعروف فقال : « كانوا لا يتحرون عن منكر فظروا نفس ما كانوا يفعلون » (٣)

وروي عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجعل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويذهب أخباركم فلا يستجيب لهم ويستصرون فلا ينصرون ويستغفرون فلا يغفر لهم .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قال رسول الله ﷺ : « غلب الله أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا عملهم عمل الأنبياء قالوا يا رسول الله كيف ؟ قال لم يكونوا يتخضبون لله ولا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

وقال أبو ذر الغفاري قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله ﷺ : « نعم يا أبا بكر إن لله مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء أحياء موزوقين يحشون على الأرض يماي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر - رضي الله عنه - يا رسول الله ومن هم قال . الأمرون بالمعروف والنهون عن المنكر وللمحبون في الله والمبغضون في الله ثم قال والذي نفسي بيده إن العبد ليكون في العرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء لكل غرفة منها ثمانمائة باب منها الياقوت والزمرد الأخضر ، على كل باب نور وأن الرجل منهم ليتزوج بثمانمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين ، كلما التمت إحداهن فظفر اليها تقول له أنذكر يوم كنا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر ، وكلما التمت إحداهن فذكرت له مقاما أمر فيه بالمعروف ونهى عن المنكر » .

وفي الخبر أن الله تعالى قال : « يا موسى هل عملت لي عملا قط قال أي صليت لك وصمت لك وتصدقت لأجلك وسجدت لك وحملت لك وقرأت كتابك وذكرتك » . قال الله تعالى : « يا موسى أما الصلاة فلك برهان وأما الصوم فلك جنة وأما الصدقة فلك ظل وأما

(١) آية (٢٦) سورة التوبة

(٢) آية (٩٤) سورة البقرة .

(٣) آية (٧٩) سورة المائدة

السيح فلن نور ، عمل عملت لي ، قال موسى دنني يارب على عمل أعمله لك قال يا موسى هل واليت لي وليا قط وهل عادت لي عدوا قط . فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب لله والأولياء والبخش لله ولاعدائه .

وقال أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - قلت يا رسول الله : « أي الشهادة أكرم على الله عز وجل : قال رجل قام إلى والد جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله ، فإن لم يقتله فإن أقدم لا يجرى عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش »^(١) وقال الحسن البصري رحمه الله قال رسول الله ﷺ : « أفضل شهادة أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك لشهيد منزلة في الجنة بين حمزة وجعفر »^(٢).

وأوحى الله إلى يوشع بن نون - عليه السلام - أني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيرهم وستين ألفا من شرارهم فقال يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال : إني لم يفضيوا لبعضي وواكلوهم وشاربوهم .

وهن نفس - رضي الله عنه - قال : « قلنا يا رسول الله ألا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ، ولا تنهى عن المنكر حتى نجتنبه كله ؟ فقال ﷺ بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، وانتهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله » . وأوصى بعض السلف بيه فقال إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله ، فمن وثق بالثواب من الله لم يجد من الأذى .

الباب السادس عشر

في مداواة الشيطان

يجب على المؤمن أن يحب العلماء والصلحاء ويلتزم مجالستهم ويسأل ما لا بد له ويتمتع بصحبتهم ، ويجب لأعداء القبيحة ويتعد الشيطان عدوا كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾^(١) . أي : فعدوه بطاعة الله تعالى ولا تطيعوه في محاسن الله تعالى وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعفائدكم عن صميم قلوبكم ، وإذا فعلتم فعلا فتخطوا له فإنه ربما يدخل عليكم فيه الرياء ويزين لكم القبايح واستعينوا عليه بربكم .

قال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - خط لنا رسول الله ﷺ خطا وقال : هذه سبيل الله

(١) (صحيح) مجمع الزوائد ٧ / ٢٧٢ ، وراه إبي (البزار) وقال : فيه عن لم أخرجه ثقات

(٢) (تحف السادة الخلفي) ٧ / ١٢

(٣) آية (٦) سورة فاطر

ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا : ﴿ وَإِنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَلَاتَتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَرْكُوكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾^(١) فبين لنا ﷺ كثرة طرق الشيطان^(٢) .

روى : عن النبي ﷺ أنه قال كان راهب في بني إسرائيل لعبد الشيطان إلى جارية فختنها وألقى في قلوب أهلها أن دواعي عند الراهب فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزاول به حتى فلتها فلما كانت عند ليحاليها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقمها فحملت منه موسوس إليه وقال الآن تفتضح بأتيك أهلها ماقتلها فإن سألتك فقل ماتت مقلتها ودفنها فأبى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أسبلها ثم قتلها هو ودفنها فأتاه أهلها فسألوها عنها فقال ماتت فأخلوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذي خنتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها فأطعنني تنج وأخلصك منهم ، قال مجاهد قال اسجد لي سجدتين ففعل فقال له أني يرى منك . فهو الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾^(٣).

وروى أن إبليس سأل الشافعي - رضي الله عنه - ما قولك فيمن خلقني كما اختار واستعملني فيما اختار وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار ؟ فنظر في كلامه ثم قال يا هذا أن كان خلقت لآ تترك أنت فقد ظلمت وإن كان خلقت لما يريد هو فلا يستل عما يعمل ، فاضمحل إلى أن صار لاشيء ثم قال والله يا شافعي لقد أخرجت بمسئتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية .

واعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومخارج ثلجه ولا قدر على حراسة أبوابه من لا يدريها .

فحماية القلوب عن وسوس الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضا واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله ومخارج ومعرفة مداخله واجبة ، ومداخله وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة .

منها الغضب والشهوة : فإن الغضب غول العقل وإذا ضعف العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة . وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس أرى كيف تغلب ابن آدم فقال أحده عبد المصعب وعبد الهري .

(١) آية (٥٣) سورة الأنعام

(٢) (صحيح) البحاري (٦٤١٨) .

(٣) آية (١٦) اخضر .

ومنها الجسد والحرص : فمهما كان العبد حرصا على كل شيء أعماله حرصه وأسمه يحسنه بعد الشيطان فرصة فيحسنه عند الحرص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكرا فاحشا ، فقد روى أن نوحا - عليه السلام - لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى من السمكة شيئا لم يعرفه ، فقال له نوح ما أدخلك فقال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي ولبدانهم معك ، فقال نوح اخرج منها ما عدو الله فأتاك لعين فقال له إبليس حملت بهن الناس وسأحدثك منهن ثلاث ولا أحدثك بأثنين فأوحى الله إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين فقال له نوح ما الاثنان فقال هما القتان لا تكلماني هما القتان لا تخلصني بهما أهلك الناس الحرص والحسد فها لحسد لعنت وجمعت رجيسا ، وأما الحرص فإنه أبيع لأدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص .

ومنها الشبع من الطعام وإن كان حلالا صافيا : فإن الشبع يورث الشهوات وهي أسلحة الشيطان .

فقد روى أن إبليس ظهر ليحيى - عليه السلام - فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له يا إبليس ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال فهل لي فيها من شيء قال ربما شبعت فتفلك من الصلاة وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله على لا أملا بطي من الطعام أبدا فقال له إبليس والله على أن لا أنصح مسلما أبدا .

ومنها حب التزين من الأثاث والثياب والدار : فإن الشيطان إذا رأى ذلك غاليا على قلب الإنسان باض فيه ، وفرغ فلا يزال يدهوه إلى عمارة الدار وترتيب سقوفها وحيطانها وتوسيع أبوابها ويدهوه إلى الترتيب بالثياب والدواب ويستخره فيها طول عمره فإذا أوقعه في ذلك فقد استمضى أن يعود إليه ثانية فإن بعض ذلك يجره إلى البغض إلى أن يساق إليه أجله ليموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة نموذج بالله .

ومنها الطمع في الناس : فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس مثل لعبد الله بن حنظلة فقال له يا ابن حنظلة اعطيت حتى شيئا أملكك به فقال له لا حاجة لي به قال فقل إن كان خيرا أعطيت وإن كان شرا وعدت يا ابن حنظلة لا تسأل أحدا غير الله سؤال رغبة وتظر كيف إذا غلبت غرائي أملكك إذا غضبت .

ومنها المعجلة وترك التثبت في الأمور قال رحمته . « المعجلة من الشيطان والثاني من الله تعالى فعند الاستجمال يروج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري » ^(١)

(١) (حسن) البيهقي ١/ ١٠٤ و ١٠٤ / ١٠٤ ، وكشف الخفاء ١ / ٣٥٠

فقد روى أنه لما ولد عيسى ابن مريم - عليه السلام - أتت الشياطين إبليس فقالوا لو أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها ففلك هذا حدث قد حدث مكانكم فطار حتى أتى خافض الأرض فلم يجد شيئا فوجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا بالملائكة حافين به فرجع إليهم فقال إن ميا قد ولد الباهرة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فابتسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ، ولكن اتوا بني آدم من قبل المعجزة والحقة .

ومنها اللذاهم والنفائير وسائر أصناف الأموال من المروغى والشوابع والعقل فإن كل ما يريد على قدر القوة والحاجة فهو مستقر الشيطان قال ثابت البناني لما بعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أحيوا ثم جاءوه وقالوا ما ندري قال أنا أتيتكم بالخبر فلبث ثم جاء وقال قد بعث الله محمدا ﷺ قال فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا يوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحق ذلك فقال لهم إبليس رويدا عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فتصيب منهم حاجتنا

ومنها البخل وخوف الفقر فإن ذلك هو الذي يمنع من الإتفاق والتصدق ويدهو إلى الإدخار والكثرة والميلاب الأليم . ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجميع المال وهي معيش الشياطين .

ومنها التعصب للمذاهب والأهواء ولحقده على الخصوم والنظر لهم بعين الاحتقار وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعا . قال الحسن - رضي الله عنه - بلغنا أن إبليس قال سألت أمة محمد ﷺ المعاصي فقصموا ظهوري بالاستعمار فسول لهم دنيا لا يستغفرون الله منها وهي الأهواء وقد صدق للمعول فإنهم لا يعلمون أن في ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها .

ومنها سوء الظن بالمسلمين فيجب الاحتراز عنه وعن تهمة الأشرار فمهما رأيت إنسانا يسئ الظن بالناس طلبا للعيوب فاعلم أنه خبيث باطل وأن ذلك خبيث يترشح منه فيجب على الإنسان قطع هذه الآثواب من القلب ومباعدة عنها ذكر الله تعالى .

قال بن اسحاق لما رأى كفار قریش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له ﷺ أصحاب من غيرهم فحللوا غروجه وعرفوا أنه أجمع لحرهم فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب وصميت بذلك لا اجتماع الندى فيها يتشاورون ، وكانت قریش لا تقضى أمرا إلا فيها ولا يدخلون فيها غير قریش إلى أن يبلغ أربعين سنة بحلاف القریش وقد أدخلوا أبا جهل واجتمعوا يوم السبت ولما ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة ومعهم إبليس في صورة شيخ مجذبي . وذلك أنه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت قيل كساء قليل أو طيسان من غز فقالوا عن

الشيخ قال من يجد معج بالذي أعندكم له فحضر لسمع ماتفلون وعسى أن لا يهلككم رأيا
 يصحاح . قالوا فدخل فدخل فتشاوروا في أمر النبي ﷺ وكانوا مائة رجل وقيل كانوا خمسة عشر
 رجلا فقال أبو الحرى المقتول كما را بيدر أحبوه في الحديد وأخذوا عليه بابا ثم تربصوا به ما
 أصاب أشباهه من الشجره قبله ، فقال النجدي ما هذا برأى والله لو حسبتموه في الحديد ليخرجن
 أمره من وراء الباب الذي الذي أغلقتن دونه إلى أصحابه فلا وشكوا أن يشبوا عليكم فيترعوه من
 أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا برأى فانظروا في خبره فقال الأسود ابن
 ربيعة بن عمرو العامري نخريه من بين أظهرنا فتسبه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي
 لعنه الله والله ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي
 به والله لو فعلتم ذلك ما أمتت أن يحل على حى من العرب فيقلب بملك حليهم من قوله حتى
 يتأمنوه عليكم ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يعص بكم ما لواد أجهروا فيه رأيا غير
 هذا فقال أبو جهل والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقمتن عليه ، أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى
 شابا جلدا بسيما وسيطا ثم تعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل
 واحد فيقتلوه فتستريح منه وتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبيد مناف على حرب قومهم
 مبيعا فمقله لهم . فقال النجدي لعنه الله القوم ما قال لا أرى غيره فاجمع رأيهم على قتله ﷺ
 تفرقوا على ذلك ثم أتى جبريل النبي ﷺ فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت
 عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرمونه حتى ينال فيشوا عليه فأمر - عليه السلام - عليا فنام
 مكانه وغطى يرد له ﷺ أخضر كان يشهد به الجمعة والعيدين بعد ذلك عند فعلهما فكان على أول
 شرى نعه فى الله ووفى بها رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول على رضى الله عنه (شعر) :

وقيت يرمى خير من وطئ الثرى •• ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
 رسول الله غصاف أن يمكروا به •• ففجاء ذو الطول الإله من المكر
 وبات رسول الله فى الدار أمانا •• موفى ومى حفظ الإله وفى ستر
 وبت أراعيهم وما يتهموننى •• وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

ثم خرج ﷺ من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم وبشر على
 رؤوسهم كلهم تريا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ يس ﴾ (١) إلى قوله : ﴿ فأنجيناهم فهم لا
 يمضون ﴾ (٢) ثم انصرف حيث أراد فأتاهم أت من لم يكن معهم فقال ما تنتظرون بها قالوا
 محمدا قال قد حبكم الله ولنه حرج عليكم ثم مبارك منكم رجلا إلا وضع على رأسه برا
 وانطلق لحاجته فلما ثرون ما بكم ؟ فوضع كل رجل يده على رأسه فافا عليه تراب ثم جعلوا

(١) سورة يس . (٢) آية (٩) سورة يس

يطعمون فيرون عليا على الفراش متسجيا بردة رسول الله ﷺ فيقولون والله إن هذا لمحمد نائم
 عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام على من الفراش فقالوا لقد صدقنا الذى كان يحدثنا
 . وفى هذا نزل قوله تعالى : ﴿ وإذا ينكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك ﴾ (١) .

لا تخرج عن فيمض تيسير •• وكل شيء له وقته وتفتتت
 وللمقدر فى أحوالنا نظير •• وفوق تدبيرنا لله تدبير

ثم أذن الله تعالى لبيه ﷺ فى الهجرة . قال ابن عباس بقوله تعالى : ﴿ وقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِى
 مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مَخْرَجَ صِدْقٍ واجعل لى من لى لك سلطانا نصورا ﴾ (٢) وأمره جبريل أن
 يستصحب أبابكر - رضى الله عنه - .

روى الحاكم عن علي - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال جبريل من يهاجر معى قال أبو بكر
 الصديق وأخبر ﷺ عليا بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الواضع التى كانت عنده
 للناس .

وروى الطبراني فى حديث أسماء كان النبي ﷺ يأتيها بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشبة فلما
 كان يوم من ذلك جاءها فى الظهيرة فقالت يا أبت هذا رسول الله ﷺ متفقا أى مغطيا رأسه فى
 ساعة لم يكن يأتيها فيها ، قال أبو بكر - رضى الله عنه - فدى له أبى وأمى والله ما جاء به فى هذه
 الساعة الا أمر .

قالت عائشة - رضى الله عنها - فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن له أبو بكر فدخل فتحمى أبو بكر
 إنما هم أهلكت عاتشة وأسماء . وفى رواية فقال أبو بكر لا عين عليك إنما هما ابتائى فقال ﷺ
 فدىه قد أدن لى فى الخروح فقال أبو بكر الصعبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله قال ﷺ بمم قالت
 عائشة - رضى الله عنها - فرايت أبا بكر يبكى وما كنت أحسب أن أحدا يبكى من الفرح فقال أبو
 بكر فخذ بأبى أنت وأمى يا رسول الله إحدى راحتي هاتين قال ﷺ لا بل بالثمن . وفى رواية
 فقال بتمتها إن شئت ، وإنما أخذها بالثمن لتكون هجرته ﷺ إلى الله تعالى بنفسه وماله وغبته منه
 عليه فى استكماله فضل الهجرة إلى الله تعالى . قالت عائشة فجهزناهما أحث أى أسرع الجهازا ،
 وصعدنا لهما سفرة أى راداه فى جراب ، راد الوادى أنه كان فى السفرة شاة مطبوخة قالت
 قطعت أسماء قطعة من نطقتها بكسر النون ما يشد به الوسط . قالت عائشة - رضى الله عنها - ثم
 لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بعار ثور فكما فيه ثلاث ليال وهو جبل بمكة نزله ثور بين عهد صاة
 صبله .

(٢) آية (٨٠) سورة الإسراء

(١) آية (٣٠) سورة الأنعام .

وروي أنهما خرجا من غوفة أي باب صغير لأيي بكر في ظهر بيته ليلا إلى الغار

وروي أن أبا جهل نفيهم فأعصى الله بصره عنهم حتى مضيا ، فارتب أسماهما بـ أبي بكر
ح - أبو بكر بمائة خمسة آلاف درهم ولما فقدت قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة أهلها وأسفلها
، عن النخاعة جمع فاقف وهو الذي يعرف الأثر في كل وجه فوجد الذي ذهب جهة ثور أثره هناك
من يرب ينمعه حتى انقطع الأثر لما انتهى إلى ثور وشق حبل قريش خروجه وجزهوا بذلك وجعلوا
مئة ناقة لمن يرهده .

وروي أنه لما دخلوا الغار وأبو بكر معه أنبت الله علي باب الرامة وهي شجرة معروفة بأمر
غيلان فحببت عن العار وأرسل حمامتين وحشيتين فرقنا علي وجهه فعشتا علي بابه وأن
ذلك مما صد المشركين عنه وأن حمام الحرم من تيتك الحمامتين .

ثم أقبل فتيا قريش من كل بطن بعضهم وهرأوبهم وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار
فرأي حمامتين وحشيتين يعم العار فرجع إلي أصحابه فقالوا له ما لك فقال رأيت حمامتين
وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد فسمع النبي ﷺ ما قال فعلم أن الله قد دواهم وقال آخر ادخلوا
الغار فقال أمية بن خلف وما أريكم أي حاجتكم إلي الغار إن فيه لعنكوتا أقدم من ميلاد محمد لو
دخل لكسر البيض وتفسخ العنكبوت . وهذا أبلغ في الإصهار من مقارعة القوم بالجور ، فتأمل
كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكمت
وجه المكان فحاكت ثوب سجدتها حتى عمي علي القالب الطلب ولقد حصل لها بذلك الشرف
وما أحسن قول ابن القيم

ودود القز إن نسجت حريرا • • • يجعل لبيته في كل شيء

فإن العنكبوت أجل منها • • • ما نسجت علي رأس النبي

وروي الشيخان عن أبي بكر قال حدثني أبو بكر قال قلت لربي ﷺ ونحو في أعمار لو أن
نفسهم نظر إلي قدميه لرأى فقال له رسول الله ﷺ ما ظنك بأشبه الله ثالثهما ^{١١٩} وذكر بعض
من السير أن أبو بكر لما قال ذلك قال له ﷺ لو جاءنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق إلي
عنه ما نزع من الحسد لأحر وردا البحر قد اتصل به وسمة مشدودة إلي جانيه وعن الحسن
مصري بلاغا أن أبا بكر ليده يطلع معه ﷺ إلي لمار كان يعيش بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة
سأله فقال أذكر الطلب فأشفي حلقك وأذكر الرصد فأشفي أمانك فقال لو كان شيء أحب أن
أجل درسي ، قال أي ولدي بعثت بأخي فلما انتهت إلي أعمار قال مكثت بـ رسول الله حبي

مشريء لك الغار فاستبرا فجعل يلتصق بيده فكلما رأي جحوا قطع من ثوبه والقمه الحجر حتى
فعل ذلك بشبه أجمع . فبني جحر فوضع عليه عليه لئلا يخرج ما جودي رسول الله ﷺ فدخل
رسول الله ﷺ ووضع رأسه في جحر أبي بكر ودم فلدغ أبو بكر في رجليه من الجحر ولم يتحرك
لئلا يوقظ المصطفى ﷺ فسقطت دموعه علي وجه رسول الله ﷺ فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت
فذلك أبي وأمي فمسح رسول الله ﷺ بريقه مكان اللدغة فذهب ما يجده ، ولقد أحسن حساؤين
ثابت - رضي الله عنه - حيث قال :

وثاني اثنين في الغار اللئيف وقد • • • طاف العدو به إذا صاحد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علمو • • • من الحلائق لم يحصل به بدلا •

وكان خروجه ﷺ من مكة يوم الخميس وخرج من الغار ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليل
وفلك من أول ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة ثلثي عشرة ليلة خلت منه .

حكى : أن زاهدا من الزهاد اسمه زكريا مرض مرضا شديدا ودنا وقت أجله فأتاه صديقه في
سكرات الموت ولقنه لا إله إلا الله محمد رسول الله فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقل فقال ثانيا
فأعرض ، فقال له ثالثا فقال لا أقول فغشي عليه صديقه فلما كان بعد ساعة وجد الزاهد خفة
ففتح عييه فقال هل قلتم لي شيء قالوا نعم عرضت عليك الشهادة فأعرضت في مرتين وقت في
الثانية لا أقول فقال أثنائي إيليس عليه اللعنة ومعه قدح من الماء ووقف عن يميني وهو يحرك القدح
فقال تحتج إلي الماء قلت بلي قال قل عيسى ابن الله فأعرضت عنه ثم أتاني من قبل رجلي فقال
بي كذلك فأعرضت عنه وفي الثالثة قال لي كذلك فقلت لا أقول ففصر القدح علي الأرض
وولي هاربا فأتاه وحدث علي إيليس لا عليكم فأتا أشهد لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبده
ورسوله .

وروي عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قال سألت بعضهم ربه أن يريه موضع الشيطان من
قلب ابن آدم فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يري داخله من خارجه ورأى الشيطان في
صورة ضفدع قاعد علي منكبيه الأيسر بين منكبيه وأذنه له خرطوم طويل دقيق أدخله من منكبه
الأيسر إلي قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى أحس .

اللهم لا تسلط عليا شيطانا مريدا ولا إنسانا حيوذا وأعنا علي ذكرك وتذكرك بجاه خاتم
أنبيائك ورسلك

الباب السابع عشر

في بيان الأمانة والتوبة

روى عن محمد بن المنكدر أنه قال سمعت أبي يقول بينما سعيان الثوري يطوف إدراي رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما إلا وهو يصلي على النبي ﷺ قال فقلت له يا هذا إنك قد تركت التسبح وتهليل وأقبلت بالصلاة على النبي ﷺ هل عندك في هذا شيء قال من أنت عافاك الله ؟ فقلت أنا سعيان الثوري قال لولا أنك واحد أهل زمانك ما أحررتك عن حالتي ولا أطمعتك علي سري ثم قال لي خرجت ووالدي حاجا إلي بيت الله الحرام حتى إذا كنت في بعض المنازل مرض والدي فمضت بشأته حتى مات فأسود وجهه فقلت إنا لله وأنا لله واجعون وخطيت وجهه فقلبت عينا عينا فمضت حزنا لم أر رجلا ثم أر أحسن منه وجهها ولا أنظف منه ثوبا ولا أطيب منه ريحا يرفع قدما ويضع أخرى حتى دنا من والدي من فكشف الإزار عن وجهه فأمر بيده علي وجهه فأبيض ثم ولي راجعا فتملقت بثوبه فقلت يا عبد الله من أنت الذي من الله علي والدي بك في أرض الغربة قال : «أوما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن أما إن والفك كان مسرورا علي نفسه ولكن كان بكسر الصلاة علي فلما نزل به منازل استعانت بي ولما خيأت لي أكثر الصلاة علي . فأنتهت فإذا وجه أبي قد ابيض .

وروي عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر عن النبي ﷺ أنه قال : «من نسي الصلاة علي فقد أخطأ طريق الجنة» (١).

إعلم أن الأمانة مأخوذة من الأمن لأنه يؤمن معها من منع الحق ، وعندما الحياة من الخوف وهو النقص لأنك إذا خفت أحدا في شيء فقد أدخلت عليه النقصان . قال رسول الله ﷺ : «المكر والخديعة والخيانة في النار» (٢) وقال ﷺ : «من عامل الناس علم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم فهو عن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته» (٣) ومدح أعرابي قوما فقال شفعوا برعي الأمانة فلا يندون بلمة ولا ينتهكون لمسلم حرمة ولم تعلق بهم ذمة فهم خير أمة أئول وهؤلاء الذين مدحهم الأعرابي قد انقضوا فلم ترفي هذه الأمانة إلا فلما في ثياب كما قال .

من يثق الإنسان فيمساويه ••• ومن أين للحزب الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ••• دنيا علي أجسادهم ثياب

(١) (صحيح) ابن ماجة (٩٠٨) ، وصحيح الجامع (٦٥٦٨) .

(٢) (حسن) إسناده / ٦٠٧ ، وصحيح الجامع (٦٧٢٦) .

(٣) تاريخ أصفهان ٣٠٠ / ٢

وكما قال آخر :

ذهب الدين يقال عند فراقهم ••• ليت البلاد وما بها تنصدع

وعن حذيفة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «إن الأمانة مترفع ويصبح الناس يتبايعون وما يكاد أحد منهم أن يؤدي الأمانة وحتى يقال أن في بني فلان أمينا»

واعلم أن التوبة واحدة بالأخبار والآيات ، قال الله تعالى : «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (١) وهذا أمر علي العموم . وقال الله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا» (٢) ومعنى النصوح الخالص لله تعالى حاليا من الشوائب مأخوذ من النصح ويدل علي فضل التوبة قوله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُصْطَفِينَ» (٣) بقوله ﷺ : «الثائب حبيب الله والثائب من الذنب كمن لا ذنب له» (٤) وقال رسول الله ﷺ : «لله أفرح بتوبة العبد المؤمن من رجل مرل في أرض مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فام بومه فاستيقظ وقد دعت راحلته لفلانها حتى إذا أشد عليه الحر والعطش أو ماشاء الله قال أرجع مكاني الذي كنت به فأتاهم حتى أموت فوضع رأسه علي ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فآله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا يراجلته» (٥) .

ويروي عن الحسن قال لما تاب الله علي آدم - عليه السلام - هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل - عليهما السلام - فقالا يا آدم فرمت عينك بتوبة الله عليك فقال آدم - عليه السلام - يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي فلوحى الله إلي يا آدم وركت فركت التائب والصب وورثهم التوبة فمن دهاني منهم ليته كما ليته ومن سألني للمغفرة لم أبخل عليه لأنني قريب محبب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين فساكنين ودهالهم مستجاب . وقال ﷺ : «إن الله عز وجل ييسر يده بالتوبة لسيء الليل إلي النهار ولسيء النهار إلي الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» (٦) ويسر اليد كتابة عن طلب التوبة والطالب وراء القابل قرب قاس ليس بطاب ولا طاب إلا هو قبل . وقال ﷺ : «لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم نعمتم لتاب الله عليكم» (٧) وقال ﷺ : «إن العبد ليدنس الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عيه ثوبا مه فإرا حتى يدخل الجنة» (٨) وقال ﷺ : «كمارة الذنب

(١) آية (٣١) سورة التوبة .

(٢) آية (٢٢٢) سورة البقرة .

(٣) (صحيح) مسلم (٢٧٤٦) .

(٤) إسناده الحسن / ٥٢٤

(٥) (صحيح) ابن المبارك (٥٢) ، وصحيح الجامع (١٥٠٣) والضعيفة (٢٠٣١)

(٦) آية (٨) سورة التوبة

(٧) سبق تخريجه

(٨) (صحيح) مسلم (٢٧٥٩)

الندامة . وقال ﷺ : « الثائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

ويروي أن حبشياً قال يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من ثوبة قال : نعم فولي ثم رجع فقال يا رسول الله أكان الله يراني وأنا أعمى قال : نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت منها روحه .

ويروي أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظره فأنظره إلى يوم القيامة فقال وهزتك لاخرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى : وهزتي وجلالي لاخرجت عنه ثوبة مدام فيه الروح . وقال ﷺ : « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الورسخ » (١) من سعيد بن المسيب في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُورًا ﴾ (٢) في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال العسقل قال الله تعالى : بشر المنافقين بأنهم إن تبوأوا قبيلت منهم وحلروا الصديقون أني إن وضعت عليهم عدلي عذبته . وقال عبد الله بن عمر من ذكر حطية ألم بها فرجل منها قلبه صحت عنه في أم الكتاب .

ويروي أن نبيا من الأنبياء أذنب كل ما أوحى الله إليه وهزتي لئن عدت لأعذبك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وهزتك أن لم تعصمني لأهودن فعصمه الله تعالى .

ويروي أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من ثوبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينه فخر فان فقال إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتعلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يفلق فأعمل ولا تيأس .

ويروي أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرأة فرأى الشب في لحية فسأله ذلك فقال إلهي أطعك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك تقبلني فسمع قائلا يقول ولا يري شخصه أحببتنا فأحببتك وتركتنا فتركتك وعصيتنا فأهملناك وإن رجعت إلينا قبلتك .

ويروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « إذا تاب العبد تاب الله عليه وأسي الحظظة ما كانوا يكتبوا من مساوئ عمله وأسي جوارحه ما عملت من الخطايا وأسي كانه من لأرض ومقامه من السماء ليجمع يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه » (٣) .

ويروي عن علي - كرم الله وجهه - عن النبي ﷺ أنه قال : « مكتوب حول العرش قبل أن

يخلق الخلق بأربعة آلاف عام : وإني لعفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتلى » (١) .

واعلم أن التوبة فرض عين من الذنوب الكبائر والصغائر فورا فإن الإصرار على الصغائر يلحقها بالكبائر . قال الله تعالى ﴿ وَابْدِئْ إِذَا هُمْ أَفْحَشُوا أَو ظَنَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ (٢) الآية . والتوبة النصوح أن يتوب العبد ظاهرا وباطنا مادم غير عاجز على العود ومثل من تاب ظاهرا فقط كمثل مريضة سط عليها دياج والناس ينظرون إليها ويتعجبون منها فإذا كشفت عنها العطاء أهرصوا عنها فكذلك الخلق ينظرون إلى أهل الطاعة الظاهرة فإذا كشفت لعطاء يوم القيامة يوم تبلى السرائر أعرضت الملائكة عنهم ولذا قال ﷺ : « إن الله لا يظرني صوركم ولكن يظر إلي قلوبكم » (٣) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : كم من تائب يجيء يوم القيامة يظن أنه تائب وليس يتائب أي لأنه لم يحكم أبواب التوبة من التدم والعزم على عدم العود ورد المظالم لأربابها إن أمكن واستحل لهم منها أن تيسر ولا أكثر من الاستعفاء له ولهم عسي الله أن يرضيهم عنه ونسيان الذنب من أتبع للصلاب فعلى العاقل أن يعاسب نفسه ولا ينسي فنه كما قيل :

يا أيها المذنب للحصبي جرائمه • لا تنس فتبك واذكر منه ما سلفا

وتب إلي الله قبل الموت واتزجرا • يا عاصيا واعترف أن كنت معترفا

ويروي الفقيه أبو الليث يستله قال دخل عمر - رضي الله عنه - علي رسول الله ﷺ باكية فقال له رسول الله ﷺ : « ما يبكيك يا عمر » فقال يا رسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ : « أدخه يا عمر » قال فدخا وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ : « ما يبكيك يا شاب » قال يا رسول الله أبكتني دنوب كثيرة وحمت من جبار عصان علي فقال رسول الله ﷺ : « أشركت بالله شيئا قال لا قال أقتلت نفسا بعبر حق قال لا قال قتل الله يضر ذنبك ولو كان مثل السموات السبع والأرضين والحيال » قال ذنبي أعظم من ذلك قال ذنبك أعظم أم الكرسي قال ذنبي أعظم يا رسول الله قال ذنبك أعظم أم العرش قال ذنبي أعظم قال ذنبك أعظم أم إلهك يعني عمر الله قال بل الله أعظم وأجل قال فإنه لا يعمر الدنوب العظيم إلا الرب العظيم يعني عظيم التحاور ثم قال له رسول الله ﷺ أخبرني عن ذنبك قال إني أستحي منك يا رسول الله قال بل أخبرني قال يا رسول الله إني كنت أنش القبور مد سبع سنين حتي مائت جارية من بنات الأنصار فنبشت قبرها وأطعت كعبها ومضيت غير بعيد فقلب الشيطان علي فرجعت فجاءتها ثم مضيت غير بعيد وإذا بأخوارة قامت وقالت ويلك يا شاب أما تسحي من ديان أحل للمظلوم من الظالم تركني عريانة في عسكر الموتى وأوقعني جبا بين يدي الله عز وجل قال فوثب رسول الله

(٢) آية (١٣٥) سورة آل عمران

(١) الانعامات (٢٧٣)

(٣) صحيح مسلم (٣٣ - ٣٤)

(١) البقرة ٩ / ١٢٠

(٢) سورة الإسراء

(٣) صحيح ابن عساکر ٤ / ٢٨٦ ، وضعيف الجامع (٤٢١)

ﷺ وهو يدفع في قفاه ويقول يعاقبك ما أحوجك إلي البار أخرج عني فخرج شرب ثانياً إلي الله عاني أربعين ليلة فمات له أرمعون ليلة رفع رأسه إلي السماء وقال يا إله محمد ودم وإبراهيم إن كنت عمريت لي فأعصم محمدنا ﷺ وأصحابه ولا فأرسل ناراً من السماء فأحرقني بها وبجبي من عذاب الآخرة فهبط جبريل علي النبي ﷺ وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك أنت خلقت الخلق فقال بل هو خلقتني وخلقهم وروفي وروفهم قال جبريل - عليه السلام - يقول لك إله تعالي إنني ثبت علي الثواب ففدا النبي ﷺ الشاب ويشره بأن الله تعالي قاب عليه .

حكى أنه كان في زمن موسى - عليه السلام - رجل لا يستقيم علي التوبة كلما تاب أفسد ممكث علي ذلك عشرين سنة فأوحى الله تعالي إلي موسى قل لعبيدي فلان أبي غضبت عليه فبلغ موسى - عليه السلام - الرسالة إلي ذلك الرجل فحزن وذهب إلي الصحراء قائلاً إلهي أعدت رحمتك أم صرتك معصيتي أم نغدت حرائر عموك أم بغلت علي عبداً أي ذنب أعظم من عفوك والكرم من صفاتك القدسية واللؤم من صفاتي الحادثة أفنعتني صفتي صفتك وإذ حجبت عبادك عن رحمتك فمن يرجون وإن طردتهم فإني من يقتصدون إلهي إن كنت رحمتك قد نغدت وكان لابد من عذابي فأحمل علي جميع ذنوب عبادك فإني قد فديتهم بنفسي فقال الله تعالي يا موسى إذهب إليه وقل له لو كانت ذنوبك ملء لأرض لغفرتها لك بعد ما عرفتني بكمال القدرة والعفو والرحمة . وقال ﷺ : « ما من صوت أحب إلي الله من صوت عبد مذبذب تائب يقول يارب فيقول الرب ليبيك يا عبيدي مل ما تريد أنت عبيدي كييعض ملائكتي أنا عن بيتك وعن شمالك وفوقك وغريب من ضمير قلبك . . إشهدوا ياملائكتي أنني قد غفرت له » (١).

قال ذو النون المصري - رحمه الله - إن الله عابداً نصبوا أشجار الخطايا نصب رواق القلوب ومقوها بماء التوبة فقامت ندما وحزناً فجنوا من غير جنون وتبلدوا من خير وعي ولا بكم وأنهم هم البلعاء المصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا الصماء فورثوا الصبر علي طول البلاء ثم تولعت قلوبهم في المنكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتي وصلوا إلي علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلثوا خشونة المضجع حتي ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في العلا حتي أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وودعوا خنادق الجرع وعبروا جسور الهوي حتي نزلوا بفناء العلم واستفوا من ظلمير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا أبرياح النجاة في بحر السلامة حتي وصلوا إلي رياض الراحة ومعدن العز والكرامة .

الباب الثامن عشر

ففي فضل المتوحد

قال رسول الله ﷺ . « لا يدخل الجنة إلا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم من يرحم نفسه خاصة ولكن الرحيم من يرحم نفسه وغيره » (١) . ومعني رحمة نفسه أن يرحمها من عذاب الله تعالي بترك المعاصي والتوبة منها وفعل الطاعات والإحسان فيها ومعني رحمة لغيره أن لا يسي في أذية المسلم . قال ﷺ : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » (٢) ويرحم اليهائم فلا يكلمها ما لا تطيق . فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال : « بينما رجل يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل بها وشرب ثم طلع فإذا كلب يلهث من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني فملا خفه ماء ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر لله تعالي له ففعلوا قالوا يا رسول الله إن لنا في اليهائم لأجراً قل في كل ذات كبد رطبة أجر » (٣) .

وعن أنس بن مالك قال بينما هم - رضي الله عنه - هم ذات ليلة إذا مر برفقة قد نزلت فخشى عليهم السرقة فلقي عبد الرحمن بن هوف - رضي الله عنه - فقال ما الذي جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين قال مروت برفقة قد نزلت فحدثني نفسي أنهم إذا باتوا غاموا فخشيت عليهم السارق فانطلق بنا نحرسهم قال فانطلقنا فبعد قريباً من الرفقة بحرمان حتي إذا طلع الفجر نادى عمر - رضي الله عنه - يا أهل الرفقة الصلاة حتي إذا رآهم تحركوا انصرف فعلينا أن نقشدي بالصحابة - رضي الله عنهم - فقد مدحهم الله تعالي بقوله رحماء بينهم وكانوا رحماء علي المسلمين وعلي جميع الخلق وكانوا يرحمون أهل الذمة .

فقد روي عن عمر - رضي الله عنه - أنه رأي رجلاً من أهل الذمة يسأل علي أبواب الناس وهو شيخ كبير فقال له عمر - رضي الله عنه - ما أنصفك أخلفنا منك الخزينة ما دعت شايبا ثم ضيعت اليوم وأمر أن يجرى عليه قوته من بيت مال المسلمين .

وعن الحسن بن علي قال : « بدلاء أمتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولكن يدخلونها بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والرحمة لجميع المسلمين » (٤) . وعن رسول الله ﷺ أنه قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن لإرحموا من في الأرض يرحمكم من

(١) كنز العمال (٥٩٧٤)

(٢) صحيح البخاري (٦٤٨٤)

(٣) صحيح البخاري (٦٠٠٩)

(٤) كتاب الأولياء (٥٨)

السماء^(١) وعنه ﷺ : « من لا يرحم لا يرحم ومن لا يعمر لا يعمر له »^(٢) وقال أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ : « أربع من حق المسلمين عليك أن تدين محسبهم وأن تستعمر مدبهم وأن تعود من يرضهم وأن تحب قلوبهم »^(٣).

وروي أن موسى عليه السلام قال يا رب بأي شيء اتحدتني صفيا قال يرحمتك علي خلقي . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يتبع الصبيان فيشتري منهم العصافير فيرسلها ويقول اذهبي فعميشي . وقال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تلهي له سائر الجسد »^(٤) النبي والسهر^(٥).

حكاية : مر عابد من بني اسرائيل علي كتيب من رحل وقد أصابت بني اسرائيل مجاعة عظيمة فتسبي في نفسه أن هذا لو كان دقيقا لأشبع به بني اسرائيل فأوحى الله إلي نبي بني اسرائيل أن قل لعباد أن الله تعالى قد أوجب لك من الأجر ما لو كان دقيقا واشتبهت به الناس ولذلك قال رسول الله ﷺ : « نية المؤمن خير من عمله »^(٥).

حكى : أن عيسى عليه السلام خرج يوما فلقى إيليس ويده حمل وفي الأخري رماد فقال ما تفعل يا عدو الله بهذا العمل والرماد ؟ قال أما العمل فأجعله علي شغل المفتايين حتي يملغوا منها ، وأما الرماد فأضعه علي وجه اليتامي حتي يبيضهم الناس . وقال ﷺ : « إن اليتيم إذا صربت اهتر عرش الرحمن ليكافئه فيقول الله عز وجل يا ملائكتي من أيكي هذا الصبي الذي عييت أباه في التراب »^(٦) وقال ﷺ : « من أوى يتيما إلي طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة »^(٧) وفي روضة العلماء كان إبراهيم عليه السلام إذا أراد أن يأكل طعاما مني الخيل والميلين يطلب من يأكل معه ويكي علي كرم الله وجهه يوما فعيل مايكيك قال لم يأتي ضيف سلة سبعة أيام فأحذف أن يكون الله قد أهانني . وقال رسول الله ﷺ : « من أطعم جائعا يريد به وجه الله وجبت له الجنة ومن منع الطعام عن الجائع منع الله عنه فضله يوم القيامة وعطبه في النار » . وقال رسول الله ﷺ : « للسخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس قريب من النار »^(٨) . وقال ﷺ : « الجاهل وابيخل بعيد عن الله بعيد من الجنة بعيدا من الناس قريب من النار »^(٩) . وقال ﷺ : « الجاهل

(١) (صحيح) (أبردار) (٤٩٤١) ، وصحيح الجامع (٣٥٧٢) .

(٢) (صحيح) (البحاري) (٦٠١٣) .

(٣) (صحيح) (السنة) (٦ / ٢٥٢) .

(٤) (صحيح) (مسلم) (٢٥٨٦) .

(٥) (صحيح) (الطبراني) (٦ / ٢٢٨) ، وصحيح الجامع (٥٩٧٦) .

(٦) (صحيح) (أبي حنيفة) (٢ / ٧٢٢) .

(٧) (شرح) (السنة) (١٣ / ٤٤) .

(٨) (صحيح) (جدا) (الصحيح) (١٥٤) ، وصحيح الجامع (٣٣٤١) .

السخي أحب إلي الله من العابد البخيل^(١) وقال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يدخل الجنة أربعة بعير حساب : العالم الذي يعمل بعلمه ، ومن حج ولم يرث ولم يفسق حتي مات ، والشهيد الذي قتل في المعركة لإعلاء كلمة الإسلام ، والسخي الذي اكتسب مالا من الحلال وأعمه في سبيل الله بغير رياء هؤلاء يتارع بعضهم بعضا أيهم يدخل الجنة أولا ، وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله عبادا يختصهم بالنعم فتافع العباد فمن يدخل بملك المنافع علي العباد نفعها الله تعالى عنه وحولها إلي غيره »^(٢) وقال ﷺ : « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها مثلية إلي الأرض فمن أخذ بفضن منها قلده ذلك الفضن إلي الجنة »^(٣) وعن جابر رضي الله عنه قال : قال يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال : « الصبر والسماحة »^(٤).

وروي المتقدم بن شريح عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني علي عمل يدخلني الجنة قال : « إن من موجبات المغفرة بذل الطعام ، وإفشاء السلام ، وحسن الكلام »^(٥) .

الباب التاسع عشر

في بيان الخشوع في الصلاة

جاء في الخبر أن جبريل - عليه السلام - جاء يوما إلي النبي ﷺ وقال : يا رسول الله كنت رأيت ملكا في السماء علي سرير وحوله سبعون ألف ملك صموا بخدمته وكل نفس يتنفس ذلك الملك يخلق الله من نفسه ملكا والآن رأيت ذلك الملك علي جبل قال متكرر الجناح وهو يبكي فلما رأيته قال أتشع لي قلت ما جرمك قال كنت علي السرير ليلة المراج فمر بي محمد ﷺ مما نمت له فعاقبني الله بهذه العقوبة وجعلني في هذا المكان كما تري قال فتضرعت إلي الله لشغفت له فقال الله تعالى يا جبريل قل له حتي يصلي علي محمد فصلي فلك الملك عليك فعفا الله عنه وأنت جناحه .

إعلم : أنه ورد أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فإن وجدت ثمة قبلت منه وسائر عمله ، وإن وجدت ناقصة ردت إليه وسائر عمله وقال ﷺ : « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميران من أوفي أستوفي » . وقال يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها

(١) (تاريخ) (السابق) .

(٢) (تاريخ) (أصمهان) (٢ / ٢٧٦) ، وتذكرة (المصوغات) (٦٤) .

(٣) (صحيح) (المصوغات) (٢ / ١٨٢) ، وتذكرة (الشريعة) (٢ / ١٣٩) ، وصحيح الجامع (٣٣٤٠) .

(٤) (أحمد) (٤ / ٦٨٥) .

(٥) (صحيح) (تاريخ) (أصمهان) (١ / ٢٠٧) ، وصحيح الجامع (٢٢٣٢) ، والصحيح (١٠٣٥) .

سورة ، وقال ﷺ : « إن الرجلين من أمتي ليقرمان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد ورب ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض وأشار إلى الخشوع » قال ﷺ : « لا يظفر الله يوم عبادة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » (١) وقال ﷺ : « من صلى صلاة لوقتها وأبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي يضاه مسفرة تقول حفظك الله كما أحفظني ومن صلى صلاة لعبير وقتها ولم يسبح وخشوعها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء معلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلعب الثوب الخلق فيصرب بها وجهه » (٢) . وقال ﷺ : « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته » (٣) . وقال ابن مسعود رضي الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طغف فقد علم ما قال الله ﴿ وَبَلِّغْ لِلْمُظْفِرِ ﴾ (٤) وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي القريضة . وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول إذا حضرت الصلاة قوموا إلى نار وكم التي أوقدتموها فأطعموها . وقال ﷺ : « إنما الصلاة تمسكن وتواضع » . وقال ﷺ : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا وصلاة الفافل لا تمتع من الفحشاء والمنكر » (٥) . وقال ﷺ : « كم من قائم وليس له من قيامه إلا التعب والنصب » . وما أراد به إلا الفافل ، وقال ﷺ : « ليس للعبد من صلاة إلا ما عقل منها » وقال أهل المعرفة الصلاة أربعة أشياء ، الشروع مع العلم والقيام مع الحياء والأداء مع التعظيم والخروج مع الخوف . وقال بعض المشايخ من لم يجمع قلبه على الحقيقة قسدت صلاته . وقال رسول الله ﷺ : « في الجنة نهر يقال له الأفيح فيه حواري خلقهم الله من الرعرعان يلعب بالنر ويلبسون يسبحن الله بسبعين ألف لغة أصواتهن أطيب من صوت داود عليه السلام . ويقفن نعن فن صلى صلاته بالخشوع والحضور يقول الله تعالى لا أسكنه دارى ولا جعلته من زوالى » (٦) .

وروى أن الله تعالى أوحى إليه قل لعبادة أمتك لا يذكرنني فإن ذكرنني فاذكرنني وأنت تتمضى أعصاك وكى عند ذكرى خاشعا مطمئنا وإذا ذكرنني ماجس لسائك من وراء قلبك وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل واجبى بقلب وجل ولسان صادق .

وروى أن الله تعالى أوحى إليه قل لعبادة أمتك لا يذكرنني فإني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته فإذا ذكرنني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف إذا اجتمعت العفة والعصيان . قال بعض الصالحين رضي الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال

(١) أحمد ٢٢ / ٤ .

(٢) تحف السادة المظنين ١٢ / ٣ .

(٣) آية (١) سورة المظنين .

(٤) إن لم يكن موشوعا فهو ضميم

(٥) سبق تحريجه .

(٦) سبق تحريجه .

هيشتم في الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة . ورأى النبي ﷺ رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال لو شغ قلب هذا خشعت جوارحه وقال من لم يخشع قلبه ردت صلاته . وأعلم أن الله مدح الخاشعين المتواضعين في الصلاة في خير آية فقال : ﴿ فِي صَلَاتِهِمْ خاشعون ﴾ (١) ﴿ عَلَى صَلَاتِهِمْ يحافظون ﴾ (٢) ، ﴿ عَلَى صَلَاتِهِمْ والنور ﴾ (٣) قيل أن المصلين كثير والخاشعين في الصلاة قيس ، والخاشع كثير والدار قليل والطير كثير والمندليب قليل والعالم كثير والمعامل قليل والصلاة محل الخشوع ومعدن التواضع والخشوع وهذا علامة القبول فون لجواز شرط ولقبول شرط فشرط الخصال أداء فرضها وشرط قبول الخشوع . قال تعالى : ﴿ فَدُفِعَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴿ آية ﴾ والتقوى قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَهْتَفِلُ اللَّهُ بِمَنِ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٥) وقال ﷺ : « من صلى ركعتين مقبلا فيهما على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وأعلم أنه لا يلحق عن الصلاة إلا الخواطر الوردية الشافعة فلا بد من دفعها ودفعها قد يكون بالصلاة في مكان مظلم أو خيال من الشواغل من الأصوات والقرش المنقوشة والتجرد من الملابس الزينة بحيث تلهي إذا نظر إليها في الصلاة كما روى أنه ﷺ لما لبس الخميصة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزهها بعد صلاته وقال ذهبوا بها إلى أبي جهم فأتوها الهنئ أنما عن صلاتي وأمر ﷺ بتجنبه شرك نعله ثم نظر إليه في صلاته إذا كان جدينا فأمر أن يتزع منها ويرد الشراك الخلق وكان ﷺ في يده حاتم من ذهب قبل انتحريمه وكان على المبر فرمه وقاد، شعلنى هذا نظرة إليه وبغزة اليكم

ومن رجل آخر أنه صلى في حائط به والحيل مطوفة بشرها فنظر إليها فأعجبه ولم يدركم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فأجعله في سبيل الله عز وجل فباعه بدمسين ألفا ، وقال بعض السلف أربعة في الصلاة من اجفاء الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصا وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك . قال ﷺ : إن الله عز وجل مقل على المصلي ما لم يلتفت . وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد ويمضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من معظم من أباء الدنيا ، فكيف لا يتقاضه بين يدي ملك الملوك

وفي التواتر مكتوب يا ابن آدم لا تمجز أن تقوم بين يدي مصليا يا كذا فأن الله الذي تترت

(١) آية (٢) سورة المؤمنون .

(٢) آية (٢٣) سورة المدارج

(٣) آية (٩٢) سورة الأنعام .

(٤) آية (٧٧) سورة مائدة

(٥) آية (١) سورة المؤمنون .

من قلبك وبالعيب رأيت نوري .

وروي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال على المنبر : أن الرجل يشيب عارضا في الإسلام وما أكمل له تعالى صلاة ، وقبر وكيف ذلك ؟ قال لا يتم حشره وترى صمها وإقباله على الله - عز وجل - فيها . وسئل أبو العالية عن قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ ^(١) قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدرى على كم يتصرف أعلى شفع أم على وتر . وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج . وقال عليه السلام : قال الله تعالى : لا تنجو مني عبدي إلا بأداء ما افترضته عليه .

الباب العشرون

في بيان الغيبة والنميمة

إعلم أن الله سبحانه وتعالى نصي على ذم الغيبة في كتابه وشبه صاحبها بأكل لحم الميتة قال تعالى : ﴿ وَلَا يَخْبُ يَعْصَمُكُمْ بَعْضُ أَنْهَبِ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مِمَّا فُكِّرْتُمْ ﴾ ^(٢) وقال عليه السلام : كل المسلم على المسلم حرام إلا دمه وماله وعرضه ^(٣) وقال عليه السلام : إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني فيتوب ، فيتوب الله عليه وأن صاحب الغيبة لا يتوب له حتى يغفر له صاحبها ^(٤) وقالوا مثل من يختاب الناس كمثل من نصب متجنبا فهو يرمى بها يمينا وشمالا فهو يرمى بسنائه كذلك . وقال عليه السلام : من رمى أخاه بعيبه يريد بها شبهة أوقفه الله تعالى على حشر جهنم يوم القيامة حتى يخرج مما قال : وقال رسول الله عليه السلام : الغيبة ذكرك أخاك بما يكره ^(٥) أي سواء ذكرته بتقصان بدنه أو نسبه أو فعله أو قوله أو فعله أو ديبه في ثوبه وردائه ودابته ، حتى ذكر بعض المتقدمين لو قلت أن فلانا ثوبه طويل أو قصير يكون ذلك غيبة فكيف ما يكره من نفسه .

وروي أن امرأة قصيرة دخلت على النبي عليه السلام في بعض حاجاتها فلما خرجت قالت عائشة - رضي الله عنها - ما أقصرها فقال النبي عليه السلام : اغتبتها يا عائشة . وقال عليه السلام في ذم النميمة : شر الناس يوم القيامة ذو الوجهين في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار ^(٦) . وعن النبي عليه السلام أنه

(١) آية (٥) سورة الماعون (٢) آية (١٢) سورة الحجرات

(٣) (صحيح) مسلم (٢٥٦٤) ، وأحمد ٢ / ٢٧٧

(٤) (صحيح) البخاري (٢٢٠٤) ، وصحيح الجامع (٢٢٠٤) ، والضعيفة (١٨١٦)

(٥) (صحيح) الترمذي (١٩٣٤) .

(٦) (صحيح) البخاري (٦٠٥٨) ، ومسلم (٢٥٢٦)

قال : لا يدخل الجنة تمام ^(١) فإن قيل ما الحكمة في أن الله تعالى خلق كل مخلوق فإلى لسان ناطق وغير ناطق وليس لسنك لسان أصلا فليل لأن الله تعالى لما خلق آدم أمره بالملأكة بالسجود له فسجدوا كلهم إلا إبليس فلعنه الله وأخرجه من الجنة ومسحه فأعطى إلى الأرض فجاء إلى البحار فأول ما رآه السمك فأخبره بخلق آدم وقال إنه يصطد ويأخذ ذوات البحر وليرى مبلغ السمك ذوات البحر بخير آدم فأذهب الله لسانه

حكى : عن عمرو بن دينار أنه قال كان رجل من أهل المدينة له أخت في ناحية للمدينة فاشتكت فكان يأتيها يمدحها ثم ماتت وجهرها وحملها إلى القبر فلما دفنت رجع إلى أهلها ثم ذكر أن له كيسا كان معه فضيعة في القبر فاستعان برجل من أصحابه فأثاب القبر فنبشه فوجد الكيس فقال الرجل تنح حتى أنظر على أي حال هي لرفع بعض ما على الدحدل فإذا القبر يشتمل سرا مرجع إلى أمه فقال أحبري بسلام كانت أختي فقالت كانت أختك تأتي أبواب الجيران فتلقى أدبهم حتى تستمع الحديث لكني غشيت بالنميمة . فعلم أن هذا سبب عذاب القبر فمن أراد أن يتنجو من عذاب القبر فليحذر من النميمة والغيبة .

وحكى : عن أبي الليث البخاري أنه خرج حاجا فعمل في جيبه درهمين وحلف إن أغتبت أحدا في طريق مكة دامها أو آيا ماله على أن أتصدق بهما فذهب إلى مكة ورجع إلى منزله والدرهمان في جيبه فقيل له في ذلك قال لأن أرتي مائة مرة أحب إلي أن أغتاب مرة واحدة . قال أبو حفص الكبير لو لم أصم ومضيت أحب إلي من أن أغتاب إنسانا ثم قال من اغتاب فقيه جاء يوم القيامة مكتوما على وجهه هذا أبس من رحمة الله وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال قال رسول الله عليه السلام : مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأطرافهم ويأكلون الجيفة فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس في الدنيا . وقال الحسن - رضي الله عنه - والله للنميمة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الحسد . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - يعضر أحدكم القدي في حين أخيه ولا يصير الجذع في حين نفسه .

وروي أن سمعان كان في سفر مع أبي بكر وعمر وكان يضحك بهم فمروا بامرأة فنهاهم أن يصلح لهم من الطعام فمضوا إلى أبي بكر عليه السلام ليظهر عنده شيئا من الطعام فلم يجد مخرج إليهم فعلا أنه هو ذهب إلى شريك ليس ماؤه فزلت هذه الآية ﴿ وَلَا يَخْبُ يَعْصَمُكُمْ بَعْضُ أَنْهَبِ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مِمَّا فُكِّرْتُمْ ﴾ ^(٢)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال . . قال رسول الله عليه السلام : من أكل لحم أخيه في الدنيا

(١) (صحيح) مسلم (١٠٥) ، وأحمد ٥ / ٣٩١

(٢) آية (١٢) سورة الحجرات

يوم إيه حجه يوم القيامة ويقال كله ميتا فإنت أكلته حيا بأكله * ثم تلا قوله تعالى ﴿ أَنهَبُ اسْمُكُمْ أَمْ يَمْلِكُ بِهِمْ أَهْلُ مَيْتَةٍ ﴾ (١)

وروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - إن وقع الغيبة كأنه تبيس في عهد رسول الله ﷺ وذلك لغتها ، وأما في هذه الأزمان فليكثر من الغيبة وامتناع الأنوف منها فلا تميز رائحتها ، ومثل ذلك كمثل رجل دخل دار الدباغين فلم يقصر على الفرار فيها من شدة الرائحة ونشأ أهلها المقيمون فيها يأكلون الطعام يشربون فيها ولا تبين لهم تلك الرائحة المتة لأنها ملأت أنوفهم لذلك أمر النبي في أيامنا هذه .

قال كعب - رضي الله عنه - : قرأت في بعض الكتب أن من مات تابيا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار . قال الله تعالى : ﴿ وَيَلْزَمُهُمْ تَحِيُّمُ لِمَا هُمْ فِيهِ مُشَوِّطُونَ ﴾ (٢) أي أشد العذاب للهمزة التي يعميك في الغيب واللمزة التي يعميك في وجهك . والآية برئت في الوليد بن المغيرة وكان يقتاب السبي ﷺ والمسلمين من وجوههم ويحور أن يكون السب حاصبا والوعيد عام . وقال رسول الله ﷺ : إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا ، قالوا كيف تكون الغيبة أشد من الزنا قال أن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وأن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يموت عنه صاحبه (٣) فالواجب على المتساب إن يتوب ويتوب ليخرج من حق الله ثم يستحل المتساب ليجله فيخرج من مظلمته .

وقال ﷺ : * من احتاب أخاه المسلم حول الله وجهه إلى غيره يوم القيامة * . وينبغي لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعالى قبل القيام من المجلس وقبل أن تصل إلى المتساب لأنه إذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها إلى المتساب قبل توبه أما إذا بلغته فلا يرتفع عنه الإثم بالتوبة ما لم يجعله في حل ، وذلك إذا رضى بالمرأة لها زوج قبله الخبير لا يرتفع بالتوبة ما لم يجعله في حل وأما ترك الصلاة والزكاة والصوم والحج فلا يرتفع بالتوبة بل مقصده المالك من ذلك والله أعلم .

الباب الحادي والعشرون

في بيان الزكاة

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) يعني يؤدون وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : * ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان

معيه صفحت له صفائح من نار فأحس عبيد في نار جهنم فيكرب بها حسه وظهره أي : يحس حسه لها كلها وإن كثرت كلما بردت عذب له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . وبعض بني العباد يرى سبيله إب إلى حة وما إلى النار * الحديث (٢) ، وفيما تعالى : * وليس يكتسبون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ليشترقهم بحداب أنهم (٣) يوم يحسب عليهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كثرت لأسفسكم فتدقروا ما كنتم تكفرون (٤) وقال رسول الله ﷺ : * ويل للأعياء من أعفروا يوم القيامة يقولون ظلمونا حقوقا لنبي فرغت عليهم * فيقول الله تعالى وعزتي وجلالي لأنيكنكم ولا بأعديهم ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِنُفْسِهِمْ وَلِلنَّاسِ وَلِلْمَعْرُوفِ ﴾ (٥)

وروى عنه ﷺ : مر ثيلة أسرى به على قوم على أديارهم وقاع وعلى أقبالهم وقاع يسرحون كما تسرح الأنعام الفسح والزقوم وروى عنهم قال : من هؤلاء الجبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد .

وحكى : أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبي سفيان فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده قال قوموا بنا نזור جدارنا مات أخوه ونعمره فيه ، قال محمد بن يوسف القزويني فقاما معه ودخل على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والخرع على أخيه فجلنا بحره وسلبه وهو لا يقبل تسلية ولا هزاه فقلنا له أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه قال بلى ولكن أبكي على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب قلنا له قد أطلعك الله على الغيب قال لا ولكن لما دنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره وإذا صوت من قبره يقول له أفردوني وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلي قال فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر ما حاله وإذا القبر يلمع عليه نارا وفي عنقه طوق من نار فحملتني شعقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق من رقبته فاحترقت أصابعي ويدي ثم أخرج اليها يده فلما هي سرداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أعزوك بعمل في الدنيا قال كان لا يؤدي الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِهِ أَنَّهُمْ لَا يَفْضَلُهُمْ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلَعُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (١) . وأتوك عجل له العذاب في قبره إلى القيامة قال ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قضية الرجل وقصا له بموت اليهودي والنصراني ولا يرى منهم دنت قبل أولئك لأشك أنهم في النار وإن يربكم الله أهل الإيمان نعمتموا ، ولله تعالى ﴿ فَمَنْ أَهْلُ عِلْفِهِ وَمَنْ عَمِي فَعَلَيْهَا وَمَا

(١) (صحيح) مسلم (٩٨٧) .

(٢) آية (٢٤ - ٢٥) سورة الماعز

(٣) آية (٣٤ - ٣٥) سورة فتوة .

(٤) آية (١٨٠) سورة آل عمران

(١) آية (١) سورة الهمة .

(٢) آية (٤) سورة المومنون

(١) الاختلاف ٧ / ٥٣٦ .

(٢) سبق .

عليك بحديث^(١) . وجاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال ملئع الزكاة عند الله بمنزلة ابهردي والتصاري وملئع العشر عند الله تعالى بمنزلة للجوس ومن يمتنع الزكاة والعشر من ماله ملعون على لسان الملائكة والنبي ﷺ ولا تقبل شهادته وقال طويي له أن أدى الزكاة والعشر وطويي لمن ليس عليه عذاب الزكاة وعذاب يوم القيامة . ومن أدى الزكاة من ماله وقع الله عنه عذاب القبر وحرم الله لحمه على النار وأوجب له الجنة بغير حساب ولا يضلله عطش يوم القيامة .

الباب الثاني والعشرون في بيان الزنا

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِرُؤُوسِهِمْ خَالِفُونَ ﴾^(٢) أي من الفراعنة وحما لا يحل لهم كما قال الله تعالى في آية أخرى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾^(٣) يعني ما كبر وهو الزنا وما صغر وهو القبله واللمس والنظرة كما جاء في الخبر عن سيد البشر ﷺ أنه قال : « الأيدان والرجلان تزنيان والعينان تزنيان »^(٤) قال الله تعالى ﴿ قُلْ الْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَ لِرُؤُوسِهِمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾^(٥) الآية . . . قد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغض البصر عن الحرام ويحفظ الفرج عن الحرام وقد حرم الله الزنا في آيات كثيرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾^(٦) يعنى عقابا في النار ويقال وأثام في النار ويقال جب في النار إذا متع فيه صاح أهل جهنم من خبث وقلته .

وروي عن بعض الصحابة أنه قال : إياكم والزنا فإن فيه ست خصائل ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما التي هي الدنيا فتقصان الرزق وقطع الأجل وسواد الوجه وأما التي هي الآخرة فغضب الله وشدة الحساب ودخول النار .

وروي أن موسى عليه السلام قال يا رب ما لمن زنى ؟ قال الله تعالى ألبسه ذرعا من النار لو وضع على جبل شاقق لأصبح ومادا .

وورد أن امرأة فاجرة أحب إلى إبليس من ألف فاجر . وفي المصليح قال رسول الله ﷺ : « إذا زنى العبد خرج الإيمان وكان فوق رأسه كالظلة فإذا خرج من ذلك العمل رجع إليه الإيمان »^(٧) . وفي كتاب الإقناع قال النبي ﷺ : ما ذنب أعظم عند الله من نقطة يصبها الرجل

(١) آية (١٠٤) سورة الأنعام

(٢) آية (١٥١) سورة الأنعام

(٣) آية (٣٠) سورة النور

(٤) صحيح (أبو داود (٤٦٩٠)

(٥) آية (٥) سورة المؤمنون

(٦) آية (٢٤٣) سورة النور

(٧) آية (٦٨) سورة الفرقان

هي وحرم من لا تحل له . والنواط أشد من الزنا لما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : من لا ط لا يجد رائحة الجنة وإن راحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام . قال انصبي الإدم رحمة الله سمعت بعض المشايخ يقول إن مع كل امرأة شيطان ومع كل غلام شياطين عشر شيطان . وروي من قبل غلاما بشهوة عذبه الله تعالى في النار خمسمائة عام ومن قبل امرأة شهوة فكأنما رى سبعين بكرا ومن رنى بالكفر فكأنما رى سبعين ألف نيب .

وفي روث التفسير قال الكلبي : إن أول من عمل قوم لوط إبليس لعنه الله فتصور في صورة غلام أمره جميل ثم دعاهم إلى نفسه فنكحوه فصار ذلك عادة لهم في كل غريب فأرسل لهم لوط عليه السلام فتهاهم عن ذلك ودعاهم إلى عبادة الله وتوحيدهم على إصرار العصية لعناب الله فقالوا له اثنتا لعناب الله إن كنت من الصادقين ، فسأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فأمر الله السماء أن تمطر عليهم الحجارة مكتوب على كل حجر اسم من رمى به وهو معنى قوله ﴿ مُصْرَمَةٌ عَنْكَ ﴾^(١) أي معلمة أى عليها علامة في خرائ الله أو في حكمه .

وحكى : أن رجلا فاجرا من قوم لوط كان بمكة فجاء حجر ليصبيه في الحرم فقالت للملائكة للحجر ارجع من حيث جئت فإن الرجل في حرم الله فارجع الحجر فوقه خارج الحرم أوعين يوما بين السماء والأرض حتى قضى الرجل نجاته فلما خرج أصابه الحجر خارجا عن الحرم فأهلكه وكان لوط قد أخرج امرأته معه ونهى من تبعه أن يلتفت خلفه إلا امرأة لوط فلئنما لما سمعت هذا العذاب التفت وقالت واقوما فأدركها حجر فوقع على رأسها فقتلها . قال مجاهد لما أصبحوا عدا جبريل على قريتهم وقلمها من أركانها ثم أدخل جناحه ثم حملها على حوافي جناحه بما فيها ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكهم ونباح كلابهم ثم قلبها فكان أول ما سقط منها مرادفها فلم يصب قوما ما أصابهم ثم إن الله طمس على أعينهم ثم قلبت قريتهم وهي خمس ملأين أكبرها سلوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براعة يقال كان فيها أربعة آلاف لب .

الباب الثالث والعشرون

في صلة الرحم وحقوق الوالدين

قال الله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾^(٢) أى واتقوا الأرحام أن تقطعوا .

(١) آية (١) سورة النساء

(٢) آية (٨٣) سورة هود

وروى يعقوب : « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم » (١) أولئك الذين قطعوا
الله فاصمتهم وأغشى أبصارهم » (٢).

وقال تعالى : « والذين يفتخرون عند الله من بعد مثاله ويقولون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون
في الأرض أولئك لهم المصيبة ولهم سوء الدار » (٣).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى خلق
الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين
أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال كذلك لئلا . ثم قال رسول الله ﷺ :
اقرأوا أن شتمتم » فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم » (٤) أولئك الذين قطعوا
الله فاصمتهم وأغشى أبصارهم » . ورواه أيضا الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه
والحاكم وقال صحيح الإسناد (٥) عن أبي بكر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ما من
ذنب أجدر أن يحجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي
وقطيعة الرحم » (٦) والشيخان : « لا يدخل الجنة قاطع » قال سفيان بن عيينة قاطع رحم . وأحمد
بسند ورواته ثقات : « إن أعمال بني آدم تمر من كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع
رحم » .

وابن حبان وغيره : « ثلاثة لا يدخلون الجنة . . مدمن الخمر وقاطع الرحم ومعلق
بالسحر » (٧) . وأحمد مختصرا وابن أبي الدنيا والبيهقي : « بيت قوم من هذه الأمة على طعم
وشرب ولهو ولعب فيصيحوا قد مسحوا قردة وخنازير وليصيحهم حصف وقنف حتى يصبح
الناس فيقولون حصف الليلة بيني فلان وحصف الليلة بذر فلان وترسلن عليهم حجارة من
السما كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها وعلى دور وترسلن عليهم الريح العقيم التي
أهلكت عادا على قبائل فيها وعلى دور بشرهم الخمر والبهم الحرير واتخاذهم القينات وأكلهم
الربا وقطيحتهم الرحم » (٨) وخصة نسبها جعفر والطبراني في الأوسط .

عن جابر - رضى الله عنه - قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال : « يا معشر
المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم وإياكم والبيس فإنه
ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي وإياكم وعقوق الوالدین فإن ربيع الجنة يوجد من مسيرة ألف

(١) آية (٢٣، ٢٤) سورة محمد .

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٧) ، ومسلم (٢٥٥٤)

(٣) (صحيح) الترمذي (٢٥١١) .

(٤) (صحيح) الحاكم ٥١٥ / ٤

(٥) (صحيح) أحمد ٣٩٩ / ٤

(٦) (صحيح) البخاري (٢٥٥٤)

(٧) (صحيح) الترمذي (٢٥١١)

(٨) (صحيح) الحاكم ٥١٥ / ٤

عام والله لا يجدها عاق ولا فاطم رحم ولا شبح ولا جبار إرره حيلة إنما لكبرياء له رب
المالين » (١)

والأصماني : كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فقال لا يجالسنا اليوم قاطع رحم فقام فتى من
الحقبة فأتى خالة له قد كان بينهما بعض الشيء فاستغفر لها فاستغفرت له ثم عاد إلى المجلس فقال
النبي ﷺ : إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم .

والطبراني : إن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم .

والطبراني بسند صحيح عن الأعمش قال : كان ابن مسعود رضى الله عنه جالسا بعد الصبح
في حلقة فقال أنشد الله قاطع رحم لما قام عا فلما يريد أن يدعو ربنا وأن أبواب السماء مرتجة أي
بضم ففتح والجيم محففة (معلقة) دون قاطع رحم

ولشيخان : « الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله » (٢)

وأبو داود والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح واحترس تصحيحه بأنه منقطع ورواية
وصلة قال البخاري خطأ .

عن عبد الرحمن بن عوف - رضى الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال
الله عز وجل : أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها
وصلته ومن قطعها قطعته . أو قال بته أي قطعته » .

وأحمد بإسناد صحيح : « إن من أربى الربا الاستعالة في عرض المسلم بغير حق وإن هذه
الرحم شجرة من الرحمن عز وجل فمن قطعها حرم الله عليه الجنة » (٣).

وأحمد بإسناد جيد قوى وابن حبان في صحيحه : « إن الرحم شجرة من الرحمن تقول يا
رب إني قطعتم يارب إني أسئلك إلى ، يارب إني ظلمت يارب يارب فيجيبها ألا ترضين أن أصل
من وصلك وأقطع من قطعك » (٤).

والشجرة بكسر أوله وضمه وإسكان الجيم ، القرابة المشتبكة كاشتباك العروق ، ومعنى من
الرحم أي مشتق لفظها من لفظ اسمه الرحم كما يأتي في الحديث على الأثر والبزار بإسناد
حسن : « الرحم حجة متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق اللهم صل من وصلني وأقطع من

(١) (صحيح) مجمع الزوائد ١٢٥ / ٥

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٨) ، ومسلم (٢٥٥٤)

(٣) (صحيح) أحمد ٦٠ / ١

(٤) (صحيح) أحمد ٤٠٦ / ٢ و ٥٥٥

نظمي فيقول الله تبارك وتعالى : أنا الرحمن الرحيم وأني شقيقت الرحم من اسمي فمن وصيها وصيه ومن تكلمه بتكلمته . اخبئة ، مسح إخوانه لمهله والخييم وتعتيف الود ، صرة معر . أي الخديعة العفشاء التي يعلق بها الخبيط ثم يعتل العزل والبتك القطع ، والبرار : ثلاث متعلقات بالعرش : الرحم تقول : إني بك فلا أقطع ، والأمانة تقول : اللهم إني بك فلا أحوي ، ولعمري تقول : اللهم إني بك فلا أكره ، والبرار واللفظ له واليهي الطابع معاني بقائمة العرش فإذا استكت الرحم وحمل بالمعاصي واجترأ على الله تعالى بعث الله الطابع ليطلع على قلبه فلا يفتل بعد ذلك شيئا .

وأخرج الشيخان : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (١) .

وأخرجنا أيضا « من أحب أن يسط له في رزقه وينسأ (أي يؤخر) وهو يضم أوله وتشديد الله للهمل وبالهزم) له ، في أثره أي أجله فليصل رحمه » (٢) . ومن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن يسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه » . ورواه البخاري والترمذي ، ولم يظهروا : « تعلموا من قسائكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأثر » . أي بها الزيادة في العمر . وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المستدرك ، والبخاري بإسناد جيد والحاكم « من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليقل الله وليصل رحمه » ، والبخاري استأذ لا يأمن به والحاكم وصححه أنه ﷺ قال : « مكتوب في التوراة : من أحب أن يزداد عمره يفي رزقه فليصل رحمه » (٣) . وأبو يعلى : أن الصدقة صلة الرحم يريد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحنور . وأبو يعلى بإسناد جيد . عن رجل من ختعم قال : « أتيت النبي ﷺ وهو في نفر من أصحابه فقلت أنت الذي تزعم أنك رسول الله قال نعم ، قال قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله قال الإيمان بالله قلت يا رسول الله ثم ما قال صلة الرحم قلت يا رسول الله أي الأعمال أبعث إلى الله قال الإشراف بالله قلت يا رسول الله ثم ما قال قطيعة الرحم » .

والبخاري ومسلم واللفظ له « وقف أمر أبي لرسول الله ﷺ وهو في سفر فأخذ يحطام نافذة أو برامها ثم قال يا رسول الله أو يا محمد أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار فكيف

أبى ﷺ ثم بعثني أصحابه ثم قال : لقد وفق هذا أو لقد هدى قال كيف قلت فأعاده فقال النبي ﷺ تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم . . . « دع المأقة » (١) . وفي رواية : « وتصل ذا رحمك » . فلما أدير قال رسول الله ﷺ : « إن تمسك بها أمرته به دخل الجنة » . والطبراني بإسناد حسن : « إن الله ليحمر بالقوم النصارى ويصبي لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بنفسا لهم قبل وكيف ذلك يا رسول الله قال يصلتهم أرحامهم » . وأحمد بسند رواه ثقات إلا أن فيه انقطاعا أنه من أعطى الرق أعطى حظه من غير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يحمر النصارى ويذهب في الأعمال . وأبو الشيخ وابن حبان والبيهقي . يارسول الله من غير الناس قال : أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وأمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر . والطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له من أبي ذر - رضي الله عنه - قال « أوصاني خليلي ﷺ ببخصال من الخير أوصاني أن لا أنظر إلى من هو فوقني وأن أنظر إلى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنوا منهم ، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أديرت وأوصاني أن لا أحاف من الله لومة لائم وأوصاني أن أتو الحق وإن كان مرا وأوصاني أن أكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة » . والشيخان وغيرهما عن ميمونة - رضي الله عنها - أنها اعتقدت وليدها ولم تستأذن النبي ﷺ فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت أشعرت يارسول الله أني اعتقت وليدتي قال أما أنك لو أعطيتها أخوانك كان أعظم لأجرك » . وابن حبان والحاكم « أتى النبي ﷺ رجل فقال إني أدبت ذبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من أم قال لا قال وهل لك من خالة قال نعم قال غيرها » .

والبخاري وغيره « ليس الواصل بالكافي ولكن الواصل السخي إذا قطعت رحمه وصلها » (٢) . والترمذي وقال حسن : « لا تكبروا إمامة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تחסنوا وإن أساءوا أن لا تظلموا » (٣) . والإمامة بكسر ففتح وتشديد فمعهلة هو الذي لا رأى له فهو يتبع كل واحد على رأيه . وفي مسلم « يارسول الله إن لي قرابة أصلهم وقطعونني ، وأحسن إليهم وسميتون إلي وأحلم عليهم ويجهلون على فقال : إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم للآل أي ، بفتح تشديد ، الرماد الحار ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك » والطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم : أفضل الصدقة صدقة على ذي الرحم الكاشح (٤) . أي الذي

(١) (صحيح) البخاري (١٣٩٧) ، ومسلم (١٤) .

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٩١) ، وأحمد ١٦٣ / ٢ .

(٣) (حسن) الترمذي (٢٠٠٧) .

(٤) (صحيح) الحاكم ١٠٦ / ١ .

(١) (صحيح) البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم (٤٧-٤٨) .

(٢) (صحيح) البخاري (٥٩٨٦) ، ومسلم (٢٥٥٧) .

(٣) (ضعيف) الحاكم ١٦٠ / ٤ ، وضميف الجامع (٥٢٧٢) .

بضمير عداوته في كشحه أي خصمه كتابة عن باطنه ، وهو في معنى قوله ﷺ : « وتصل من قطعك » - والبيزاري والطبراني والحاكم وصححه واعتزله بأن فيه واحدا : « ثلاث من كن فيه - حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هي يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فهذا فعلك يندك ذلك يندك الجنة » . وأحمد بإسنادين أحدهما رواه ثقات عن عقبه بن عامر - رضى الله عنه - قال « لقيت رسول الله ﷺ فأخذت بيده فقلت يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال يا عقبه : صل من قطعك واحط من حرمك واحف عمن ظلمك » زاد الحاكم : « ألا ومن أراد أن يمدني عمره ويسقط في رزقه فليصل رحمه » . والطبراني بسند صحيح به : « ألا أظنك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة أن تصل من لم قطعك وتعطي من حرمك وأن تعفو عمن ظلمك »^(١) والطبراني : « إن أفضل الفضائل أن تصل من لم قطعك وتعطي من حرمك وتصفق عمن شتمك » والبيزاري « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ، وفي رواية للطبراني ألا أبتكم بما يشرب الله به البیان ويرفع به الدرجات قالوا نعم يا رسول الله قال نعم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك » .

وابن ماجه « أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم »^(٢) والطبراني : « ما من ذنب أجدر أن يمنع لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والحياة والكذب وإن أعجل البر ثوابا لصلة الرحم حتى إن أهل البيت يكونون هجرة فتتوا أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا »^(٣)

الباب الرابع والعشرون

في بر الوالدين

أخرج الشيخان عن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال « سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أحب إلى الله قال الصلاة لوقتها ثم قلت ثم أي قال بر الوالدين ، قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله » ومسلم وغيره : « لا يجرى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه »^(٤) ومسلم أفضل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى فقال فهل

من والديك أحد حي قال نعم بل كلاهما حي قال فشتني لأمر من الله من نعم قال فوجع من والديك فأحسن صحبتهم وأبو يعلى والطبراني بسند جيد أتى رجل رسول الله ﷺ فدس - من أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه قال هل بقي من والديك أحد قال أمي قال فسال الله في برها مرة فمعت فأنت حرج ومعتز ومجاهد ، والطبراني « يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله - أملك حية قال نعم قال ﷺ : ألزم رجلها فثم الجنة »^(١) وابن ماجه : « يا رسول الله ما حق الوالدين عني ولديهما قل هم حجتك وتارك . وابن ماجه واللساني واللفظ له والحاكم وصححه : « يا رسول الله أردت أعزو وقد حنت أستشرك فقال : هل لك من أم قال نعم قال ألزمها فإن الجنة عند رجلها »^(٢) . وفي رواية صحيحة : « ألك والدان قال نعم قال ألزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما » . والترمذي وصححه عن أبي الدرداء - رضى الله عنه - أن رجلا أتاه فقال عذ إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضرب ذلك الباب أو احفظه » . وابن حبان في صحيحه « أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال إن أبي لم ير لي حتى روجي وإنه الآن يأمرني بطلاقها قال . ما أنا بالذي أمرك أن تعق والديك ولا بالذي أمرك أن تطلق زوجتك غير أنك إن شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك أو دع قال وأحسب عطاء قال فطلقها »^(٣) . وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : كان تحت امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها فأبيت فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لي رسول الله ﷺ : طلقها . وأحمد بسند صحيح : من سره أن يمد له في عمره ويؤاد في رزقه للبر والديه وليصل رحمه وأبو يعلى وغيره وصححه الحاكم « من ير والديه طوي له زاد الله في عمره »^(٤) وابن ماجه وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وصححه « أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر » . وفي رواية للترمذي وقال حسن غريب : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر »^(٥) ، والحاكم وصححه « عفا عن نساء اثنا عشر تعف قساؤكم ويروا أبناءكم تبركم أبناءكم ومن أتاه أخوه متصلا فليقبل ذلك محققا كان أو مبطلا فإن لم يعمل لم يرد على الخوض » .

(١) الطبراني ٨ / ٣٧٢

(٢) (حسن) ابن ماجه (٢٧٨١) ، واللساني ١١ / ٦ وصحيح الجامع (١٢١٨ - ١٢٤٩)

(٣) (صحيح) الترمذي (١٩٠٠)

(٤) (صحيح) الحاكم ١ / ١٥٤

(٥) (حسن) الترمذي (٢٦٣٩) ، وصحيح الجامع (٧٦٨٧)

(١) مجمع الزوائد ٨ / ١٨٨

(٢) ضعيف جداً ابن ماجه (٤٢١٢) ، وضميف الجامع (٨١٠)

(٣) مجمع الزوائد ٨ / ١٥٦

(٤) (صحيح) مسلم (١٥١٠)

والطبراني بإسناد حسن : « يروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعصوا تحف نساؤكم » (١)

ومسلم : « رغب أمه ثم رغب نفسه ثم رغب نفسه ، أي تصق بالرخام وهو التراب من اللذات ، قيل من يارسل الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة أو لا يدخله الجنة »

والطبراني بإسناد أحسن : « صعد النبي ﷺ المنبر فقال آمين آمين آمين ثم قال : أئمتي جبرائيل - عليه السلام - فقال يا محمد من أدرك أحد أبويه ثم لم يبرهما فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين فقال يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يخضر له فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين قال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين . ورواه ابن حبان في صحيحه إلا أنه قال فيه : « ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين ، ورواه الحاكم وغيره وقال في آخره فلما رقيت الثالثة قال بعد : « من أدرك أبويه الكبر حده أو أحدهما فلم يدخله الجنة فأبعده الله قل آمين فقلت آمين . ورواه الطبراني وفيه من أدرك والديه أو أحدهما فلم يبرهما فدخل النار فأبعده الله وأسحقه قلت آمين . وأحمد من طرق أحسن : من احتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار ومن أدرك أحد والديه ثم لم يخضر له فأبعده الله ، زاد في رواية وأسحقه . والشيخان يارسل الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك . والشيخان من أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : قدمت على أمي وهي مشرقة في عهد رسول الله ﷺ فاستغثت رسول الله ﷺ فقلت قدمت على أمي وهي راضية أي عن الإسلام أو فيما عتسى أن أصل أمي قال نعم صلى أمك . وابن حبان في معصية الوالد أو قال الوالدين معصية الرب ، وفي أخرى للبخاري : « رضا الرب من رضا الوالد أو قال الوالدين وسخط الله في سخط الوالد أو قال الوالدين » (٢) ، وفي رواية للطبراني : طاعة الله في طاعة الوالد أو قال الوالدين ومعصيته في معصية الوالد أو قال الوالدين وفي أخرى للبخاري : رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين

والترمذي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما : « أتى النبي ﷺ رجل فقال إني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة قال : هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها » (٣) وأبو داود وابن ماجه « يارسل الله هل بقي من بر أبوي شيء

أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما أي الدعاء لهما والاستغفار لهما وإعداد عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقتهما » ، ورواه ابن حبان في صحيحه بزيادة : قال : « رجل ما أكثر هذا يارسل الله وأطيعه قال فاعمل به » .

ومسلم أن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - لقيه رجل من الأعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال ابن حبان فبكك أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر إن أباهما كان ودودا لعمر بن الخطاب وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أبا البر صلة الولد أهل ود أبيه » (١) . وابن حبان في صحيحه عن أبي برة - رضي الله عنه - قال : قدمت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال أتدري لما أتيتك قلت لا قال فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أحب أن يصل أباه في قبره فيصل إخوان أبيه بسده وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخوان وود فأجبت أن أصل ذلك » (٢) وفي حديث الصحيحين وغيرهما المشهور بروايات متعددة : « أن ثلاثة نفر من كان قبلنا خرجوا يتماشون ويرتادون لأهلهم فأحلهم بطر حتى أووا إلى غار في الجبل فتنحدرت على فمه صخرة فسدت له فقالوا إنه لا ينجركم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا بصالح أعمالكم ، وفي رواية فقال بعضهم ليمض انتظروا أحمالا عثمونها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها ، وفي أخرى فقال بعضهم لبعض على الأثر وقع الحجر ولا يعلم مكانكم إلا الله فادعوا الله بأوتى أعمالكم فقال أحدهم اللهم إنه كان لي أبوان شيخان كبار وكنت لا أخيق قبلهما أهلا ولا مالا فأبى بي طلب شجر يوما فلم أرح عليهما حتى ماما فحلبت لهم غبوقهما فوجدتهما باليمن فكرهت أن أخيق قبلهما أهلا أو مالا فلبت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى يرق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من الصخرة ففرجت شيئا لا يستطيعون الخروج ، وفي رواية وفي عتبة صفار كنت أرحى فإذا رحت عليهم فحلبت يداي بوالدي أسقيهما قبل ولدي وإنه نأى بي طلب الشجر يوما فما أتيت حتى أميت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحب فبجئت بالخلاط فماتت عند رؤوسهما أكره أن أو قظهما من نومهما وأكره أن أبدا بالصبيبة قبلهما ، والصبيبة يتظاهرون عند قضي ظم يزل ذلك دأبي وأبهما حتى طلع الصجر فإن كنت تعلم أي قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة يرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء وذكر الآخر عنه عن الزنا بينة عنه والآخر تمتعته لئلا أجبر فانفجرت عنهم كلهم وخرجوا يتماشون » .

(١) (صحيح) مسلم (٢٥٥٢)

(٢) (صحيح) صحيح الجامع (٥٩٠)

(٢) مجمع الزوائد ٨ / ٣٦

(١) مجمع الزوائد ٨ / ٣٨ و ٨١

(٣) سنن ترمذيه

الباب السادس والعشرون

في طول الأمل

قال ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم اثنتان طول الأمل واتباع الهوى ، وأذن طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق » .

وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - أنه أشرف على أهل حمص فقال: ألا تستحون نبون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تدركون ، وتجمعون ما لا تأكلون ، إن الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعمدا فأصبحت مساكنهم فيورا وأملهم فزورا وجمعهم بورا .

وقال علي بن أبي طالب لعمري - رضي الله عنهما - : إذا أردت أن تلقى صاحبك فارفع قميصك واخصف ثملك واقصر أملك وكل هو الشيع .

وأوصى آدم لبنته شيث - عليهما السلام - بخمسة أشياء وأمره أن يوصي بها أولاده من بعده أولها قال له قل لأولادك لا تطمعوا للدين فإني اطمأنت ببلية اليافقة فأخرجني الله منها ، والثاني قل لهم لا تعلوا بهوى نساكنكم فإني عملت بهوى إسرائيل وأكلت من الشجرة فلحقني القنامة ، والثالث قل لهم كل عمل تريدونه فانظروا عاقبته فإني لو نظرت عاقبة الأمر لم يصبني ما أصابني ، والرابع إذا اضطربت قلوبكم بشيء فاجتنبوه فإني حين أكلت من الشجرة اضطرب قلبي فلم أرجع للحقن التذم ، والخامس استشيروا في الأمور فإني لو شاورت الملائكة لم يصبني ما أصابني . وقال مجاهد قال لي عبد الله بن عمر : إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالنساء وإذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالصباح وخل من حياتك قبل موتك ومن صحبتك قبل مماتك فإني لا تدري ما أسمك هذا . وقال ﷺ لأصحابه : « أريد كلكم أن يدخل الجنة قالوا : نعم يا رسول الله . قال أقصروا الأمل واستحبوا من الله حق الحياة . قالوا : كلنا نستحي من الله تعالى قال ليس ذلك بالحياة ولكن الحياة من الله تعالى أن تذكروا المقابر والبلى وتحفظوا الجوف وما حوى والرأس وما وعى ومن يشتبه كرامة الآخرة يدع رتبة الدنيا فهناك استحبوا العبد من الله حق الحياة وبها صيب العبد ولاية الله تعالى » . وقال ﷺ : « أول صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك حرمه بالبخل والأمل » (١)

وروي عن أم المنذر أنها قالت طلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس فقال « أيها الناس - استحون من الله قالوا وما ذلك يا رسول الله قال - تجمعون ما لا تأكلون وتأمنون ما لا تدركون - تنوب ما لا تسكنون » (٢) .

مسند أبي يعقوب (٥٢٨١)

تحفة السادة المتقين ١٠ ٢٣٧

وعن أبي سعيد الخدري قال : « اشترى أسامة بن زيد بن ثابت وليلة جملة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله ﷺ يقول ألا تمجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي بعني بيده ما طرقت عيالي إلا ظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى أقبض ولا لقد - لقمة إلا طمت أوى لا اسمها حتى أقبض بها من موت ثم قال ياسي آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي بعني بيده إنما توعدون لآمت وما أنتم بمجبرين » .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان يخرج بهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول : ما يدريني لعني لا أبلغه .

وقيل بينما عيسى - عليه السلام - جالس وشيخ يعمل بمسحاة يشير بها الأرض فقال عيسى : اللهم ائرن من الأمل موصع الشيخ المسحاة واضجع حيث مسحة فقال عيسى اللهم اردد عليه الأمل مقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما إنا أحمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فالتفت المسحاة واضجعت ثم قلت لي نفس والله لا بد من عيش ما بقيت فقلت إلى مسحاتي .

الباب السابع والعشرون

في ملازمة الطاعة وتوكل الحرام

معنى الطاعة للقيام بمرغبات الله تعالى والاجتناب لمحارمه والوقوف عند حدوده قال مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقْسُ لِنَفْسِكَ مِنَ الثَّغَايَا ﴾ (١) هو أن يعمل العبد بطاعة الله تعالى . وأعلم أن أصل الطاعة العلم بالله والرجاء في الله والمراقبة به ، فإذا تجرد العبد من هذه الخصال لم يدرك حقيقة الإيمان لأنه لا تصح الطاعة لله إلا بعد العلم به والإيمان بوجوده خالقا عالما قادرا لا يحيط به علم ولا يتصوره وهم ليس كذلك شيء وهو السميع البصير .

قال أهرابى محمد بن علي بن الحسين - رضي الله عنهم - : هل رأيت الله حين عبده قال لم أكن أعبد من لم أوه قال كيف رأته قال لم تره الأبصار مشهدة العيان لكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان لا يدرك بالحراس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعت بالعلامات لا يجوز في الفضليات ذلك الله لا إلا هو رب الأرض والسموات فقال الأهرابي الله أعلم حيث يجعل رسالته

(١) آية (٧٧) سورة القصص

روى أن كعب الأحرار قال لو أن من آدم تلقوا من اليقين مقالحة من عظمة الله
لشرب على الماء والريح ، فسبحان من جعل الأحرار بالعبر عن إدراك معرفته إيماناً قد
النتعم عليه بالمعجز عن ذلك شكره شكراً . قال محمود التوراني .

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة ••• غلى له في مثلها يحب الشكر
فكيف يلبسوخ الشكر إلا بفضلله ••• وإن طالت الأيام وتصل المصير
إذا من بالمرء هم سرورها ••• وإن من بالمرء أعقبها الأجر
وما منها إلا لله فيه نعمة ••• تفريق لها الأوهام والبر والبحر

إذا ثبت العلم بالربوبية تعين الإقرار بالعبودية وإذا تقرر الإيمان في القلب وجبت الطاعة
للمرب . والإيمان نوعان ظاهر وباطن فالظاهر النطق باللسان والباطن الاعتقاد بالقلب والمؤمنون
متباينون في منازل القرب متفاوتون في درجات الطاعة والإيمان جامع لهم يقدر حظ كل واحد
منهم من الموهبة ولكنه من علو المرتبة في الإخلاص لله والتوكل عليه والرضا بحكمه ، فأما
الإخلاص فليس لا يطلب العبد بما يعمل جزاء من الخالق والله خلقكم وما تعملون فإن كانت
الطاعة رجاء للمثوبة وخوفاً من العقوبة فلذلك العبد لا يكون كامل الإخلاص فإنه لنفسه سعى .
روى أنه علقه قال لا يكن أحدكم كالكلب السوء إن خلف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط
أجر ألم يعمل .

وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتة انقلب
على وجهه خسر السخط والآخره ﴾ (١) وإنما تعينت علينا وتقدم له من الإحسان إلينا فضلاً عن كونه
أمرنا بها ليرتب الجزاء عليها فضلاً ويجازي من ضل عنها عدلاً . وأما التوكل فهو الاعتماد على
الله سبحانه عند الحاجة والاستناد إليه مع الضرورة والثقة به عند المازلة مع مكنون النفس
وطمأنينة القلب فالتوكلون على ربهم علموا أنه المقدر والأسباب تحت حكم الخالق المبدع لا
يركنون لأبياء ولا أبناء ولا أموال ولا منافع بل صرفوا يدهم جميع الأمور إليه ولم يعتمدوا في
حال من الأحوال إلا عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وأما الرضا فهو طيب النفس بما يجري
به المقدر ، قال بعض الحكماء أقرب الناس إلى الله أرضاهم بما قسم لهم . ومن كلام الحكماء
رب سره هي الداء ومرص وهو الشفاء كما قال

كم نعمة مطبوعة ••• لك من أسباب الثواب
وميسرة قسبة أفسدت ••• من حيث ترثيب المصائب

(١) آية (١١) سورة الحج

فصبر على ••• ••• ن دهرك في الأمور لها عواقب
وتكل كرب فرجة ••• ••• وتكل خالصت خراب
وحسبنا قول الله عز وجل : ﴿ ومن أن نكرها شيئاً وهو خير لكم ﴾ (١)

واعلم أنه لن يستكمل العبد طاعة ربه إلا يرضى الدنيا . وفي بعض الحكم أبلغ المواظ على
يحجبها عن القلب وهذه الحجب إنما هي عوارض الدنيا .

ومن كلامهم الدنيا ساحة فاجعلها طاعة ، قال أبو الوليد الباجي :

إذا كنت أعلم علماً بما ••• ••• بأن جميع حوائج كساحة
فلم لا أكون ضئيلاً بها ••• ••• واجعلها في صلاح وطاعة

وقال رجل لرسول الله إن أكره الموت قال : ألك مال قال نعم قال قدم مالك فإن قلب
المرء عند ماله (٢) .

وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال البر في ثلاثة : النطق والنظر والصمت فمن كان متلفه
في غير ذكر الله فقد لغا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد
لها . وترك الدنيا يكون باطراح الفكرة في أحوالها وترك التمتع بلذاتها فإن الفكرة تبعث الإرادة
لتعلق النفس بالفكرة .

وليحذر من إرسال النظر فيما لا يحل فإنه سهم صائب وسلطان غالب ، قال - عليه الصلاة
والسلام - : « النظر سهم من سهام إبليس فمن تركها مخافة الله تعالى أحق به إيماناً يجد طعمه في
قلبه » (٣) ومن كلام الحكماء من أطلق نظره كثر أسفه . آدماء النظر يكشف الخير ويضع البشر
ويطول به الملكت في ستر احتفظ هيكل فانك أن أطلقتها أوقعتك في مكروه وإن ملكتهما ملكتك
سائر جوارحك .

فيل لأفلاطون أيهما أشد ضرراً بالقلب السمع أم البصر قال هما للقلب كاللجناحين للطائر لا
يستقل إلا بهما ولا يتنفس إلا بقوتيهما وربما قص أحدهما فنفس الآخر على تعب ومشقة . وقال
محمد بن ضوء كفى بالعبد نقصاناً عند الله وضعة عند ذوى القول أن ينظر إلى كل ما يسنح له .

رأى بعض الزهاد رجلاً يضحك إلى قلام فقال له يا غريب العقل والقلب ويخرب الطرف
أما تستحي من كرام كاتبين وملائكة حافطين يحفظون الأفعال ويكتبون الأعمال وينظرون إليك

(١) آية (٢١٦) سورة البقرة .

(٢) بحاف الصلاة ٨ / ١٤٦ ، والمعنى عن حمل الأسفار ٢ / ٢٢٧ .

(٣) ضعيف (الحاكم ٢ / ٣١٤)

ويشهدون عليك بالبلاء الظاهر والغفل الدخيل المخامر الذي أقمت نفسك فيه مقام من لا يبالي من وقف عليه ونظر من الخلق إليه ، وللقاضي الأرجلي :

تتمتها يا ناظرى بظرة •• فأوردتها قلبى أشور السوارد

أعينى كما حسن فؤادى لفته •• من البعى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال على - كرم الله - وجهه الميؤن مصائد الشيطان والعين أنفذ الجوارح سرعة وأشدّها صرعة من اتبع جوارحه نفسه فى طاعة ربه فقد وصل أمّله ومن اتبع جوارحه نفسه فى بيل لذته فقد أحبط عمله وأشدّها :

إذا ما صفت نفس المرید لطاعة •• ولما تشبها للمعاصى شوائب

واتبعها لفعل الجوارح كلها •• فتلك عليه أنعم ومواب

نلقته فى دار الخلود كرامة •• إذا جيب للمعاصى سنام وغلوب

قال عبد الله بن المبارك أصل الإيمان التصديق بما جاءت به الرسل فمن صدق القرآن خرج إلى العمل به ونجا من الخلود فى النار ومن احتسب للحارم خرج إلى التوبة ومن أخذ القوات من حله خرج إلى الورع ومن أدى الفرائض صح إسلامه ومن صدق لسانه سلم من التبهات ومن رد المظالم نجا من القصاص ومن أتى بالسن زكت أعماله ومن أخلص لله قبل عمله .

وروى عن أبي الدرداء أنه قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله أوصنى قال له : « اكتسب طيا واحمل صالحا وصل الله رزق يوم ليوم وعد نفسك من الموتى » .

وليجلد من الاعجاب بالعمل فإنه من أعظم الآفات وأحيط الأعمال فإن للعجب بعمله عمن على ربه وما يدريه أقل منه أم رد عليه رب مصيبة أورثت ذلا وانكسارا أخير من طاعة أورثت جزا واستكبارا . وليجلد أيضا من الرياء قيل من قوله تعالى : ﴿ وما لهم من الله ما لم يؤمنوا به بغيره ﴾ (١) قيل عملوا أعمالا كانوا يرونها فى الدنيا من الحسنات فبدت لهم يوم القيامة من السيئات . وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية قال ويل لأهل الرياء . ونيل أيضا فى قوله تعالى : ﴿ ولا يشرك فى عبادة ربه أحدا ﴾ (٢) ، أى لا يظهر ما رياء ولا يضميها حياة .

وروى عن ابن مسعود آخر ما نزل من القرآن ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (٣) .

(١) آية (١١٠) سورة الكهف .

(٢) سورة الزمر

(٣) آية (٢٨١) سورة النور

قال محمد بن بشير :

مضى أمسك الأدنى شهيدا معدلا •• ويومك حلا بالفعال شهيد

فإن تك بالأمر افترقت إماعة •• قثن بإحسان وأنت حميد

ولا ترج فعل الخير منك إلى غد •• لعل غدا يأتى وأنت فقيد

وقال غيره :

وتعجل اللذات بما تشتهي •• وتأمل التوبة فى قاهل

والصوت يأتى بعد فافغلبة •• ما فكك فعل الحماز العاقل

وقال دلود لسلیمان - عليهما السلام - يبتلى على تقوى المؤمن بثلاث : حسن التوكل فيما لم يتل وحسن الرضا فيما تال وحسن الصبر على ما قد فات . وفى بعض الحكم المنثورة من صبر على البلاء وصل إلى الوفاء قال :

عليك بالصبر فإبتك نائبة •• من الزمان ولا تترك إلى الجزع

وإن تعرضت لك الدنيا بمنتها •• فالصبر عنها ذليل الخبير والورع

فجاهد النفس قبرا فيهما أبدا •• تلقى السلى ترجميه خبر محتج

وقال آخر :

الصبر مفتاح ما يرجى •• ولسم يزل فائعا بعين

فصبر وإن طالت الليالى •• فربما ساعد الحزون

وربما نيل باصطبار •• ما قيل هيهات لا يكون

وقال آخر :

الصبر أوثق عروة الإيمان •• ومعجزة من نزع الشيطان

للصبر فيه عواقب محمودة •• والطيش فيه عواقب الخسران

فإذا لقيت من الزمان ملمة •• وكطلك فينا هادة الأزمان

فتدارع الصبر الجميل ثيقنا •• إن التصبر رائد الرضوان

والصبر له فروع صبر على العرائض بالمواظبة عليها بكمالها فى أحب أوقاتها وصبر على

وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه يا أبا إسحاق الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تمنى فيها الموت فلا تمده . وكان ابن سيرين إذا ذكر هذه الموت مات كل عضو منه : وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذكرون الموت والقيامة والأخرة ثم يكون حتى كأن بين أيديهم جدار ، قال إبراهيم النخعي شيئا قطع على لذة الدنيا : ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل . وقال كعب بن جوف الموت هانت عليه بمصائب الدنيا وهبوعها . وقال مطرف وأبى فيها يرى الناس كأن قاتلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت فلوب الخافضين فوالله ما تراه إلا والهين ، وقال أشعث كنا ندخل على الحسن لما هو التار وأمر الأخرى وذكر الموت .

وقالت صفية -رضي الله عنها- إن امرأة اشكت إلى عائشة -رضي الله عنها- قسوة قلبها فقالت أكثرى ذكر الموت يرق قلبك فعملت فرق بينها فجاءت تشكر عائشة -رضي الله عنها- وكان داود -عليه السلام- إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تتخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه . وقال الحسن مارتها عائلا لم إلا أحبته من الموت حلا وأحبه حزنا ، وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظمى فقال أنت أول خليفة الموت قال زنى قال ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك ، وكان الربيع بن خيثم قد حضر قبرا إلى طرفة فكان يتم فيه كل يوم مرات يستديم بذلك الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لصعد

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نفص على أهل النعم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعنيسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق الميث وسعه عليك قال أبو سليمان الداراني قلت لأبى هارون أنجبين الموت قالت لا فقلت لم قالت لو عصيت أحدا ما اشتبهت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته .

قال أبو موسى التميمي توفيت امرأة المرء في فخرها وجوه البصرة . وفيهم الحسن - رضي الله عنه - فقال الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا

فہم بیان مکتبہ الصوت

١٠٠ - هـ - «أَجْرُوا مَنْ ذَكَرَ هَازِمَ الْمَدَائِدِ» (١) معناه نفصروا بذكره اللذات حتى يقطع
 ١٠١ - هـ - حَسْبِيَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَالَ ﷺ : «لَوْ نَعَدِمُ الْبَهَائِمَ مِنَ الْمَوْتِ مَا يَعْلَمُ ابْنُ آدَمَ مَا
 ١٠٢ - هـ - سَبَّحَ» وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ يَحْشُرُ مَعَ الشَّهَادَةِ أَحَدٌ قَالِ
 ١٠٣ - هـ - يَلْحَقُ بِمَوْتِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ عَشْرِينَ سَرَّةً . وَإِنَّمَا سَبَّحَ هَذِهِ لِفَضِيلَةِ كُلِّهَا أَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ
 ١٠٤ - هـ - الْمَيِّتُ عَنْ هَارِ الْخُرُودِ وَيَقْضَى الْأَسْتِغْدَادُ لِلْآخِرَةِ وَالْخَفْلَةُ عَنْ الْمَوْتِ تَدْعُو إِلَى الْإِتِهَامِ
 ١٠٥ - هـ - أَيْتُ الدُّنْيَا . وَقَالَ ﷺ : «تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ» (٢) وَإِنَّمَا قَالَهُ هَذَا لِأَنَّ الدُّنْيَا سَجَى الْمُؤْمِنِ إِذَا لَا
 ١٠٦ - هـ - يَبْقَى فِيهَا مِنْ حَقِّهِ مِنْ مَقَاسَةِ نَفْسِهِ وَزِيَاغَةِ شَهْوَاتِهِ وَمَقَاسَةِ شَيْطَانِهِ قُلُوبُ الْإِطْلَاقِ لَهُ مِنْ هَذَا
 ١٠٧ - هـ - الْإِخْلَاقِ تُخَذُ مِنْ حَقِّهِ ، وَقَالَ ﷺ : «مَوْتُ كِفَارَةٍ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» (٣) وَأَرَادَ بِهِذَا الْمُسْلِمَ حَقًّا
 ١٠٨ - هـ - حَقًّا الْفَنَى يَسْلَمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَيَتَحَقَّقُ فِيهِ أَعْمَالُ الْإِيمَانِ وَلَمْ يَتَدَنَّسْ مِنْ
 ١٠٩ - هـ - إِلَّا بِأَسْمَاءِ وَالصَّامِتِ فَمَوْتُ يَطْهَرُهُ مِنْهُ وَيَكْفُرُهُ بَعْدَ اجْتِنَابِهِ الْكِبَائِرِ وَأَقَامَتِهِ الْفَرَائِضِ

^(١) حدثنا عن أماني : مر رسول الله ﷺ بمجلس وقد استعمل في الضحك فقال : توبوا
^(٢) ثم يدي مكررات اللغات قالوا وما مكررات اللغات قال الموت ^(٣).

١١٤. أن يرضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب » .
 ١١٥. قال ﷺ : « كفى بالموت موعزاً »^(١) وقال - عليه السلام - : « كفى بالموت موعزاً » .
 ١١٦. قال رسول الله ﷺ : « إلى المسجد فإذا لم يتحدثوا ويضحكوا فقال : « اذكروا الله » .
 ١١٧. كفى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »^(٢) وذكر عند رسول

١٢٠٤، وجميع الجامع (١٢١٠)

م. خ. ٢٠٢ / ٢ ، وصحيفه الجامع (٢٨١٣)

٢٦٤ ، وضعيف الجامع (٢٦٠)

١٢١ : وخصيفه (١٩٥٠)

٢٠ (٢٧١١٢) ، وطبعت (٢٧١٠٩)

17 1 22

• مـ ٩ / ١٤ ، وضمیمہ الجامع (٢٩٨٥)

【参考文献】 ① ② ③ ④ ⑤ ⑥ ⑦ ⑧ ⑨ ⑩ ⑪ ⑫ ⑬ ⑭ ⑮ ⑯ ⑰ ⑱ ⑲ ⑳ ㉑ ㉒ ㉓ ㉔ ㉕ ㉖ ㉗ ㉘ ㉙ ㉚ ㉛ ㉜ ㉝ ㉞ ㉟ ㊱ ㊲ ㊳ ㊴ ㊵ ㊶ ㊷ ㊸ ㊹ ㊺ ㊻ ㊼ ㊽ ㊾ ㊿

الله وإن محمداً رسول الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافني * * * أشد من القبر التهاباً وأضيقاً
إذا جافني يوم القيامة قائد * * * حنيف وصواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى * * * إلى النار مغلول القلاعة أزرقا
وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على صاحباتها * * * من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم ومنكم في قعرها * * * قبل ذاق برد الأمن من روحاتها
أما السكون لدى العميون فواحد * * * لا يستبين الفهم في درجاتها
لو جاوروك لأخبروك بالسن * * * نصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيح فنزل في روضه * * * يغشى إلى ما شاء من دوحاتها
وللمجرم الطافي بهماً منقلب * * * في حفرة بأوى إلى حياتها
وعقارب تسمى إليه فروجه * * * في شدة التعذيب من لدناتها
وقال مالك بن حنبل مررت بالقبيرة فأنشأت أقول :

أنيت القبور فتأديتها * * * فأين للعظم وللحشنة
وأين للملح سلطانه * * * وأين للزكي إذا ما لم يجر
قال فتحدثت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول :

تصانوا جميعاً فما مخبر * * * وماتوا جميعاً ومات الخبر
نروح وتفسد بنات الشرى * * * فتحمرو محاسن تلك الضرور
ليسا سائل من أناس مضوا * * * أما لك فيهما ترى معتبر
وجد مكتوباً على قبر :

تناجيك أجنات وهن صموت * * * ومكاتها تحت القراب غفوت
أها جامع الدنيا لمسير بلاغة * * * لمن تجمع الدنيا وأنت موت

وقال ابن السماك مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب :

يصر أناريس جنينات قيسرى * * * كأن أناريس لم يعرفسوس
دور للبراث يقتسمون مالى * * * وما يألون إن جحدوا ديونى
وقد أخلوا سهاصهم وعاشوا * * * فميت الله أسرع ما نسوس
ووجد على قبر مكتوباً :

إن الحبيب من الأحباب مخلص * * * لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولنتها * * * يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلاً في النقص منقسماً * * * وأنت دهرك في اللذات منغمساً
لا يرحم الموت فاجهل لغرته * * * ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أعرس الموت في قبر وقت به * * * من الجواب لساقا ما به عرس
قد كان قصرك مغموراً له طرف * * * فطيرك اليوم في الأجنات مغروس
ووجد على قبر مكتوباً :

وقفت على الأحبة حين صفت * * * فصورهم كالأسراس الرهان
فلئن بكيت وفاسى دمعى * * * رأيت عينا بينهم مكش
ووجد على قبر طيب مكتوباً :

قصد قلت لما قال لي قائل * * * قد صار لقمان إلى رمله
فأين من وصف من طيبه * * * وحلقه في الماء مع جبهه
هبهات لا يدفع عن غيبه * * * من كان لا يدفع عن نفسه
وجد على قبر آخر مكتوباً :

يا أيها الناس كيان لي أمل * * * قصير بي عن بلوغه الأجل
ميسر الله ربه وجل * * * أمكنه في حبياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى * * * كل إلى مسئله سيقتفل

الباب التاسع والعشرون

في ذكر السموات والأجناس المختلفة

في أول ما خلق الله جوهره فنظر إليها بنظر الهيبة فلذبت ولترعدت من خوف ربها . ثم نظر إليها بنظر الرحمة فجمد تصعها فخلق منه العرش فارتعد العرش فكتب الله فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء على حاله يرتعد إلى يوم القيامة . وكان عرشه على الماء (١) ثم تلاطم وتخرج وصعدت منه أوحى وارتفع حجب من أكنافها على بعض وكان له زيد فخلق الله تعالى منه السموات والأرض طباقا فكانتا رتقا يحبس الريح فيها عتق به أطباق السماء وأطباق الأرض كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ثُمَّ سَوَّيْنَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (٢) قال أهل الحكمة إنما خلق الله تعالى السماء من دخان ولم يحتفظها من بخار لأن الدخان خلق متماسك الأجزاء يستقر متناه والبخار متراجع وذلك من كمال علمه سبحانه وحكمته ، ثم نظر تعالى إلى الماء بعين الرحمة فجمد كما جاء في الحديث .

فلقد : بين حماء الدنيا والأرض وكذا بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وخلق كل سماء كذلك ، وقيل أن السماء أشد بياض من اللبن وإنما أحضرت من خضرة جبل فاف واسم تلك السماء رقيقة والثانية من حديد تتلألأ نورا واسمها فيدوم أو ماحون والثالثة من نحاس يقال لها مكوت أو هاريون والرابعة من فضة يضاء نورا يحطف الأبطال واسمها الزهرة والخامسة من ذهب أحمر يقال لها المزينة أو المسهرة والسادسة من جوهره تتلألأ نورا واسمها الخالصة والسابعة من ياقوتة حمراء واسمها اللابية أو الدامة وفيها البيت المعمور وله أربعة أركان . وكن من ياقوتة حمراء وركن من ريز جدة خضراء وركن من فضة يضاء وركن من ذهب أحمر . وورد أن بيت المعمور من العقيق يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة معتمد أن الأرض أفضل من السماء لأن الأنبياء خلقوا منها ودفنوا فيها ، وأفضل طبقات من أصلها لما ذكر ولأنه محل اجتماع العالم .

وعن ابن عباس أفضل السموات هي التي على سقفها عرش الرحمن وهي الكرسي لقربها من ربها ولأن جميع النجوم المنتجع بها مثبتة فيها غير السبعة السيارة أما هي فثبتة في السموات سبع فدخل في السابعة وهو ليوم السبت والمشتري في السادسة وهو ليوم الخميس والريخ في الخامسة وهو ليوم الثلاثاء والشمس في الرابعة وهو ليوم الأحد والزهرة في الثالثة وهي ليوم الأربعاء وعطارد في الثانية وهو ليوم الأربعاء والقمر في الأولى وهو ليوم الإثنين .

ومن عجيب صنع البارئ تبارك وتعالى أن خلق السموات السبع من دخان مع كون كل سماء لا تشبه صاحبتها وأسر من سماء ماء فأحرق به من أسرار أصيات والأعمار المختلفة اللون وأعظم كما قال تعالى . ﴿ وَنَصَّرَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ لِيَأْكُلَ ﴾ (١) وخلق أولاد آدم على طبقات حتى منهم الأبيض والأسود والسهل والحزن والمؤمن والكافر والعالم والجاهل مع أن الأصل آدم فسبحان من أتقن كل شيء خلقه .

الباب الثلاثون

في بيان الكرسي والعرش وبيان الملائكة المقربين

والأوراق والتوكل

قال الله تعالى . ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ (٢) قيل كرسية مجاز من علمه وقيل ملكه وقيل الفلك المعروف .

روى عن علي - كرم الله وجهه - أن الكرسي لؤلؤة وطوله لا يعلمه إلا الله تعالى وفي الخبر ما السموات والأرضون السبع مع الكرسي إلا كحلقه في فلاة . وأخرج ابن ماجه أن السموات في عوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش .

وعن عكرمة قال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الستون يعني بها الحجب . وورد أن نور كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نورهم . والعرش جسم نوراني علوي فوق الكرسي فهو غيره خلافا للحسن البصري قيل من ياقوتة حمراء وقيل من جوهره خضراء وقيل من فرة يضاء وقيل من نور والأولى الإمساك من القطع بحقيقته ويسميه الملوك بالملك التاسع والفلك الأعلى وملك الأفلاك والفلك الأطلس أي الخالي من الكواكب إذ كتبها على ما قال قدماء أهل الهيئة ثوابت في الملك الثامن المسمى بملك البروج وهذا أهل الشرع بالكرسي والعرش سقف المحفوظات فلا شيء يخرج عن دائرته فهو متبسط علمه التباد لا مجال للإدراك ورائه ولا مطالب لطالب معرفته قال الله تعالى ﴿ لَئِنْ تَوَلَّيْنَا لَأَخَذْنَا مِنْهُ آلِهَ الْأَرْضِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُمْ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣) وصفه بالمعظم لأنه أعظم للحلوقات وقد تحقق . بالتوكل كما أمر ولنا معنى في التوارة وغيرها بالتوكل كيف والتوكل فرع التوحيد والمعرفة وهو الله سيد الموحدين ورأس

المعارفين ولا يهوى التوكل الأخذ في الأسباب كما لم يتوهم بل هو أبهى مأمور به فقد قال له ﷺ
اعربني أعرض عني أم أتركها وأتوكل فقال أعفها وتوكل

وقال ﷺ : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافاً أي جياح
وتروح بظاناً أي شياً فإشاراً بقوله تغدو إلى التسبب .

حكاية : التقى إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي بمكة فقال له إبراهيم ما بذه أمرك لدى بلحك
هذا قال مررت ببعض العلوات فرأيت طيراً مكسوراً صاحبين فلاة من الأرض فقلت أنظر من أين
يرزق هذا فقصفت بحذائه فإذا أنا بطير قد أقبل في منقاره حرارة موضعها في منقار الطير المكسور
الجنائحين فقلت لنفسى إن الذي قبض هذا الطير لهذا الطير قادر أن يرزقني حيث كنت فتركت
التكسب واشتغلت بالعبادة فقال إبراهيم ولم لا تكون أنت الطير الصحيح الذي أطعم الطير
العليل حتى تكون أفضل منه أما سمعت عن النبي ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى » (١)
ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين في أمره كلها حتى يبلغ منزل الأبرار فأخذ شقيق
يبد إبراهيم فقبلها وقال أنت أستاذنا يا أبا إسحق . ثم إذا تسبب الإنسان فليجتهد أن لا ينظر إلى
أسبابه ولا يقف عندها بل يجعل مولاة مطمح نظره ويرمي قصده كالسائل بقصد الناس يوماء في
بذره ولا ينظر إليه وإنما ينظر إلى الذي يحطونه . وفي الحديث : من سره أن يكون أخى الناس
لليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه .

وقد قيل لحليفة المرعشي وكان خلد إبراهيم بن أدهم ما أعجب ما رأيت منه فقال بقيت في
طريق مكة أياماً لم يجد طعاماً ثم دخلنا الكوفة فأرنا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال يا
حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بعد
البسلة أنت المقصود بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب :

أنا حصيد أنا شاكر أنا ذاكر ••• أنا جائع أنا ضائع أنا عسارى
هي ستة وأنا الضمين لنصفها ••• فكن الضمين لنصفها يا بلوى
مدحى لغيرك لهب نار غضبتها ••• فاجر عيبك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة فقال أخرج ولا تعلق بلك بعير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك
فخرجت فأول من لقي كان رجلاً على بعلة فاوكت الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما
لفعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع إلى بعلة فيها مائة دينار ثم لفيت
و رجلاً آخر فسألته عن رآكب البيت فقال هذا نصراني فجئت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا

(١) (صحيح) البخاري (١٤٢٧)

نسبها فإنه يجره اسبحة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس إبراهيم بقبله وأسلم
فائدة : قال ابن عباس لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا
فخلق مع كل واحد منهم مثل من في السموات السبع من الملائكة فقال احملوا عرشي فلم
يطيقوا فخلق مع كل منهم مثل السموات ومن الأرض من الملائكة فقال احملوا عرشي فلم
يطيقوا فقال قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله فلما قالوها حملوه فنعذت أقدامهم في الأرض السابعة على
من الريح فلما لم تستر أقدامهم على شيء تمسكوا بالعرش ولم يهتروا عن قولهم لا حول ولا
قوة إلا بالله حيلة أن يقلب أحدهم فلا يعرف أين يهوى بهم حاملون للعرش وهو حاملهم
والكل محمول بالقدر .

وروى من قال لما أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم سبع مرات كفاء الله تعالى ما أحبه صادقاً كان بها أو كاذباً وفي رواية كفاء الله ما أحبه من
أمر آخرته ودينه .

الباب الواحد والثلاثون

في ترك الدنيا ودينها

الآيات الواردة في دم الدنيا وأمتنها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على دم الدنيا وحرف الخلق
عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . ولم يحشوا إلا لذلك
فلا حاجة إلا لإشهاد آيات القرآن لظهورها وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها .

فقد روى « أن رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة فقال أنرون هذه الشاة هيئة على أهلها قالوا
من هوانها ألقوها قال والذي نفسي بيده لندنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو
كنت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » وقال ﷺ : « الدنيا
مجنس الملامس وجنة الكافر » (١) وقال رسول الله ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان
لله منها » وقال أبو موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ : « من أحب دنياه أضره بآخرته ومن
أحب آخرته أضره بدنيته فأنزروا ما يقى على ما يقى » (٢) . وقال ﷺ : « حب الدنيا رأس كل
خطية » (٣)

(١) (صحيح) مسلم (٢٩٥٦) ، وأحمد ٢ / ١٩٧ .

(٢) (صحيح) أحمد ٤ / ١٧٤ ، وصحيح الجامع (٥٣٤٠)

(٣) (صحيح) الجامع السادة المختار ٣ / ١٣١ ، وصحيح الجامع (٢١٨٢) .

وذكر من زعم ك مع أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - دفع شواهد فأتى بهاء وعسل
قدما أدبه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى طموا أنهم لا
يقدر أن يمسكته قال ثم مسح عييه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكتك قال كنت مع رسول
الله ﷺ فرأيت يده عن بعته شيئا ثم أرمعه أحد فقلت يا رسول الله ما يدين يدين عن بعته قال
هذه الدنيا مشئت لي فقلت لها إليك عني ثم رجعت فقال إنك أن أفلت مني لم يفت مني من
بعثك وقال ﷺ : يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسمى لدار العزوة (١)

وروي أن رسول الله ﷺ وقف على منزلة فقال : هلموا إلى الدنيا وأخذ خرقا قد يليت
على تلك المنزلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا (٢) وهذه إشارة إلى أن زينة الدنيا ستخلق
مثل ذلك تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها متصير عظاما يالية . وقال ﷺ : إن الدنيا حلوة
خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فتنظروا كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت
تأهوا في الحلية والنساء والطيبات والثياب (٣) . وقال عيسى - عليه السلام - لا تتحلوا الدنيا ربا
فتخذكم عبيدا كثر كثركم عند من لا يضيئه فإن صاحب كثر الدنيا يحالف عليه الآفة وصاحب كثر
الله لا يحالف عليه الآفة . وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضا : يا معشر الخواريص إنني قد
كبت لكم الدنيا على وجهها فلا تمتصوها بعدى فإن من حيث الدنيا أن عصى الله فيها وأن من
حب الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها إلا ما هبوا الدنيا ولا تهمروا واعلموا أن أصل كل
خطئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورث أهلها حرما طويلا . وقال أيضا بطعت لكم الدنيا
وجلستم على ظهرها فلا يازعكم فيها الملوك والنساء فلا تنزعهم الدنيا فإنهم لن يعمروا لكم ما
توكنتموهم ودنياهم ، وأما النساء فائقوهن بالصوم والصلاة وقال أيضا الدنيا طالية ومطلوبة
فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجمع الموت
فياخذ بعنقه . وقال موسى بن يسار قال النبي ﷺ : إن الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض إليه
من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها .

وروي أن سليمان بن داود - عليهما السلام - مر في موكبه والظير نطفه والجن والإتس من
بعيه وشماله قال قمر بعدد من سى إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد أتاك الله ملكا عظيما قال
فسمع سليمان وقال لتسبحه في صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داود فإن ما أعطى ابن داود
يذهب والتسبيحة تبقى قال ﷺ : يا أيها الكثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك
إلا ما أكلت فأفست أو لست فأبليت أو تصدقت فأبقيت . وقال ﷺ : إن الدنيا دبر من لا دار به
ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا حلم له وعليها يحسد من لا فقه

(٢) المنظر حاله

(١) تحف السادة المتقين ٨ / ٨٦

(٣) صحيح مسلم مجلد (٢٧٤٢)

له ولها يسمى من لا يقين له (١) وقال ﷺ : من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء
والزم الله قلبه أربع خصال : هما لا يقطع عنه أبدا وشغلا لا يفرغ منه أبدا وفرا لا يبلغ عنه أبدا
وأعلا لا يبلغ منه أبدا (٢) . وقال أبو هريرة قال لي رسول الله ﷺ يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا
جميعا بما فيها فقلت بلى يا رسول الله فأخذ يدي وأتى بي وأخيا من أودية المدينة فإذا منزلة فيها
رؤوس كانت تحرس كحرسكم وتلعل كأملاككم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي عظام بلا جلد
وهذه العنوات هي ألوان أطمعتكم اكتسبوها من حيث أكسبوها ثم قدوها في بطونهم فأنصبت
والناس يتعاصونها وهذه الخرق البالية كانت رءسهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفها وهذه
المظام عظام دوابهم التي كانوا يتجمعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليكن قال
فما يرحنا حتى اشتد بكلافنا . وروي أن الله عز وجل لما أهدى آدم إلى الأرض قال له ابن لفراميه
ولد لثفناه . وقال داود بن هلال مكتوب في صحف إبراهيم - عليه السلام - يادنيا ما أعونك على
الأبرار الذين تصنع وتزينت لهم أني كلفت في قلوبهم بغضك والصلود منك وما خلقت خلقا
أعون على منك كل شأناك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدوم لأحد
ولا يدوم لك أحد وإن يخل بك صاحبك وشح عليك ، طوبى للأبرار الذين أطمعوني من قلوبهم
على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا غدو
إلى من قبورهم إلا النور يسمى أمامهم والملائكة حالون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي .
وقال رسول الله ﷺ : الدنيا مودونة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها
وتقول يوم القيامة يارب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيبا فيقول استكني يا لا شيء إني لم
أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم (٣) . وروي في أخبار آدم - عليه السلام - أنه لما أكل من
الشجرة تحركت معدته فخرج الفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه
الشجرة فلذلك نهاها عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له قل
أي شيء تريد قال آدم أريد أضع ما في بطني من الأذى فليس للملك قل له في أي مكان تريد أن
تضعه أعلى القرى أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل ترى هنا مكانا
يصلح لذلك إبط إلى الدنيا . وقال ﷺ : ليبيتن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كحيال نهاية فيوم
بهم إلى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخضون هنة من الليل
فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه . وقال ﷺ في بعض خطبه : المؤمن بين محافتين بين
أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد

(١) صحيح أحمد ٦ / ٧١ ، وصحيح الجامع (٣٠١٢) .

(٢) موضوع لموضوعات ٣ / ١٢٢ ، وفوائد المعركة (٢٣٦)

(٣) تحف السادة ٨ / ٨٥

من نفسه بعد . . . لا آخرته ومن حياته لوته ومن شبابه لهرمه فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم
حسبم للأخرة . . . في يده ما بعد الموت من مستحب ولا بعد الدنيا من علو إلا الجنة أو النار
وقال عيسى . . . لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء
والنار في ردي . . . روى أن جبريل - عليه السلام - قال لنوح - عليه السلام - يا أطول الأنبياء
عمرًا كيف وجدت . . . فقال - عليه السلام - كنت لها مائة خلعت من أخدمهم وخرجت من الآخر
وقال بيب . . . روى أنها أسحر من هاروت وقاروت . . . وهي الحسن قال خرج
رسول الله ﷺ . . . على أصحابه فقال هل معكم من يريد أن يذهب الله عنه النعمي ويجعله
بميرا إلا أنه مر . . . في الدنيا وطال أملة فيها أسمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا
وقصر فيها أملة أمه . . . فله علما بغير تعلم وهدى بعير هداية ألا أنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم
لهم الملك إلا بالقتل والشجر ولا الفنى إلا بالفساد ولا للحبة إلا باتباع الهوى . . . إلا فمن أدرك ذلك
الزمان منكم فحصر على الفقر وهو يقدر على العنى لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله
ثواب حمسين صديقا . . . وروى أن عيسى - عليه السلام - اشتد عليه المطر والبرد والبرق يوما
فجعل يطلب شيئا يلجأ إليه فوجدت حية على حزمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحملها عنها فإذا
هو يكف في جبل فكأنه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال إلهي جعلت بكل شيء مأوى ولم
تجعل لي مأوى فوخر . . . فله تعالى إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزواجك يوم القيامة مائة حوراء
خلقتها بيني ولا حصر . . . عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولأمرن مناديا ينادي أين
الزهاد في الدنيا روى عرس الراشد في الدنيا عيسى ابن مريم . . . وقال عيسى ابن مريم - عليه
السلام - ويل لأمة . . . روى كيف يموت ويتركها وما فيها وفقره ويأمنها ويثق بها وتخلنه ويويل
للمشتري كيف أرجمه . . . يكرهون وفارقه ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويويل لمن الدنيا همه
والخطايا عمله كره . . . أصبح غدا يذنبه . . .

وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - يا موسى مالك وللدار الغالين إنها ليست
لك ديار آخر . . . ودارها بعقلك فيست الدار هي إلا لعمركم يعمل فعمت الدار هي يا
موسى ابن مريم . . . حتى أخذته للمظلوم . . . روى أن رسول الله ﷺ : . . . بعث أبا عبيدة بن
الجارح . . . حين سمعت الأنصار يقدمون أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول
الله ﷺ فمد يده . . . به انصرف فتمرضوا له فقبض رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال :
أصكم سمع . . . أقدم بشيء قالوا أجل يا رسول الله قال أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله
ما أعف حشر . . . ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان
قبلكم فتفسد . . . روى أنه لما أتاكم كما أتاكم . . . وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ

الذي روى . . . ٦٨ / ٢ . . . وضعيف الجامع (١٩١)

« إن أكثر ما أحاط عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فقول ما يركب الأرض قال وهو »
الدنيا » (١) وقال ﷺ : « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا » (٢) فنهى عن ذكرها فضلا عن إصابتها
وقال عمار بن سعيد مر عيسى - عليه السلام - بقرية فإذا أهلها عوتى في الأثنية والطرق فقال يا
معشر الخواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ولو ماتوا عن خير ذلك لقد افترقا فقالوا يا ورح الله
ودعنا أنا لو علمنا خبرهم لسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فناديهم فيجيبونك فلم يكن الليل
أشرف على تشي . . . ثم نادى يا أهل القرية فأجابهم مجيب ليبيك يا ورح الله فقال ما حالكم وما
قصتكم قالوا بنتا في عافية وأصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قالوا حب النعمي لأنه إذا أقبلت
فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكىنا عليها قال فما بال أصحابك لم يجيبوني قال لأنهم ملجمون
بلجم من نار يأبى ملائكة خلاط شداد قال فكيف أجبتى أنت من بينهم قال لأنى كنت فيهم ولم
أكن منهم فلما نزل بهم المذاب أصابني معهم فأتا معلق على شفير جهنم لا أدرى أجرو منها أم
أكبكت فيها فقال للمسيح للحواريين لآكل خير السمير بالمطع الجرش وليس المسروح والنوم على
المزابل كثير مع عاقبة الدنيا والآخرة . . . وقال أنس . . . كتبت ناقة رسول الله ﷺ المصيبة لا تبق لجهاد
أعرابي بناة فسبها فشق ذلك على المسلمين فقال ﷺ : « إنه حق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا
إلا وهبه » (٣) وقال عيسى - عليه السلام - من الشئ بيني على موج البحر فلما فلكم الدنيا فلا
تدخلوها فإرا . . . وقيل لعيسى - عليه السلام - علمنا علما واحدا يحينا الله عليه قال أبغضوا الدنيا
يحبك الله تعالى . . .

وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبنكم كثيرا ولهانتم
عليكم الدنيا ولأترتم الآخرة (٤) ثم قال أبو الدرداء من قبل نفسه لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى
المصعداء غمارون وتكون على أنفسكم ولتركتكم أمرالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد
لكم منه ولكن خيب من قلوبكم ذكر الآخرة الأمل فصارت الدنيا أملك بأهكم وصرم كاللبن لا
يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة عما في عاقبتها ما لكم لا تحابون ولا
تناصحون وأنتم إخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم إلا خبت سرائركم ولو اجتمعتم على
الجر لحابيتم وأنكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة ولا يملك أحدكم
النصيحة لمن يحبه ويعنيه كل أمر آخرته ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم لو كنتم تؤمنون بغير
الآخرة وشرها كما تؤمنون بالدنيا لأترتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموالكم فإن قلتم حب العاجلة

(١) (صحيح البخاري) (٦٤٢٧)

(٢) (ضعيف) (تحالف السادة المثقون ٨ / ٨٧ ، وضعيف الجامع (٦٣٣٤) .

(٣) الدار لطنى ٤ / ٣٠٧

(٤) سبق بحريجة

هناك من يراكم تدعون المأجل من الدنيا للأجل منها تكذبون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في حبكم لم تتركوه فليس القوم أنتم ما حطقت إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم من كثرة في شك عما جاء به محمد ﷺ فأتونا فنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمنن إليه قلوبكم والله ما أنتم بالمفوضه عقولكم فتعذبكم أنكم تشيئون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا فصبيوة وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يبين فنت في وجوهكم ويظهر على السكتم وتسمونها المصائب وتقيمونها فيها المآثم وهما منكم قد تفرح خبر من دينهم ثم لا يبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم إلى لاري الله قد تبرا منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلهم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخالفة أن يستقبله صاحبه بمثلته فأصححتهم على العمل ونبتت مراعيكم على الأمل وتصافيتهم على رفض الأجل ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم والحقني بمن أحب ورويه ولو كان حبا لم يصبركم فإن كان فيكم محير فقد أسعيتكم وأن تطلبوا ما عند الله محمد بهيرا وبالله أستعين على نفسي وعليكم .

وقال عيسى - عليه السلام - يا معشر الخواصين أرضوا بدينه الدنيا مع سلامة الدين كما وهى أهل الدنيا بدينه الدين مع سلامة الدنيا ولي معتله قيل :

أرى وجالا بأدنى الخين قد فتعوا • • • • • وما أراهم رهوا في العيش بالدين

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كمال • • • • • فغنى الملوك بدنياهم حسن الدين

وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لير ، تركك الدنيا أبر .

وقال نبينا ﷺ : لتأتينكم بدني دنيا تأكل كل إيمانكم كما تأكل النار الحطب ، (١)

وأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - يا موسى لا تركن إلى حب الدنيا فلن تأتي بكيرة هي أشد منها . ورم موسى - عليه السلام - برجل وهو يركي ورجع وهو يركي فقال موسى يا رب عبدك يركي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو سال دعاؤه مع حيون عينيه ورجع يده حتى يبعد لم أغفر له وهو يحب الدنيا .

لأنار : قال علي - رضي الله عنه - من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلبيا ولا عن خير مهربا ، أولها من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فمضاه وعرف الحق فاتبه وعرف الباطل فاتناه وعرف الذب فرفضها وعرف الآخرة فطلبها .

(١) غني عن حيز (سفر ٣ / ٢٠٢)

وما الحس رحم الله أقوام كانت الدنيا عنهم ودبة فأدوها إلى من اتصمهم عليها ثم راحوا بحاي ، وقال أيضا - رحمه الله - من دسست في دينك فاقسه ومن دسك في دينك فألقها في محره .

وقال لقمان - عليه السلام - لا يني أن الدنيا يحوي جميع وقد جرق فيه ناس كثير فلنكن سميتك عينا تقوى الله عز وجل وحسنوها الإيمان بالله تعالى وشراها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك حيا . وقال المصلي طالت بكرتي في هذه الآية : ﴿ إنا جعنا ما على الأرضي زينة لها لنلوهم أنهم أحسن عملا ﴾ وإذا لجاؤون ما عليها صبيها جزأ ﴿ (١) .

وقال بعض الحكماء إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعثك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في أكلة وحسم من الدنيا وافطر على الأخيرة وإن رأس مال الدنيا الهوى وريحها البار . وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يحلق الأبدان ويجمد الأمال ويقرب المنية ويبعد الأمنية قيل فما حال أهله قال من ظمرو به تعب ومن فاتته نصب . وفي ذلك قيل :

زمن يحمي الدنيا لعيش سره • • • • • فسوف لصحري من قليل يلومها

إذا أثيرت كانت على المرء حسرة • • • • • وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

وقال بعض الحكماء كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها فإن عيشها تكدر وصفوها كدر وأهلها منها على وجن إما بنعمة زائلة أو بلية تاركة أو منية قاضية . وقال بعضهم من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدا ما يستحق لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص .

وقال سفيان أما ترى النعم كأنها مضروب عليها قد وضعت في غير أهلها وقال أبو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئا إلا أراد أكثر وليس لي مدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذ إلا من حله ولا تصعه إلا في حقه ولا يصرك حب الدنيا وإنما قال هذا لأنه لو أخذ نفسه بذلك لانتعبه حتى يترجم بالدنيا ويطلب الخروج منها .

وقال يحيى بن صفاد الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيئا فيجنى في طلبه بياحدك . وقال المصلي لو كانت لدي من ذهب يعني والآخرة من خرف يبقى لكأن يبقى لنا أن نختار خرفا يبقى على ذهب يعني فكيف وقد اخترنا خرفا يبقى على ذهب يبقى .

وقال أبو حازم إياكم والدنيا فإنه يلتقي أنه يوقف العبد يوم القيامة فإذا كان معظما للدنيا فيقال

(١) آية (٧ - ٨) سورة الكهف

هذا عظم ما حقره الله ، وقال ابن مسعود ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية
بالضيف مرغل والعارية مردودة . وفي ذلك قيل :

وما المال والأختوت إلا وحيثما ••• ولا بد يوماً أن يرد الودائع

وإذ رابطة أشتابها فذكروا الدنيا فأنبرأ على ذمها فقالت استكبرا عن ذكرها فلولاً موقعها
من فلوبكم ما أكثرتم من ذكرها ألا من أحب شيئا أكثر من ذكره . وقيل لإبراهيم بن أدهم كيف
أنت فقال :

برقع ديبانا يتمزق ديننا ••• فلا ديننا يبقى ولا ما نرفع

نطوي لمجد أكثر الله ربه ••• وجاد بدينه لما يتوقع

وقيل أيضاً في ذلك :

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ••• ونال من الدنيا سروراً وأنعمها

كبان بنى بنيانه فأقامه ••• فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقيل أيضاً في ذلك :

هب الدنيا تساق إليك صعباً ••• أليس مصير ذلك إلى انفصال

وما دنيائك إلا مثل فيء ••• أظلك ثم أذن بالزوال

وقال لقمان لابنه يا بني بع دنيائك بأخرتك تبيعهما جميعاً ولا تبع آخرتك بدنيك تخسرهما
جميعاً

وقال ابن عباس إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء . . جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء
للكافر وللمؤمن يتروى والمنافق يرمى والكافر جنته ، وقال بعضهم الدنيا جيفة فمَن أراد منها شيئاً
فليصبر على معاينة الكلاب وفي ذلك قيل

يا مخاطب الدنيا إلى نفسها ••• تنح عن خطبتها تسلم

إن التي تخطب غداً ••• قريبه العرس من الماتم

وقال أبو الدرداء من هوأ الدنيا على الله أنه لا يمضي إلا فيها ولا يبال ما عنده إلا بشركه
وفي ذلك قيل

إذا استمع الدنيا لبيب فكشفت ••• له عدو في بيت صديق

وقيل أيضاً :

يا راقب الدنيا سروراً بأولها ••• يا الخواص قد يفرغ أسرارها

أرى القسود التي كانت منعقدة ••• كسر الجديدين إقبالا وإخبارا

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك ••• قد كان في الدهر نفاعاً وضاراً

يا من يحاقد دنياه لا يفاء لها ••• يصسى ويصبح في دنياه سفاراً

هلا تركت من الدنيا معانقة ••• حتى تعانق في العر دوس أنكاراً

إن كنت تبعي جناناً خلد تسكنها ••• فينبغي لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي - رضي الله عنه - لما بعث محمد ﷺ أتت إليهم جنوده فقالوا قد
بعث نبي وأخرجت أمة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال فمن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا
يعبدوا الأوثان وإنما أغدوا عليهم وأروح بثلاث : أخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه
وامساكه عن حقه والشر كله من هذا نبع . وقال رجل لعلي - كرم الله وجهه - يا أمير المؤمنين
صف لنا الدنيا قال وما أصف لك من دار من صرح فيها سقم ومن آمن فيها قدم ومن افتقر فيها
حزن ومن استخنى فيها افتقر ، في حلالها الحسد وفي حرامها العقاب وفي متشايبها العتاب ،
وقيل له ذلك مرة أخرى فقال أطول أم أقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عذاب .
وقال مالك بن دينار اتقوا السحابة فإنها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان
الدراوي إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا جهات الدنيا تزاحمها فإذا كانت الدنيا في القلب
لم تر حمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا شيمة وهذا تشديد عظيم وبرجوا أن يكون ما ذكره
سيار بن الحكم أصح إذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له .
وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله علي - كرم الله وجهه -
حيث قال : الدنيا والآخرة هرقان فبقدر ما ترعى أحدهما تسقط الآخرى .

وقال الحسن والله لقد أدركت أقواماً كانت الدنيا أمرن عليهم من التراب الذي تمشون عليه
ما يبالون أشرفت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذالو ذهبت إلى ذا . وقال رجل للحسن ما تقول في
رجل أتاه الله مالا فهو يتصلق منه ويصل منه أبخس له أن يتحش فيه يعنى يتنعم فقال لا لو كانت
له الدب كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره

وقال الفصيح لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت على حلال لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت
أقنقرها كما يقنقر أحدكم الخيعة إذا مر بها أن تصيب ثوبه

وقبَلْنا قَلمَ عَمر - رَضِيَ اللهُ عَنه - الشَّامَ فاستقبَلَهُ أَبُو عَبيدَةَ بنَ الجَراحِ عَلى نافَةِ مَخطومَةٍ جَديدَةٍ - وسأَلَهُ ثُمَّ أبْنَى مَزلَجَهُ فَمِمَّنْ يَرِيقُهُ إِلا سَيفُهُ ونَرمُوه وَرحلَهُ فَقَالَ لَهُ عَمر - رَضِيَ اللهُ عَنه - جَازِئُكَ مِنهُ هَماؤُكَ فَقَالَ يا أَمِيرَ المُؤمِنينَ ، إِنَّ هَذا يَملِكُنا المُقبِلَ . وَقَالَ سَفيانُ خَدَمَ مِنَ الدُّنيا لِبَندَكِ مَورِدِهِ : الأَخرَةُ لَظيفُكَ ، وَقَالَ أَحسَنُ وَاللَّهِ لَقَدْ عَهدَتِ بَنُو إِسرائِيلَ الأَصنامَ بَعدَ عَبادَتِهِمُ الرِّحَمَ بِجَهِيمٍ نَسيبًا . وَقَالَ وَهَبُ قُرَأتِ في بَعضِ الكُتُبِ الدُّنيا خَيمَةُ الأَكياسِ وَخَظْفَةُ الجَهايلِ لَم يَمرُوها حَتى حَرَجُوا مِنها فَسأَلُوا الرِّجْعَةَ قَلمَ يَرجِعُوا . وَقَالَ لَقمانُ لِأَبْنِهِ يا بُنَيَّ إِنَّكَ إِستَديرتِ الدُّنيا مِن يَومِ نَزلتِها وَاسْتَقبلتِ الأَخرَةَ فَانْتَ إِلى ما قُربَ سَها أَقربَ مِن دارِ تَباعدتِ عَنها .

وقال سعيد بن مسعود إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راضى فذلك للخبون الذى يلبس بوجهه وهو لا يشعر . وقال عمرو بن العاص على المنبر والله عارأيت قوما قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يهد فيه منكم والله ما مر برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذى عليه أكثر من النبى له . وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى ﴿ فَلَا تَتْرَكُوهُمُ فَمَاذَا لِلدُّنْيَا ﴾ ^(١) من قال ذا ناله من خلقها ومن هو أعلم بها إياكم وما شغل من الذنب إن الدنيا كثيرة الإشتغال لا يفتح رجل على شيء يعب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب وقال أيضا مكي بن آدم رضى بغير حلالها حساب وحرامها حذاب إن أغلته من حله حوسب به وإن أغلته من حرام حذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمعيته فى دينه ويحزن من معيته فى دنياه .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز سلام عليك أما بعد فكانك يا عمر من كتب عليه الموت مفت ، فأجابه عمر سلام عليك كأنك بالدينيا ولم تكن وكنك بالآخرة لم تزل .

وقال القسطل بن عياض الدخول في الدنيا دين ولكن الخروج منها شديدا . وقال بعضهم
عجبا لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك وعجبا لمن
رأى تمس الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها وعجبا لمن يعلم أن القدر حق كيف يتعصب .

وقد علم على معاوية - رضي الله عنه - رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف
وجدته فقال: سنيها بلاء وسنينها رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد وبهلك هالك فلو لا المولود
- - - - - لو لا الهالك لضافت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترجى أو أجل
حضر ثمعه قال لا أم لك ذلك قال لا حاجة لي اليك . وقال داود الطائي - رحمه الله - يا ابن آدم
مهرجت بيوع أم لك ، وإنما بلغته بانقضاه أجلك ثم سوفت بعملك كان متفعته لغيرك . وقال بشر
من - - - - - له الدنيا قائما بسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم مافي الدنيا شيء يترك إلا
وقد حصره إليه ثبت يمولك

وقال الحسن لا تخرج نفس آدم من الدنيا إلا بصحرات ثلاث أنه لم يشبع ما جمع ولم يترك ما أمل ولم يحسن الزاد لم قدم عليه . وقال أبو سليمان لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة . وقال ابن خلدون اصطفتنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضها ولا ينهى بعضها بعضها ولا يهتبه الله على هذا فليت شعري أي هذاب الله ينزل علينا . وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة . وقال الحسن أمينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنا منها لمن أهاتها . وقال أيضا إذا أراد الله بعبد خيرا أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فإذا نفذ أهداه عليه وإذا كان عليه عبد يسطر الديب بسطا . وقال محمد بن المنكدر رأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يطر وقام الليل لا يتام وتصدق بماله وجهاد في سبيل الله واجتنب محارم الله لغير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال إن هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله فمن من ليس هكذا الدنيا ضيقة عند مع اقترانها من الذنوب . والخطايا . وقال أبو حازم انتفعت مونة الدنيا والآخرة فأما مونة الآخرة فأنك لا تجد عليها أهوتا وأما مونة الدنيا فأنك لا تضرب بيك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرا قد سبقك إليه . وقال أبو هريرة : الدنيا وقوفة بين السماء والأرض كالأشجار البالي تنادى ربها عند حلقها إلى يوم يصيبها يارب يارب لم تبغضني فيقول لها اسكني يا شيء . وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمضى يصل الخير إليه . وقال وهب بن منبه فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحسنة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من قلبه ومن غلب عليه هواه فهو القلب . وقيل لشر : مات فلان فقال جمع الدين وذهب إلى الأخرج وضعبع معه قبل به إنه كان يعمل ويفعل وذكروا أيوبا من أشر فقال وما يتبع هذا وهو يجمع الدين . وقال بعضهم الدنيا تبعض علينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الدنيا . وقيل لحكيم : الدنيا لمن تركها قبل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها . وقال حكيم الدنيا دار غراب وأغرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران أعمر منها قلب من يطلبها .

وقال الجنيد : كان الشافعي - رحمه الله - من المريدين للناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ
أعد له في الله وعرفه بالله فقال يا أبا أيمن إن الدنيا حصى موزة ودار مللة عمراتها إلى خراب صائر
وساكنها إلى القبور زائر شعلها على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيها إضرار
فيها يسار فافزع إلى الله ولو غنى برزق الله لا تتسلف من دار فتلك فإن حيثك في رائل وجدار
سائل أكثر من عملك وأقصر من أمثك .

وقال إبراهيم بن آدم أحدهم في المنام أحب إليك أم ديني في اليقظة ؟ فقال ديار في اليقظة ، بعد كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة ، وعن اسماعيل بن عياش قال كان أصحابنا يسمون الدنيا غزيرة فيقولون اليث بعد يا غزيرة فلو وجعلوا لها اسما أفصح من هذا لسموها به ، وقال كعب لتحبين اليكم لنديا حتى

معدونها وأهلها . وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله العقلاء ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني غيره قبل أن يدخله وأروى خالفه قبل أن يلقاه ، وقال أيضا في الدنيا : بلغ من شؤمها أن تمسك لها يدهيك من طاعة الله فكيف الوقوع فيها . وقال بكر بن عبد الله من أراد أن يستغنى عن الدنيا بالدنيا كان كمطمىء النار بالنار .

وقال بتدار إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في مخرة الشيطان وقال أيضا من أقبل على الدنيا أحرقت تيرانها بعنى الحرم حتى يصير رمادا ومن أدير عن الدنيا صفت بيرانها فصار سبيكة ذهب يتبع به ومن أقبل على الله أحرقت تيران التوحيد فصار جوهرا لا أحد لقيمه . وقال على - كرم الله وجهه - إنما الدنيا ستة أشياء مطموم ومشروب وملبوس ومركوب ومتكوح ومشوم فأشرف للمطعومات العسل وهو مذقة ذهاب وأشرف للمشروبات الماء ويستوى فيه البر والقاجر وأشرف للملبوسات الحرير وهو نسج درة وأشرف للمركوبات القرس وعليه يقتل الرجل وأشرف المكوحات المرأة وهي مبال في مبال وأن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويراد أتبع شيء منها وأشرف للمشعومات للسك وهو دم .

الباب الثاني والثلاثون في ذم الدنيا أيضا

قال بعضهم يا أيها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالأجل وتسيان الأجل ولا تركوا إلى الدنيا فيها عذرة قد تزخرت لكم بفروها وفنتكم بآمانيتها وتزينت لحاطبها فأصبحت كالعروس للجلية ، اعيون إليها ناظرة والقلوب عليها حاكفة والنفوس لها حاشقة فكم من عاشق لها قتل ومطمئن إليها خللت فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها كثير بوائقها ودمها خالفها جديدها يئس وملكتها يئس وهريرها يئس وكثيرها يئس ودها يموت وخيرها يموت . فاستيقظوا ورحمكم الله من غفلتكم وانتهبوا من رقتكم قبل أن يقال فلان حليل أو مدنس ثقيل على النواء من دليل أو هل إلى الطبيب من سبيل فتدعي لك الألباء ولا يرجي لك الشفاء ثم يمال فلان أوصى ولما له أحصى ثم يقال ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف حشرته وهرق عدد ذلك جيبتك وتتابع أينك وثبت يديك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتدلج لسانك وبكى إخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق وختم على لسانك فلا ينطق ثم حل بك القضاء وانترعت نفسك من الأعضاء ثم هرج بها إلى السماء فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكتافك ففسلوك وكفتوك فاقطع عرارك واستراح

حسادك وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرثيتهم بأعمالك .

وقال بعضهم لبعض الملوك : إن أحق الناس بدم الدنيا وقلها من بسط له فيها وأعطى حاجته عنها لأنه يتوقع أفة تعدو على ماله فتحتاجه " أو على جسمه فتعرقه أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد أو تدب إلى جسمه فتسقمه أو تعجبه بشيء هو ضنين به بين أحيائه بالدنيا أحق بالقلم وهي الأحدة ما تعطى الراجعة فيما تهب ، بيتا هي تفضحك صاحبها إذا أضحكت منه غيره وبينما هي تبكي له إذ أبكت عليه

وبينا هي تبسط كفها بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد فتعقد الحاج على رأس صاحبها اليوم وتغفره في التراب غدا سواء عليها ذهب ما ذهب وبقاء ما بقى تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى لكل من كل بدلا .

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن الدنيا دار ظن ليست دار إقامة وإنما أنزل آدم - عليه السلام - من الجنة إليها عقوبة فاحذر لها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها والفنى منها فقرها لها في كل حين قاتل تلذ من أحرها وتمقر من جمعتها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حفنة فكن فيها كالمدأوى جراحه كحتمى قلبا مخالفة ما يكره طويلا وصبر على شدة الداء مخالفة طول الداء فاحذر هذه الدار الغدارة الخنثاة الخلدانية التي تزينت بخدعها وفتت بفروها وحلت بآمانها ، وسوقت بخطابها فأصبحت كالعروس للجلية العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها حاشقة وهي لأراجيحها كلهم قالية لا يابى بالمأوى معتبر ولا الآخر بالأول مزدجر ولا المعارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مذكر فعاثق لها قد ظفر منها بحاجته فاهتر وطغى ونسى المعاد فشغل عنها قلبه حتى رلت به قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وناله وحسرات الموت بهضته وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد ولدم على غير مهاد فاحذر لها يا أمير المؤمنين ، وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه إلى مكروه الضار في أهلها غار والافع فيها غدار ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء فسروها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدير ولا يبرى ما هوأت فيتنظر أمانها كاذبة وآمالها باطلة وصغرها كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر أن عقل ونظر فهو من السماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان الخائف لم يخبر عنها خيرا ولم يضرب لها مثلا لكائن الدنيا قد أيقظت النائم وبهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها راجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل شأوه قدر وما نظر إليها منذ خلقها ولقد عرخت على سبيك ^{تلك} بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فابى أن يقبلها أذكره بخالف على أمره أو يحب ما أبغضه خالفه أو يرفع ما وضعه مليكه ، فزواها عن الصالحين اختبأوا وبسطها لأعدائه

[illegible]

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 143. 144. 145. 146. 147. 148. 149. 150. 151. 152. 153. 154. 155. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166. 167. 168. 169. 170. 171. 172. 173. 174. 175. 176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183. 184. 185. 186. 187. 188. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 196. 197. 198. 199. 200. 201. 202. 203. 204. 205. 206. 207. 208. 209. 210. 211. 212. 213. 214. 215. 216. 217. 218. 219. 220. 221. 222. 223. 224. 225. 226. 227. 228. 229. 230. 231. 232. 233. 234. 235. 236. 237. 238. 239. 240. 241. 242. 243. 244. 245. 246. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 253. 254. 255. 256. 257. 258. 259. 260. 261. 262. 263. 264. 265. 266. 267. 268. 269. 270. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 278. 279. 280. 281. 282. 283. 284. 285. 286. 287. 288. 289. 290. 291. 292. 293. 294. 295. 296. 297. 298. 299. 300. 301. 302. 303. 304. 305. 306. 307. 308. 309. 310. 311. 312. 313. 314. 315. 316. 317. 318. 319. 320. 321. 322. 323. 324. 325. 326. 327. 328. 329. 330. 331. 332. 333. 334. 335. 336. 337. 338. 339. 340. 341. 342. 343. 344. 345. 346. 347. 348. 349. 350. 351. 352. 353. 354. 355. 356. 357. 358. 359. 360. 361. 362. 363. 364. 365. 366. 367. 368. 369. 370. 371. 372. 373. 374. 375. 376. 377. 378. 379. 380. 381. 382. 383. 384. 385. 386. 387. 388. 389. 390. 391. 392. 393. 394. 395. 396. 397. 398. 399. 400. 401. 402. 403. 404. 405. 406. 407. 408. 409. 410. 411. 412. 413. 414. 415. 416. 417. 418. 419. 420. 421. 422. 423. 424. 425. 426. 427. 428. 429. 430. 431. 432. 433. 434. 435. 436. 437. 438. 439. 440. 441. 442. 443. 444. 445. 446. 447. 448. 449. 450. 451. 452. 453. 454. 455. 456. 457. 458. 459. 460. 461. 462. 463. 464. 465. 466. 467. 468. 469. 470. 471. 472. 473. 474. 475. 476. 477. 478. 479. 480. 481. 482. 483. 484. 485. 486. 487. 488. 489. 490. 491. 492. 493. 494. 495. 496. 497. 498. 499. 500. 501. 502. 503. 504. 505. 506. 507. 508. 509. 510. 511. 512. 513. 514. 515. 516. 517. 518. 519. 520. 521. 522. 523. 524. 525. 526. 527. 528. 529. 530. 531. 532. 533. 534. 535. 536. 537. 538. 539. 540. 541. 542. 543. 544. 545. 546. 547. 548. 549. 550. 551. 552. 553. 554. 555. 556. 557. 558. 559. 560. 561. 562. 563. 564. 565. 566. 567. 568. 569. 570. 571. 572. 573. 574. 575. 576. 577. 578. 579. 580. 581. 582. 583. 584. 585. 586. 587. 588. 589. 590. 591. 592. 593. 594. 595. 596. 597. 598. 599. 600. 601. 602. 603. 604. 605. 606. 607. 608. 609. 610. 611. 612. 613. 614. 615. 616. 617. 618. 619. 620. 621. 622. 623. 624. 625. 626. 627. 628. 629. 630. 631. 632. 633. 634. 635. 636. 637. 638. 639. 640. 641. 642. 643. 644. 645. 646. 647. 648. 649. 650. 651. 652. 653. 654. 655. 656. 657. 658. 659. 660. 661. 662. 663. 664. 665. 666. 667. 668. 669. 670. 671. 672. 673. 674. 675. 676. 677. 678. 679. 680. 681. 682. 683. 684. 685. 686. 687. 688. 689. 690. 691. 692. 693. 694. 695. 696. 697. 698. 699. 700. 701. 702. 703. 704. 705. 706. 707. 708. 709. 710. 711. 712. 713. 714. 715. 716. 717. 718. 719. 720. 721. 722. 723. 724. 725. 726. 727. 728. 729. 730. 731. 732. 733. 734. 735. 736. 737. 738. 739. 740. 741. 742. 743. 744. 745. 746. 747. 748. 749. 750. 751. 752. 753. 754. 755. 756. 757. 758. 759. 760. 761. 762. 763. 764. 765. 766. 767. 768. 769. 770. 771. 772. 773. 774. 775. 776. 777. 778. 779. 780. 781. 782. 783. 784. 785. 786. 787. 788. 789. 790. 791. 792. 793. 794. 795. 796. 797. 798. 799. 800. 801. 802. 803. 804. 805. 806. 807. 808. 809. 810. 811. 812. 813. 814. 815. 816. 817. 818. 819. 820. 821. 822. 823. 824. 825. 826. 827. 828. 829. 830. 831. 832. 833. 834. 835. 836. 837. 838. 839. 840.

[illegible][illegible][illegible][illegible][illegible]

المحرى حتى يتسنى إلى الغنية وكم عسى أن يبقى من له يوم الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يمارقها فلا يجزها ليواسها وفسرها فإنه إلى انقطاع ولا تفرحوا بتاعها ونعماته فإنه إلى زوال ، - هجيت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمفول عنه ، وقال محمد بن الحسين لما علم أهل العسل بيلهم والمعرفة والآداب أن الله عز وجل قد أحسن الدنيا وأنه لم يرخصها لأولياته وأنها عده حقيرة دليلة ، وأن رسول الله ﷺ رهد فيها وحذر أصحابه لئلا يفتتوا منها قصدا وقدموا فضلا وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما ينهي لبسوا من التيب ما ستر العورة وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية وإلى الآخرة أنها باقية فترودوا من الدنيا كزار الراكب مخربوا الدنيا وعصروا بها الآخرة ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعملوا أنهم سينظرون إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم تعبوا قليلا ونعموا طويلا كل ذلك يتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكروها ما كره لهم .

أبواب الثالث والثلاثون

في فضل القناعة

اعلم أنه ينبغي أن يكون الفقير قائما متقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حرصا على اكتساب المال كيف كان ولا يمكنه ذلك إلا بأن يتبع بقلوب الضرورة من المطعم والملبس والسكن ، ويتقصر على أقله قدره وأخسه نزعاً ويرد أمله إلى يومه أو سهره ولا شغل قلبه بما بعد شهر فإن تشوق إلى الكثير أو طول أمله فإنه عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذلك الحرص وجره الحرص والطمع إلى مساوئ الأخلاق وارتكبات المنكرات المخوفة للمروءات ، وقد جبل الأدي على الحرص والطمع وقلة القناعة قال رسول الله ﷺ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا يفتى بهما ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » (١) وعن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله ﷺ إذا أوصى إليه أياء يملأها ما أوصى إليه ، فحينئذ دات يوم فقال إن الله عز وجل يقول إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثمان ، وإن كان له الثمان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب . وقال أبو موسى الأشعري نزلت سورة نحو برادة ثم رفعت وحفظ منها وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ، ولو أن لابن آدم وادي من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب وقال ﷺ : « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهمو المال » ، وقال ﷺ : « يهرم ابن آدم

(١) (صحيح أحمد ٤ / ٣٦٨ ، والترمذي ٢٣٣٧)

ويشب معه انتنان الأمل وحب المال أو كما قال » (١) ولما كانت هذه جيلة للأدعي مضلة وغريزة مهلكة أتى الله تعالى ورسوله على القناعة ، فقال ﷺ : « ما من أحد فقير ولا غني إلا ود يوم القيامة أنه كان أولي قوتا في الدنيا » ، وقال ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العرض ألما الذي غنى النفس » (٢) . ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ﷺ : « أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راحة »

وروي أن موسى - عليه السلام - سأل ربه تعالى فقال أي عبادك أغنى قال أغنىهم عما أصعبته قال فأبهم أحدك قال من أنصف من نفسه . وقال ابن مسعود قال رسول الله ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « يا أبا هريرة إذا اشتد بك الجوع فمليك برغيث وكواز من ماء وعلى الدنيا الدمار » . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « كن ورعا تكن أعبد الناس . وكن قنعا تكن أشكر الناس » وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا » ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع ، فيما رواه أبو أيوب الأنصاري أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله عطني وأوجر فقال . إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحنن بعثت تعتذر منه غذا واجمع اليأس عما في أيدي الناس . وقال خوف بن مالك الأشجعي كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال ألا تبايعون رسول الله ﷺ فيسطنأ أيلينا فيبايعناه فقال قتال منا قد بايعتك فعلى ماذا نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وتصلوا الخمس وأن تسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض أولئك الثفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يتأوله إياه . وقال عمرو - رضي الله عنه - إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وأنه من يئس عمالي أهد الناس استثنى عنهم ، وقيل لبعض الحكماء ما الفناء قال قلة نبيك ورغبتك بما يملكك وفي ذلك قيل :

العيش ساعيات تمر •• وخطوب أيام تكرر
اقبح بعيشك ترغبه •• وأترك هواك تعيش حمر
ملرب حنق ساقه •• ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع يمل الخبز اليأس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد ، وقال صبيان خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم ، وقال ابن مسعود ما من يوم إلا وملك يتأدى يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطعك ، وقال سميط بن صجلان

(١) (صحيح أحمد ٣ / ١٩٢ ، والترمذي ٢٣٣٩)

(٢) (صحيح البخاري ٦٤٤٦ ، ومسلم ١٠٥١)

١٠٨ ذ يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار ، وقيل الحكيم ما ماله قال انتجمل في الظاهر ، في الباطن واليأس مما في أيدي الناس .

١٠٩ أي أن الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا لك كلها لم يكن لك منها إلا القوت ، صبرك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن . وقال ابن مسعود إذا حركم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا يأتي الرجل فيقول إنك وإنك فيقطع ظهره فلانما يأتيه . من الرزق أو ما رزق .

١١٠ كتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه فكتب إليه قد رفعت . مني إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قمت ، وقيل لبعض الحكماء أي أسير للعامل وأبما شيء أصون على دفع الحزن ، فقال أسرها ما قدم من صالح العمل . لأنها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء ، وقال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما . دواهماء عيشا الفتن وأصبرهم على الأذى الغريص إذا طمع وأخفهم عيشا أنفسهم . الله وأعطهم تلبية العالم المقرط وفي ذلك قيل :

أرقه يسأل فتى أمسى على ثقة * * * إن الذي قسم الأرزاق يوزقه
فالعرض منه مصبون لا ينسه * * * والوجه منه جفيد ليس يخلفه
إن القناعة من يحال بساحتها * * * لم يلق في دهره شيئا يوزقه
ولقد قيل أيضا :

١١١ حتى متى قفا في حل وترحال * * * وطبول سمى وإدبار وأقبال
أفزع الفلح لا تنفك مستريا * * * عن الأحبة لا يهتدون ما حالي
١١٢ في الأرض طيرا ثم مغسريا * * * لا يخطر الموت من حرمي على يالي
١١٣ فمت أناني الرزق في دعة * * * إن الفسوق الغنى لا كسرة المال

١١٤ قال عمر - رضي الله عنه - ألا أخبركم بما استحل من مال الله تعالى ، حلتان لشعائي . من يستعني من الظهر لحجي وعصري وفروني بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست . ولا بأوصعهم هو الله ما يرى أبجل ذلك أم لا كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة . الحمية التي تحب القناعة بها . وعاتب أمراي أخاه على الحرص ، فقال يا أخي أنت طالب . صبرك من لا تموت وتطلب أنت ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما أنت . فمت عنه كأنك يا أخي لم تر حرضا محروما وزاهدا مرزوقا وفي ذلك قيل :

١٠٩ أراك مزيدك الإثراء حرصا * * * على الدنيا كذلك لا تموت
فهل لك ضاية إن صرت يوما * * * إليها قلت حسبي قد وضيت

وقال الشعبي حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن تصنع بي قال افحصك وأكلك قالت وابل ما أشقى من قرم ولا أشبع من جوع ونكر أعينك ثلاث حصال من خير لك من أكلتي ، أما واحدة فأعلمتك وأنا في يدك ، وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة ، وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت لا تلغض علي ما ماتت فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية ، قالت لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت فصار على الجبل تقول يا شقي لو فبهتني لأخرجت من حوصلي دوتين زنة كل دوة عشرون مثقالا قال فعض على شغيفه ونهف ، وقال هات الثالثة قالت أنت قد سبت انتس فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلغض علي ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنا لحمي ودمي وريشي لا يكون مثقالا فكيف يكون في حوصلي دوتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت . وهذا مثال لفرط طمع الأدمى فإنه يعميه من دوك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون .

وقال ابن السماك أن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك ، وقال أبو محمد الميزي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوبة فيها بالدعبل فلم راني تبسم فقلت فائدة أصلح الله أمير المؤمنين ، قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتهما وقد أضفت إليهما ثالثا وأتسنى :

إذا سد باب عنك من دون حاجة * * * فلهما لأخسرى يفتح لك بابها
فإن قراب البطن يكفيك ملؤه * * * ويكفيك موات الأمور اجتنابها
ولا تك مبطالا لعرضك واجتنب * * * ركوب للمعاصي يجتنبك عقابها

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقلوها ، قال الطمع وشبه النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للمفضل مرن لي قول كعب ، وقال يطمع الرحمن في الشيء يطمع فيذهب عليه دبه وأما الشره وشبهه النفس في هذا وفي هذا ، حتى لا تحب أن دعوتك شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة فإذا قصاها لك حرم أنفك وقادك حيث شاء وأستمكن منك وحصعت له فمن أحبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به وعدهته إذا مرض لم تسلم عليه الله عز وجل ولم تعده الله قلوب لم يكن لك إليه حاجة كان خيرا لك .

الباب الرابع والثلاثون

فصل العقراء

قال ﷺ : خير هذه الأمة فقراؤها ، وأسرعها تضرعاً في الجنة ضعفاؤها ^(١) . وقال ﷺ : إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني الفقر والجلاء ^(٢) . وروى أن حبرين عبد السلام سأل علي رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويعبر أحب أن أحصل هذه الحبال ذهباً وتكون معك أيهما كنت ؟ فأطرق رسول الله ﷺ ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ودار من لا مال له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ، فقال له جبريل يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت .

وروى أن المسيح - عليه السلام - مر في سبحاته برجل نام ملتف في عبادة فأيقظه ، وقال يا نائم قم فادكر الله تعالى فقال ما تريد مني إني قد تركت الدنيا أهلها فقال له قم اذا ما حبيب ، ومر موسى - عليه السلام - برجل نام على التراب ونحت رأسه لينة ووجهه لحيته في التراب وهو مترو بعبادة فقال يا رب حبلك هذا في الدنيا ضائع ، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت إني إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها .

وقال ﷺ : الفقر أربعان بالمؤمن من العطر الحسن على عهد الفرس ^(٣) . وقال ﷺ : من أصبح مكم معافى في جسمه أما في سريه عده فوت يومه فكأن حيزت له الدنيا بعد عمرها . وقال كعب الأحبار قال الله تعالى لموسى - عليه السلام - اذا رأيت العقر مقبلاً فقل مرحباً بشمار الصالحين . وقال عطاء الخراساني مر نبي من الأنبياء بساحل فإذا برجل بهطاد حينئذ ، فقال باسم الله والقي الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان والقي الشبكة فخرج فيها من الحيتان ما كان يتفاحس من كثرتها ، فقال النبي ﷺ يارب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيذك ، فقال الله تعالى لعملائكة اكشعوا لعبدى عن منزليهم ، ولما ولى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الهرا قال وضيت يارب . وقال نبينا ﷺ : اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء . وفي حديث آخر فرأيت أكثر أهل النار قتل ما شأنهم قليل شغلهم الأحمقان الذهب والزعفران ^(٤) .

وقال ﷺ : تحفة المؤمن في الدنيا الفقرة ^(٥) . وفي الخبر : آخر الأغنياء دخول الجنة سليمان

بن داود - عليهما السلام - فكان ملكه وآخر أصحابه دخلاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه ، وفي حديث آخر رأته دخل الجنة زحماً . وقال المسيح - عليه السلام - بشدة يدخل النسي الجنة . وفي خبر آخر عن أهل البيت - رضي الله عنهم - أنه ﷺ قال إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له أهلاً ولا مالاً . وفي الخبر إذا رأيت فقراً مثلاً فقل مرحباً بشمار الصالحين وإذا رأيت الغنا مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته . وقال موسى - عليه السلام - يارب من أحبائك من خلقت حتى أحبهم لأجلك فقل كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشديد الفقر . وقال المسيح عليه السلام أتى لأحب للسكنة وأبغض النعماء وكان أحب الأسماء إليه - صلوات الله عليه - إن يقال له يا مسكين ، ولما قلت سادات العرب وأغياؤهم للنبي ﷺ اجعل لنا يوماً ولهم يوماً يجيئون إليك ولا تحي ولا تحي إليك ولا يجيئون يحنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وعقاب بن الأرت وهمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفقة من الفقراء - رضي الله عنهم - أجمعين ، أجابهم النبي ﷺ إلى ذلك ، وذلك لأنهم شكوا إليه التادى برائعتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرتوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد على الأغنياء ، منهم الأقرع بن حابس التميمي وحيينة بن حصن القراري وهباص بن مرداس السلم وغيرهم فأجابهم رسول الله ﷺ أن لا يجمعهم وليأمرهم مجيب واحد فنزل عليه قوله تعالى : ﴿ وأخبر نفسك عن الذين يدفون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ﴾ يعني الفقراء ﴿ قريباً ذمة الحياة الدنيا ﴾ يعني الأغنياء ﴿ ولا تطع من أغفل قلبه عن ذكرنا ﴾ ^(١) يعني الأغنياء ﴿ وقلي الحق من ربكم ﴾ فعرش المؤمنين ومن شاء فكفركم ^(٢) الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعده رخص من أشراط فرش مشق ذلك على النبي ﷺ . فأمر الله تعالى ﴿ عيسى ونولي ﴾ أن جاءه الأعشى ^(٣) وما يترى لك لعل يركي ^(٤) أو يذكر فضله الذكرى ^(٥) أما من سخطني ^(٦) فأنت له تصدى ^(٧) ^(٨) يدري عد الشريف

وقال - عليه السلام - : أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة قالوا يا رسول الله وما دولتهم قال إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً فدخلوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة . وقال ﷺ : دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال ومطرت من أعلاها فردا فقراء أمي وأولادهم ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شأنهم قال أما النساء فأضر بهن الأحمران الذهب والحرير وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب ونقصت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم

(١) آية (٢٩) سورة الكهف

(٢) آية (٢٨) سورة الكهف

(٣) آية (٦٠) سورة هود

(١) الجامع السديد ٩ / ٢٧٤ . والضميمة (٥٦٧) . (٢) (موضوع) تنزه الشريعة ٢ / ١٨٢ .

(٣) (ضميم) الطبراني ٧ / ٣٥٣ . وضميم الجامع (١٠٢٩)

(٤) (مصحح) السجدي (١) ٣٦ .

(٥) سبق تخريجه

جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقالت ما خلفك عني ، قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى لمعب المشيبات وطمعت أني لا أراك فقلت ولم قال كنت أحاسب بمالي ، فانتظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابغة العظيمة مع رسول الله ﷺ وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل بيته وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ إلا من قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استنصر بالغنى ، إلى هذا الحد ودخل رسول الله ﷺ على رجل فقير فلم ير له شيئاً فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم . وقال ﷺ : ألا أخبركم بملوك أهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف أعبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره . (١) وقال عمران بن حصيص كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاء فقال عمران إن لك عندنا منزلة وجاءها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، قلت نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى وقف باب فاطمة ففرق الباب وقال السلام عليكم أدخل فقلت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله ؟ قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما على إلا عيادة قال استصحب بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته كيف يرأسى فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا ابتاه كيف أصبحت ثالث أصبحت والله وجعة وذخني وجعا على ما بي أني لست أقدر على طعام أكله فقد أخبر من الخبز فبكي رسول الله وقال لا تجزعى يا ابتاه مو الله ما فقت طعاماً منذ ثلاث واني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ، ثم هرب بيده على متكبها وقال لها أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة ، قالت فأبى أسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال أمية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من نصب لا أذى فيها ولا ضغب ولا نصب ، ثم قال لها اتقني بأبن عمك فوالله لقد زوجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة .

وروي عن علي - كرم الله وجهه - أن رسول الله ﷺ قال إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم ومأهم الله بأومع خصال ، بالتمسك من الزمان ، والجود من السلطان ، والخيانة من ولادة الأحكام ، والشركة من الأعداء . وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - ذو الدرهمين أشد حبساً أو قال حبساً من ذي الدرهم . ولوسل عمر - رضي الله عنه - إلى سعيد بن عامر بألف دينار فحاج حرياً كنيب فعالت ، أمر أنه أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أربني ذرعك الخلق فشفه وجعله صريراً ومرفه ثم قام يصلي إلى الخلق ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يدخل فقراء أمي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج .

وقبل جاء فقير إلى مجلس الثوري - رحمه الله - فقال له تخط لو كنت غنيا لما قربتك وكان لأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تفرقه للفقراء وحرابه عن الأغنياء ، وقال المؤمن ما رأيت العس أدن منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أبعد منه في مجلس الثوري - رحمه الله - وقال بعض الحكماء مسكين ابن آدم لو خالف من الذر كما يخالف من العفر لشجا منها جميعاً ولو رغب في الجنة كما يرغب في الفنى لمار بهما جميعاً ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً . وقال ابن عباس ملعون من أكرم بالعتى وأهان بالفقر . وقال لقمان - عليه السلام - لا ته لا تحقر أحداً خلقك إن فيه فإن ريك وربه واحد . وقال يحيى ابن معاذ حيك للفقراء من أخلاق المرسلين وإتارك مجالسهم من علامة المنافقين . وفي الأخبار عن الكتب السالفة ، أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه - عليهم السلام - أحذر أن أمتك تنسقط من عيني فأصعب عليك الدنيا صبا . ولقد كتبت عائشة - رضي الله عنها - ترق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما وأن درهما لم يرق ، وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحما تقطرين عليه وكانت صائمة ، فقالت لو ذكرتنى لفعلت وكان قد أوصاه رسول الله ﷺ وقال : إن أردت اللحوق بين فعليك بعيش الفقراء وإليك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى ذرعك حتى ترقعه . وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم ، لا أفعل ذلك أبداً - رضي الله عنه - . وقال رسول الله ﷺ : طوبى لمن عدى إلى الإسلام وكان عيشه كعانا وقع به . (١) وقال ﷺ : يا معشر الفقراء أطعوا الله الرضا من قلوبكم تظهروا بشواب فقركم . (٢) ، والإسلام فالأول الفاتح وهذا الرضا ويكاد يشعر هذا بمفهومه أن الخريص لا ثواب له على فقره ، ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثواباً كما سيأتى تحقيقه فلمل المراد الرضا هو الكرامة لفعل الله في حبس الدنيا عنه وروى راضب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحيط ثواب الفقر .

وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال : إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة للمسكين والفقراء لعبرهم هم جلساء الله تعالى يوم القيامة . (٣) الفقير الفاتح برقه الراضى عن الله تعالى . وقال ﷺ : اللهم اجعل قوت آل محمد كقافا ، وقال : ما من أحد غنى ولا فقر إلا وديوم القيامة أنه كان أوتى قوتاً في الدنيا . وأوحى الله تعالى إلى اسماعيل - عليه السلام - اطلبى عند المنكسرة قلوبهم ، قال ومن هم قال الفقراء الصادقون . وقال ﷺ : لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً . (٤) وقال ﷺ : يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي

(١) صحيح أحمد ٦ / ١٩ ، وفتح مكي (٢٣٤٩) . (٢) انجاف السادة ٩ / ٢٨٣

(٣) موضوع (انجاف السادة ٩ / ٢٨٣) ، وضعيف الجامع (٤٧٣١)

(٤) انجاف السادة ٩ / ٢٨٣

منه ، الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القائمون لصناديق الرهبان بقدرى أذخروهم الحمة ، فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون . فهذا في القانع والراضي وأما الراشد فيستذكر فضله إن شاء الله تعالى .

وأما الآثار في الرضا والفناعة فكثيرة ، ولا يخفى أن الفناعة يضاهيها الطمع ، وقد قال عمر - رضي الله عنه - إن الطمع فقر والياس غنى وأنه من يشرب حما في أيدي الناس وقع استعصى عنهم ، وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - ما من يوم إلا ومثل ينادي من تحت العرش يا ابن آدم طيل يكفيك خير من كثير يطعميك . وقال أبو الدرداء - رضي الله عنه - ما من أحد وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دأبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما يتبع مال يزيد وعمر ينقص . وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قللة لميك وورثك بما يكفيك . وقيل كان إبراهيم بن أحمد من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل نام فقال لبعض جلسائه إذا قام فجننت به ، فلما قام جاء به إليه فقال إبراهيم لها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع قال نعم قال فشعبت قال نعم قال ثم تحت طيبا قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تنزع بهذا القدر . ومر رجل بعاصم بن عبد القيس وهو يأكل ملحاً ويقال فقال له يا عبد الله أوصيت من الدنيا بهذا فقال لا أدلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا هو رضا عن الأخرة . وكان محمد بن واسع - رحمه الله عليه - يخرج خبزاً باباً فيبيله بلماً ويأكله يملح ويقوم من رضى من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد . وقال الحسن رحمه الله لعن الله أقوام أقسم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ : ﴿ وَلِي السَّعَاءُ بِذُنُوبِكُمْ وَمَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴿ ١٦ 〉 الآية . . وكان أبو بكر - رضي الله عنه - يوماً جالسا في الناس فأتته امرأته فقالت له اجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هبة ولا سفة ، فقال يا هذه إن بين أيدينا عقة كوز لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهي راغبة . وقال فولان - رحمه الله - أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له . وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال اتجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس عما في أيدي الناس .

ويروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب للسلف المنة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن منها إلا القوت فإذا أنا أعطيت منها القوت وجعلت حسابها على خيرك فإنا محسن إليك وقد قيل في الفناعة

إصرع إلى الله لا تنصرع إلى الناس ••• وافتنع بياس فإن العز في اليأس

واستغن عن ذي قريب وفي رحم ••• إن الغنى من استغنى عن الناس وقد قيل في هذا المعنى أيضا :

يا جامعاً صانعاً والهدى يرمقه ••• مقدراً أي باب منه يخلقه
مفكسراً كنهف تأتبه منيته ••• افتقاراً أم بهتاً يسهر فتطرقة
جمعت ما لا يقل لي هل جمعت له ••• يا جامع المال أهاما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ••• ما المال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه يسأل فتى يشدو على ثقة ••• إن الذي قسم الأرزاق يورثه
لأعرض منه مصون ما يثنيه ••• والوجه منه جليد ليس يخلقه
إن الفناعة من يحل يساحتها ••• لم يلق في ظلها هما يورثه

الباب الخامس والثلاثون

في اتخاذ ولي من دون الله سبحانه وتعالى

وفي بيان العرصات

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا إِلَى الْبَيْنِ ظَنُوبًا فَتُكْمُ النَّارِ ﴾ (١) الآية . . قال بعض المفسرين أجمع أهل الأمة على أن الركون مطلق الميل والشكون يسرا أو كسيرا . وعن عكرمة لا تصطنعوهم . والظاهر من الآية صوم النهي عن الركون إلى المشركين وفسقة المسلمين . وقال النيسابوري في تفسيره قال المحققون الركون المنهى عنه هو الرضا بما عديه الظلمة أو ترين طريقهم ولحسنها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من أبواب المظالم فأما مدخلتهم لدفع شيء من الضرر أو اجتلاب منعة عاجلة فغير داخل في الركون . قال وأقول هذا من طريق المعاش والمروعة ومقتضى التقوى هو الاحتساب معهم بالكلية ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (٢) قلت ولقد صدق فحسم مادة الركون إليهم أولى سيما في هذه الأزمان التي لا يمكن فيها إتكاف المنكر والأمر بالمعروف مع ما في الركون إليهم من الضرر والغرور وإذا كان حال الميل في الجملة لمن وجدته ظلم ما في الإفضاء إلى عسائس النار هكذا فما ظنك بمن يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهاون على صحبتهم ، ويلقى شرا شرا على مؤاستهم ومعاشرتهم ويتتهج بالتزين بزيهم ويعد عيبه إلى

زهرتهم المانية ويعطيهم بما أوتوا من المقطوف الدانية وهو في الحقيقة من الجنة طفيف ومن جنتاح المعوضة بمنزل من أن يحبل اليه القلوب وضحف الطالب والمطلوب . قال ﷺ : « المرء على دين حبله فليظفر أحدكم من يخالل » . (١)

وروى : مثل الجاني للمتلح مثل جاني القلوب إن لم يملك أصابك من ربحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكبر إن لم يحرقك أصابك من دغائه قال الله تعالى : ﴿ مثل الذين اتبعوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اعتدت بيوتا ﴾ (٢) الآية . وقال ﷺ : من عظم غيب لعباده فقد ذهب ثلثا دينه . وقال ﷺ : إذا مدح الفاس فحسب الرب واحتر لذلك العرش ، وقال الله تعالى : ﴿ يوم ندعو كل أناس بإمامهم ﴾ (٣) يعني في عرصات القيامة ، وقد اختلف المفسرون في تعيين الإمام الذي يدعى كل أناس به فقال ابن عباس وغيره أنه كتاب كل إنسان الذي فيه عمله أي يدعى كل إنسان بكتاب عمله ويؤدى هذا قوله تعالى : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ (٤) الآية وقال ابن زيد : الإمام هو الكتاب المنزل فيقال بأهل التوراة بأهل الإنجيل بأهل القرآن وقال مجاهد وقطادة إمامهم نبيهم فيقال هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي عيسى هاتوا متبعي محمد ﷺ وعليهم . وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - المراد بالإمام إمام عصرهم فيدعى أهل كل عصر بإمامهم الذي كانوا يأثرون بأمره ويتبعون بنيه . وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل خافز لواء فيقال هذه خدوة فلان ابن فلان .

وروى الترمذي وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ في تفسيره هذه الآية يدعى أحدهم فيعطى كتابه يمينه ويمد له في جسمه ستين ذراعا ويبقى وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فيطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم اكفنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم فيقول أبشروا لكل وجل منكم مثل هذه . وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ستين ذراعا على صورة آدم وليس تاجا من شوك فيراه أصحابه فيقولون بموذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا ، قال فيأتيهم فيقولون اللهم آخره فيقول أبعذك الله من لكل رجل منكم مثل هذا . وقال الله تعالى ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ (٥) وأخرجت الأرض أنهارها ﴿ (٥) إلى آخر السورة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما أي تحركت من أسفلها وأخرجت ما في جوفها من الأموات والدفائن . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ (٦) قال أتدرون ما أخبرها قالوا الله ورسوله أعلم قال فلان أخبرها أن تشهد على كل

بعد وأمه بكل عمل عمل على ظهره . وعن رسول الله ﷺ أنه قال لحفظوا من الأرض فإنها أمكم وأنه ليس من أحد عامل عليها غيراً أو شراً إلا وهي مغيرة . . . أخرجه الطبراني .

الباب السادس والثلاثون

في النخع والفزع والحشر من العقاب

قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحتى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينخع » (١) قد مقان الصور هو القرن وذلك أن إسرائيل - عليه السلام - وأصبح فاه على القرن كهية البوق وفاترة وأمس القرن كعرش السموات والأرض وهي شائخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينخع النخعة الأولى فإذا نفخ صفق من في السموات ومن في الأرض . أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت . ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يثب الخلق بعد النخعة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحى الله إسرائيل فأمره أن ينخع الثانية فذلك قوله تعالى : ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ (٢) على أرجلهم ينظرون إلى البعث ، وقال ﷺ : حين يبعث أئمة أصحاب الصور فأهوى به إلى فيه ، وقدم وجلا وأمر أخرى ينتظر متى يؤمر والنخع ألا فأتوا النخعة فتفكر في الخلق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الاتبعات خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة أو شقوة وأنت فيما بينهم مكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم ، بل إن كنت في الدنيا من المترفين والأعتياء المنتعشين فملوك الأرض في ذلك اليوم أدل أهل أرض الجميع وأصغرهم وأحقهم يوطون بالأقدام مثل الدر بعد ذلك تقبل الوحوش في البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلات بعد توحشها فليلا ليوم التشور من غير خطيئة تلقت بها ، ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهو النخعة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا الفجر فحشرت ﴾ (٣) ثم أنبلت الشياطين والمردة بعد فمردعها وعنتوها وأدعت حاشمها من هيئة للمرض على الله تعالى تصديها لقوله : ﴿ ففروك لتحشرنهم والشياطين ثم تحشرهم بهم حول جهنم جهنم ﴾ (٤) لتفكر في حالك وحال قلبك هنالك .

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والتشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر أرض يشاء قاع صصيف لا ترى فيها هوجا ، ولا ترى عليها ريوحة يحتسى الإنسان ورواحها ولا وهذه ينخض عن

(١) (حسن) الترمذي (٢٤٣١) . وأحمد ١/ ٣٢٦ . (٢) آية (١٨) سورة الفرقان .

(٣) آية (٥) سورة التكاوير . (٤) آية (٦٨) سورة مريم .

(١) (حسن) الترمذي (٢٣٧٨) .

(٢) آية (٧١) سورة الإسراء .

(٣) آية (١-٢) سورة الفرقة .

(٢) آية (٤١) سورة التكاوير

(٤) آية (١٩) سورة الحاقة

(٥) آية (٤) سورة الزلزلة

الآعين فيها به هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون عليه زمرا زمرا ، فسيهان من جميع الخلاق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذا سافهم بالراجلة تنبها الرادة والراجعة هي النعمة الأولى والرافدة هي الثانية . وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجعة وتلك الأبيصار أن تكون حاشعة . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ﴾ (١) قال ابن عباس يراد بها ريمص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتقدم الأديم المعكك على أرض يصفاء مثل الصفة لم يسمك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة ، والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها . فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدة فزائه إذا اجتمع الخلاق على هذا الصعيد تثار من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلت الأرض لعمود سراجها فينما هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وتشتت مع غلظتها وشدها خمسمائة عام وللاثقة قيام على حافاتها وأرجائها ، فياهول صوت انشاقها في سمعك وباهية لوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تغلطها صفرة فصارت وردة كالدخان وصارت السماء كالمهل وصارت اجيال كالعن ، وانتشرت الناس كالفرش الميثوث وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله ﷺ : « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق ويبلغ شحوم الآدان » (٢) . قالت سورة زوج النبي ﷺ رواية الحديث قلت يا رسول الله واسرائاه ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم : ﴿ لَكُلٍّ أَمْرٌ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ فَانٌّ بِخَبْرِهِ ﴾ (٣) فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والإثفات ، كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الإثفات إلى غيرهم ، قال أبو هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ : « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف وكيانا ومثاة وولي وجوههم ، فقال رجل يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم قال الذي أمشاهم على أقدامهم قالوا على أن يمشيهم على وجوههم » (٤) .

في طبع الأدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشى على يطنها كالبرق لحاطف لأنكر تصور المشى على غير رجل ، والمشي بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فهلك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفته قيس ما في الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة ، لكنت أشد إنكارا لها فاحضر في قبلك صورتك وأنت واقف عاريا مكسوبا دليلا مسحورا متحررا مبهوتا متظرا لما يجري عليك من

القصد بالسعادة أو بالشقاء وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة . ثم تفكر في ازدحام الخلاق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير لما شرفت عليهم الشمس وقد تضاعف جرحها وتبدلت عما كانت عليه من خعة أمرها ثم أدبت من رؤوس المالمين كغاب قورسين ، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستقلال به إلا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضجى لحر الشمس قد صهرته بحرهما وأشدت كربه وضحه من وهجه ثم تذاقت الخلاق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانضاف إليه شدة الحيلة والحياة من الافتتاح والاحتذاء عند العرض على جبار السماء ، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياة والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سأل على صعيد القيامة ، ثم ارتفع على أقدامهم على قدر منازلهم عند الله فبعضهم بلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شحمة أذنيه ، وبعضهم كاد يقبض فيه .

قال ابن عمر قال رسول الله ﷺ يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يثوب أحدهم في رشحته إلى أنصاف أذنيه . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ آذانهم . . كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح . وفي حديث آخر قياما شاحمة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب . وقال عفة بن عامر قال رسول الله ﷺ تندو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس من الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خباصرته ومنهم من يبلغ فاه ، وأشار بيده فألجمها فاه ، ومنهم من يغطي العرق ويحرب بيده على رأسه هكذا . فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم وفيهم من ينادي فيقول رب ارحمني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فإنك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق . واعلم أن كل عرق لم يخرج من العتب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر معروف وبهي عن منكر ، فسيخرجه الحية والخوف في صعيد القيامة يطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمنا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيمة شدته طريقه ملته

(١) آية (٤٨) سورة إبراهيم

(٢) (صحيح) إمامكم ٥٦٤ / ٤ ، والنسائي ١١٤ / ٤

(٣) آية (٣٧) سورة هود

(٤) (حسن) الترمذي (٣١٤٢) ، وأحمد ٣٥٤ / ٢

كتاب السابغ والثلاثون

في بيان القضاء بين الخلائق

قال أبو هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : « هل تدرون من المفلس قلنا المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل هذا وسفك دم هذا وضرب هذا - فيمطى هذا من حسنة وهذا من حسنة فإن قنيت حسنة قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح من النار » (١) ، فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من أهات الرياء ومكائد الشيطان فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدوها خصماؤك وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلت أنه لا يقضى عنك يوم إلا ويجرى على لسانك من فيضة للمسلمين ما يستوفى جميع حسناتك ، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات ، وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتصر فيه للجماة من القرناء .

فقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ رأى شاتين يتطحان فقال يا أبا ذر أنترى قيم يتطحان قلت لا قال ولكن الله يسدري وسيقضى بينهما يوم القيامة - وقال أبو هريرة في قوله عز وجل : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمنا لَكُمْ ﴾ (٢) أنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة ، إليهم الدواب والطيور وكل شيء يبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماة من القرناء ثم يقول كومي ترابا فذلك حين يقول الكافر ﴿ يا ليتني كنت قرابا ﴾ (٣) فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك ، فتقول أين حسناتي : فيقال نقلت إلى صحيفة خصماؤك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصيبك وأشد بسبب الكف عنها عاؤك ، فتقول يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط ، فيقال هذه سيئات القوم الذين عتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المديعة والمجاورة وللخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمفاصلة وسائل أصناف المعاملة .

قال ابن مسعود ، قال رسول الله ﷺ : إن الشيطان قد يش أن تعبد الأصنام بأرض العرب ونكر سبغى منكم بما هو دون ذلك بالحقرات ، وهي الموبقات ففتقوا الظلم ما استطعتم فإن عبيد يجيء يوم القيامة بأشال الجبال من الطاعات فيرى أنهم سيئتهم فما يزال عبيد يجرى فيقول رب فلان ظلمي بمظلمة فيقول أمع من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته

(٢) آية (٣٨) سورة الأنعام

حج ١٤٠٣

١٤٠٤ سورة البقرة

شيء ، وأن مثل ذلك مثل سمير بر لود ملاءة من الأرض ليس معهم حطاب فتعرق القوم فحطبوها فلم يلبثوا أن أعظموا ما بهم وصعوا ما أرادوا ، وكذلك الذنوب ويد نزل قوله تعالى ﴿ وإلهم يتوب ﴾ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تحصنون ﴿ ١٠ ﴾ ، قال الربير يا رسول الله أيكرو علي ما كان بيتا في الدنيا مع عواصم الذنوب ، قال نعم ليكررو عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه . قال الزبير والله إن الأمر لشديد وأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطرة ولا يتجاوز فيه من لظمة ولا من كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم .

قال أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الله العباد حرة فبرا يهما قال قلنا ما يهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا للملك الديان لا يبعي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أقتصه منه ، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصه منه . حتى النظمة قلنا وكيف يأتي الله عز وجل عراة غرا يهما ، فقال بالحسنات والسيئات فأتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في مباشرتها ، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالعبرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أبواب المظالم فليكثر من حسنات ليوم القصاص ، وليس ببعض الحسنات بينه وبين الله يكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذي لا يخفى لأحبابه المؤمنين من دفع مظالم العباد عنهم . كما روى عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال « فيما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيته يضحك حتى بدت ثيابه فقال عمر ما يضحك يا رسول الله يأتي أنت وأمي قال : رجلان من أمي جثيا بين يدي وب العزة فقال أحدهما يارب خط لي مظلمتي من أخى فقال الله تعالى اعط أحك مظلمته فقال يارب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى لطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء ، قال يارب وتحمل عني من أوزاري ، قال وقاضيت هيا رسول الله ﷺ باليكاه ، ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج لئس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم ، قال فقال الله لطالب أرفع رأسك وانظر في الحنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لا يبي هذا أو لأى صديق هذا أو لأى شهيد ، قال لئن أعطاني الثمن ، قال يا رب ومن يملك ثمنه قال أنت فملكه ، قال وما هو قال هموك عن أخيك قال يارب إني قد عفوت عنه ، قال الله تعالى خط بيد أخيك فأدخله الجنة » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « اتقوا الله وأصبحوا ذلت بيكم فإن لله يصحح بين المؤمنين » وهذا تيسره على أن ذلك لم يسأل بالحق بأحلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتفكر الآن في نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أو تظلف لك

(١) آية (٣٠ - ٣٩) سورة الزمر

حي عفا عنه وأبقت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في متصرفك من مفضل القضاة وقد عيبك خادمة الرضاء وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وينعيم لا ينور يحواشيه الفناء ، وعند حد قلبك سرورا وفرحا يبيض وجهك واستار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم حرك بين الخلائق ولقما رأسك خاليا من الأوزار ظهرك ونفخة نسيم التميم ويرد الرضاء يتلألأ من حيث وعلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويفيطونك في حسرتك وجمالك ، « سحابة يمشون بين يديك ومن خلفك ويتنادون على رؤوس الأشهاد هذا فلان ابن فلان - رضى الله عنه - وأرضاه وقد سعد مسعادة لا يشقى بعدها أبدا أفترى أن هذا للتصيب ليس بأعظم من الشدة التي تالها في قلوب الخلق في الدنيا برئائك ومذامك وتصيبك وتوبيخك . فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوصل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص للصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله ، فلي تدرك ذلك إلا به وإن تكن الأخرى والتميز بالله إن خرج من صميمك جريمة كنت تحسبها هبة وهي عند الله عظيمة ، فمقتك لأجلها فقال عليك لعنني يا همد السوء لا أقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم يغضب الملائكة للغضب الله تعالى ، فيقولون عليك لعنا ولعنة الخلائق أجمعين وعندك تشال إليك الزبانية وقد غضبت لغضب خلقها فأقدمت عليك بفتاظتها وزعزعتها وصورها النكرة . فأخذوا بتحصيتك بسحبوتك على وجهك على ملا من الخلائق ، وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خربك وأنت تنادي بالويل والنور وهم يقولون ها فلان ابن فلان كشف الله من فضلكة ومحزبه ولعنه بقبايح ماويه فشقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا ، وربما يكون ذلك بظن أذنبته خفية من عباد الله أو طلبا للمكانة في قلوبهم أو خوفا من الافتضاح عندهم ، مما أعظم جهلك لئلا تحترز عن الافتضاح عند طاعة مسيرة من عباد الله في الدنيا المخضرة ثم لا تحس من الافتضاح العظيم في ذلك الملا العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق بأيدي الرتبة إلى سواء الجحيم لهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر .

الباب الثامن والثلاثون

في بيان ذم المال

« يا أيها الذين آمنوا لا تنهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأعد الله له عذابي عظيم » (١) وقال تعالى : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم » (٢) من حذر ماله وولده على ما عند الله فقد حرس وحسن حسرانا عظيما وقال عز وجل : « من

(١) سورة البقرة ٢٠٠ ، (٢) سورة البقرة ١٠٤

كان يريه الجنة الدنيا ورببتها » (٣) الآية وقال : « كذا إن الإنسان ليطغى (٤) أن رآه استغنى » (٥) فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقال تعالى : « أياكم التكبر » (٦) .

وقال رسول الله ﷺ : « حب للمد والشرف ينبتان الضان في القلب كما ينبت الماء البقل » (٧) وقال ﷺ : « ما ذكبان ضاربان أرسلتا في زريبة غنم يأكلن إفسادا فيها من حب الشرف وأمال والجفاء في دين الرجل المسلم » . وقال ﷺ : « هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله حكما وحكدا وقيل ما هم » وقيل « يا رسول الله أي أمتك شر قال الأعياء » وقال ﷺ : « سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطيب الدنيا وألوانها ، ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا يملكون ويروحون إليها ، إتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم ، إلى أمرها يتبهون ولها وهم يتبعون فخرمة من محمد بن عبد الله لأن أدركه ذلك الزمان ، من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنازتهم ولا يوقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أصاب على هدم الإسلام » . وقال ﷺ : « دحرا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حنفة وهو لا يشعر » (٨) . وقال ﷺ : « يقول ابن آدم مالي ومالي من مالك إلا ما أكلت فأفقت أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأصدقت » . وقال رجل يا رسول الله « مالي لا أحب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله أن قدمه أحب أن يلدحه وأن خلفه أحب أن يتخلف معه » . وقال ﷺ : « أخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره فالذي يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله ، والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله ، والذي يتبعه إلى محشره فهو عمله » .

وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء - رضى الله عنهما - يا أخى ليك أن تجمع من الدنيا مالا تؤدى شكره ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكلم به الصراط قال له أمص فقد أدبت حق الله في ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين يديه كلما تكلم به الصراط قال له ماله وبلك إلا أدبت حق الله في فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور » وقال ﷺ : « اد مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف » وقال ﷺ : « لا تتخذوا الصبيحة فتحبوا الدنيا » (٩) .

وروى أن رجلا نال من أبي الدرداء ، وكراه سورا فقال اللهم من فعل بي سورا فأصح جسمه

(١) سورة هود (١٥) آية (٧-٦) سورة العنق (٤) التحف السادة ٤٩ / ٨ ، (٥) (٦) (٧) التحف السادة ١٤٩ / ٨ ، (٨) (٩) التحف السادة ٢٩٨٠ / ٨ ، (١٠) (١١) التحف السادة ٢٣٢٨ / ٨

(١) سورة هود (١٥) آية (٧-٦) سورة العنق (٤) التحف السادة ٤٩ / ٨ ، (٥) (٦) (٧) التحف السادة ١٤٩ / ٨ ، (٨) (٩) التحف السادة ٢٩٨٠ / ٨ ، (١٠) (١١) التحف السادة ٢٣٢٨ / ٨

عند أحد ، قال اعلماوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إن فيكم خلقين ما كانتا مع أحد قط إلا مع من علمك من بني آدم وبني نبيس ، قالوا وما هما يا رسول الله قال بالأجور وما أجور قال من عن القوم فقال اعلماوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشاة في جيب البعير أو كالزقمة في فراع الدابة . يأيها العاقل عن نفسه المبرور بما هو فيه من شدة هذه الدنيا المشرفة على الانتضاء والروال ، دع التعمق فيما أنت مرجل عنه وأصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لُاِ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضًى ﴾ (٧٢) ثُمَّ نَجِّنِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ فِيهَا جَنَّاتٌ (١) فأنتم من الورود على يقين ومن السجدة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فمساك تستعد للنجاة منه ، وتأمل في حال الخلاق وقد قصروا من دواهي القيامة ما قصو فبينما هم في كربها وأهوالها وقولها يتطرون حقيقة آياتها وتشفيع شفاعتها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نارات لهب وسمعوا لها رفيراً وجرجرة تصعق عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالمعطف وجئت الأم على الركب حتى أشفق البراء من سوء المقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلاً أهن فلان ابن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل فيادوله بمقامع من حديد ويستقبلونه بحظائم التهديد ويوقونه إلى العذاب الشديد ويتكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم ، فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك يعلد فيها الأسير ويوقد فيها السحير ، شرايهم فيها الجحيم ومسترهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تحممهم أمانيهم فيها الهلاك وما لهم فيها لكلك قد شلت أقداسهم إلى السواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعصية يتأدون من أكابها ويصيحون في نواحها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك قد أثقلنا الحديد يا مالك قد تضجعت منا الجلود يا مالك أخرجننا منها فإننا لا نعود فنقول الزبانية هيهات لات حين أمان ولا غروج لكم من دار الهوان فاحسأوا فيها ولا تكلموا ولا أخرجن منكم إليها لكتنم إلى ما نهيتهم عنه تعودون عند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا إلى جانب الله حاسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكون على وجوههم معلولين ، النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار من إيمانهم والنار عن شمائلهم فهم عرسي من النار ، طعامهم نار وشرايهم نار ولياسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران ومرايل الفطرون وصرب المقامع وثقل السلاسل ، هم يتجلبطون في مصابفها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين هوائسها تعلو بهم النار كعلو القفود ويهتدون بالنار والنار والنار دعوا بالثبوت صب من فوق رؤوسهم الجحيم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتقطع من المعطن أكبادهم وتسيل على

(١) آية (٧١-٧٢) سورة مريم

الجلود أحداقهم ويسقط من الوجنت غومها ، ويتناقص من الأطراف شعور ، أبل جلودها وكلت نفسها جلودهم بدلوا جلودها غيرها ، ولقد حوت من اللحم عظمهم فبقيت الأرواح موطاة بالمروق وحالاق المصيب وهي تنش في لبح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يمتنون فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سوادا من الحميم وأحسيت أصدارهم ، وأبكت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت أفانهم ومزقت جلودهم وعمت أهدبهم إلى أهانتهم ، وجمع بين نواصيهم وأقداسهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويعطاون حنك الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار في يواطن أحرارهم وحيات الهاوية وعفانها متشعبة بطوارع أعصابهم هذ بعض جملة أحوالهم وانظر الآن في توصيل أحوالهم وتعكر أوضاعها في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي ﷺ : إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب وفي كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا يتبى الكافر والمتناق حتى يوافع ذلك كله وقال - كرم الله وجهه - قال رسول الله ﷺ تعودوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي أو جب الحزن قال واد في جهنم تعود منه جهنم كل يوم سبعين مرة أهد الله تعالى للقرء المرأتين ، فهذه سعة جهنم وانشعب لوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشعاباتها وعند أبوابها يعلد الأضواء السبعة التي بها يمشى العبد ، بعضها فوق بعض ، الأعلى جهنم ثم سقر ثم نظى الخطئة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهورات الدنيا فكما لا يتبى أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنهى هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها . قال أبو هريرة : كنا مع رسول الله ﷺ فسمعا رجلا يقول رسول الله ﷺ أنرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها ثم انظر إلى تفاوت الدرجات فإن الأخيرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، فكما أن انكباب الناس على الدنيا يضارون فمن مهلك مستكثر كالعروق فيها ومن خائض فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت . فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيما كان به لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وقته ، ألا إن أقلهم عذاب لو عرقت فيه الدنيا بحدابها لا تقدي بها من شدة ما هو فيه . قال رسول الله ﷺ : أن أدنى أهل النار علانا يوم القيامة يتلعل ملعين من نار يعنى دماغه من حرارة عليه . فانظر الآن إلى من عصف عليه ، وأعير من شدد فيه ، ومهما تشككت في شدة عذاب النار فاقرب أصبعك من النار ونس ذلك به ثم اعلم أنك أحطت في القيس فإن نار الدنيا لا تسب نار جهنم ، ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها ، وهيهات لو وحد أهل الجحيم مثل هذه النار لحاصوها طائفتين هربا عما هم فيه ومن هذا ورد في بعض الأخبار حيث قيل إن نار الدنيا غسلت

يسمى ماء من مياه الرحمة حتى أطافها أهل الدنيا . بل صرح رسول الله ﷺ بصفة نار جهنم ، فقال : « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى أبيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت ، فهي سوادها مظلمة » . وقال ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسه في الشقاء وتبين في الصقيع فأشد ما تجذبه في الصقيع من حرها ، وأشد ما تجذبه في الشقاء من زمهريرها » .

وقال أنس بن مالك يؤتى بأثم الناس في الدنيا من الكفار ، فيقال لهم في النار خمسة ، ثم يقال له هل رأيت نعيماً قط فيقول لا ، ويؤتى بأشد الناس حرّاً في الدنيا فيقال لهم خمسة في الجنة خمسة ، ثم يقال له هل رأيت حرّاً قط فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار سائوا ، وقد قال بعض العلماء في قوله : « تلغح وجوههم النار » أنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ، ثم نظر بعد هذا في متن الصلوة الذي يسيل من أبدانهم حتى يفرقون فيه وهو القساق . قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : « لو أن دلوا من خفاق جهنم لقي في الدنيا لأتى أهل الأرض » فهذا شرابهم إن استغاثوا من العطش فسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيل ويأتي الموت من كل مكان وما هو بيت « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يخرى الوجوه ينس القرب وسامت مرتفعاً » (١) ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى : « ثم إنكم أنها السائلون المكذبون » (٢) لا يكون من شجر من زقوم (٣) فما يكون منها الطون (٤) فليس يكون عليه من الحميم (٥) فليس يكون ضرب الحميم (٦) . وقال تعالى : « فيها فجرة تخرج في أصل الجحيم » (٧) طعمها كأنه رؤس الشياطين (٨) فإنهم لا يكون منها فما يكون منها الطون (٩) ثم إن لهم عليها ثوباً من حميم (١٠) ثم إن مرجعهم إلى الجحيم (١١) . وقال تعالى : « فصلن ناراً حمية » (١٢) تسقى من حميم (١٣) وقال تعالى : « إن لدينا أنكلاً وجحيماً » (١٤) وطعاماً ذا غصة وعدناً ألماً » (١٥) وقال ابن عباس ، قال رسول الله ﷺ : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحر الدنيا أفسدت على أهل الدنيا مصابهم فكيف من يكون طعامه ذلك » (١٦) وقال أنس : قال رسول الله ﷺ : « ارجعوا فيما رغبكم الله واحذروا أو حافوا ما غوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم » فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبتها لكم ، ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها عتيتها عليكم . وقال أبو السدراء ، قال رسول الله ﷺ : « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب ، فيستغيثون بالطعام من شريع لا

(١) آية (٢٩) سورة نكهف
(٢) آية (٦٤-٦٨) سورة الصافات
(٣) آية (١٢-١٣) سورة الزمل

(٤) آية (٥١-٥٢) سورة الواقعة
(٥) آية (٤-٥) سورة العاشية
(٦) (صحيح) الترمذي (٢٥٨٥)

يسمن ولا يفتى من جوع ، ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة ، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون النخس في الدنيا يشرب فيستغيثون بشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد ، وهذا دقت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم ، فيقولون ادعوا حرّة جهنم ، قال فيدعون حرّة جهنم أن ادعوا ريكهم بعصف هنا يوماً من المحتاب ، فيقولون أو لم نك تأتكم رسلكم بالنبات ؟ قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعوا الكافرين ولا لي أنكم ماكثون . قال الأعمش أنبئت أن بين دعايتهم وبين إجابة مالك إليهم ألف عام ، قال فيقولون ادعوا ريكهم فلا أحد خير من ريكهم فيقولون ربنا غيب علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرج منها ملائكة حسنة فلما ظالمون . قال فيجيبهم « افسحوا فيها ولا تكلمون » قال بعد ذلك يسوع من كل خير وعند ذلك أدخلوا في الزلزال والحسرة والويل .

وقال أبو أمامة : قال رسول الله ﷺ في قولة تعالى : « ويسقى من ماء حديد » (١) يتجرعه ولا يكلاً يسفه . قال بقرب إليه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاء حتى يخرج من دبره . يقول الله تعالى : « وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم » وقال تعالى : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يخرى الوجوه » فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم فانتظر الآن إلى حيات جهنم وعقابها وعقاربها وإلى شدة سؤمها وعظم أشخاصها وعظامة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفر عن النهش واللذغ ساعة واحدة . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « من أتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له ربيبتان يطرقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بهما ربه يمس أشداقهما يقول أنا مالك أنا كركك ، ثم تلا قوله تعالى . « ولا يحسن الذين يخفون بما آتاهم الله من فضله » الآية . . وقال رسول الله ﷺ إن في ادس الحيات مثل أعناق البعث يلسس اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً وإن فيها العقارب كاليفال الموكفة يلسس اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وفى ذلك وفى هذه الحيات فلم تحتل له .

ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار ، فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولاً وحرماً حتى يتزايد عناهم بسببه فيحسبون بلقيع النار ولذخ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة وحده على السوا . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « ضرس لكافر في النار مثل أحد وغلط جلده مسيرة ثلاث » . وقال رسول الله ﷺ : شقته السفلى ساقة على صدره والعلوية قالصة قد عطب رجعه ، وقال - عنه - إن الكافر ليجر لسانه في سبعين يوم القيامة يتراطأه الناس ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فحجدهم وجلودهم وحوهم . قال الحسن في

قوله تعالى ﴿كُلَّمَا نَضَجَتْ جَلُودُهُمْ فِي لِقَائِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ قال تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكتنهم قيل لهم عودوا كما كنتم ، ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور ، فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقاءهم في النار . قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بهم يومئذ لم يسعون ألف رماح مع كل رماح سبعون ألف ملك » وقال أنس قال رسول الله ﷺ « يرسل عبي أهل النار الكاه فيكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يكون الدم حتى يرى في وجوههم كهية الأعدود أو أرسلت فيها السفس لحوت » (١) وما دام يؤذد لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة والويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيها من ذلك .

قال محمد بن كعب لأهل النار خمس دهرات يجيبهم الله هر وجل في أربعة فإذا كانت الحامسة لم يتكلموا بعدها أبدا فيقولون . ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَحْبَبْنَا النَّبِيَّ فَأَعْرَضْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ لَنَا مِنْ مَخْرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ . فيقول الله تعالى مجيبا لهم : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَلَنْ يَمُنَّ بِهِ أَتُونَا فَاتَّخِذْكُمْ اللَّهُ إِلَهًا كَبِيرًا ﴾ ثم يقولون ربنا أهبنا وسعدنا فارجمنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نَكُونُوا أَنفُسِكُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل . فيجيبهم الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُدْرِكُ بِهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ الْتَذَكُّرُ فَذُوقُوا الْعَذَابَ لِمَنْ يُنصَر ﴾ ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما غاليين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . فيجيبهم الله تعالى ﴿ اخشعوا فيها وَلَا تَكْلُمُوهَا ﴾ فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس - رحمه الله عنه - قال زيد بن أسلم في قوله تعالى ﴿ سِرَّةٌ عَلَيْهَا أَجْرُهُمَا أَمْ سِرَّةٌ مَا لَنَا مِنْ مَحْجُصٍ ﴾ قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا . وقال ﷺ : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كش أملح يذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » (٢) وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتي كنت ذلك الرجل وروى الحسن - رحمه الله عنه - جالسا في روية وهو يكي فقبل له لم يكي فقال أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي بهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل فهو مأجور أحزانها وعصها وحسراتها لا نهاية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة قوت نعيم الحنة وقوت لقاء الله تعالى وقوت رضاه مع علمهم بأنهم بأعوار كل ذلك بشمن بخس دواهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكذبة منقصة ، فيقولون في أنفسهم وأحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف أنفسنا العسر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انتقضت عنا أيامه وبقيت الآن في جوار رب العالمين متعصمين بالرضا والرضاوان ، فبالحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم ويلواي بلوايه ولم يبق معهم

(١) (ضعيف) ابن ماجه (٤٣٦٤) .

(٢) (صحيح) البخاري (٤٧٣٠) .

شيء من نعيم الدنيا ولداتها ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم . فقد قال رسول الله ﷺ : يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشقوا رائحتها ويطروا إلى فصوصها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها تودوا أن يصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها . فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تربنا ما أربتنا من ثوابك وما أهددت فيها لأوليائك كان أهون علينا . فيقول الله تعالى ذلك أردت بكم كنتم إذا خوم بارتوني بالعظام وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبئين تراود الناس بحلال ما تعطون من قلوبكم هبتم الناس ولم تهلبوني وأجلتكم الناس ولم تهلبوني وتركتم الناس ولم تزكوا لي فاليرم أذيتكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب العظيم . قال أحمد بن حنبل إن أهدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار ، وقال عيسى - عليه السلام - كم من جسد صحيح ووجه صحيح ولسان فصيح فذا بين أطباق النار يصيح . وقال داود إلهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك ، فانظر يا مسكين في هذه الأحوال واعلم أن الله تعالى خلق النار وأهلها وخلق لها أهلا لا يذبلون ولا يفتنون وأن ملا أمر قد قضى وفرغ منه . قال الله تعالى ﴿ وَأَنذَرْتُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ يَنْسِفُ الْأَمْرَ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ولعمرى إلاشارة به إلى يوم القيامة بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء فاعلم أنك حيث تصحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بما سبق في حرك فإن قلت فليت شعري ماذا موردي وإلى ماذا مالي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء لي حتى فلك علامة تستأنس بها وتصديق رجائك يسيبها وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا ميسر لا خلق له فإن كان قد يسر لك الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار وإن كنت لا تقصد خيرا إلا ومحيط بك المواق فتدفعه ولا تقصد شرا ولا ويتيسر لك أسبابه فأعلم أنك مقضى عليك فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على السبات ودلالة الدخان على النار . فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ وإن الفجار لفي جحيم ﴿ فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مشترك من الدارين والله أعلم .

الباب الأربعون

في فضل الطاعة

أعلم أن طاعة الله سبحانه وتعالى جماع الخير كله وقد حث الله تعالى عليها في كتابه في آيات متعددة وبها أرسل الرسل ليخرج الناس من ظلمات الضلوم إلى أنوار معرفة القدوس ، ويتمتعون في دار التعميم التي أعدت للمتقين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر ، فإنهم لم يخلقوا ، حيث لا يجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحق وهو العنى عن طاعتهم ولا تقصير معصيتهم ولا تقصير من كماله شيئا ، فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ، من جعل صالحا لنفسه ومن أساء لعليها والله العلى وأنتم الفقراء ، يا عبادي أحسنوا بشرى الرقيق ويجب أن يكون قائما بما يلزم من الخدمة فاصحبا فيها متقادا لولاء الله الذى استولى عليه بالمركن المسمى الفانى ويمتته بركة واحدة وبغضب عليه وربما منه مرتبه أو طرده أو باعه ، فما لنا لا نطيع مولانا الحقيقى الذى خلقنا وسوانا ونقع فى رلات عدد المطر ومع ذلك لم يمنع نعمه عن إمداداته التى أولاه لهلكا وهو قادر على البطش بما يجرد ، ونكاث رلة واحدة لكنه يمهلكنا لعنة نتوب فيقبلنا ويمرر زلتنا ويستر هورتنا ، فالعاقب يعرف من هو الحق بالطاعة فيقبل عليه ويوجهه بكلية إليه ، وكلما أذنب تاب وإلى خلقه أناب ولا يياس من رحمته ويتعجب اليه بشكر نعمه ويواظب على ذلك حتى أن يكتب من المحبين لياتيه الموت وهو مشتاق إلى مولاه ومولاه أشد شوقا إلى لقاءه .

قال أبو الدرداء لكعب - رضى الله عنهما - أخبرنا عن شخص آية معنى فى التوراة فقال يقول الله تعالى طال شوق الأبرار إلى تعالى واتى إلى لقاءهم لأشد شوقا ، قال ومكتوب الى جانبها من طلبى وجلى ومن طلب غيرى لم يجدنى ، فقال أبو الدرداء أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا ، وفى أخبار داود - عليه السلام - أن الله تعالى قال يا داود ألمع أهل أرضى أنى حبيب لمن أحببى وجلس لمن جالسى ومؤنس لمن أنس بكبرى وصاحب لمن صاحبتى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن أطاعنى ما أحببى عهد أعلم ذلك بقينا من قلبه إلا قلبه لنفسى وأحببه حبا لا يتقدمه أحد من خلقى ، من طلبى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارتضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من عروضا وهدموا إلى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى وأنسوا بى أو أنسكم وأنسوا إلى محبتكم فإنى خلقت طينة أحسابى من طينة إبراهيم خليلى وموسى نبيى ومحمد صفيى وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالى .

وروى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين أن لى عبادا من عبادى يحموس وأحبهم ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم ويدكروننى وأذكروهم ، ويتظرون إلى وأنظر إليهم ، فإن حدثت طريقهم أحسنت وإن عملت عنهم مقتت - قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالتهار كما يراعى الراعى النقيق غنمه ، ويمتنون إلى غروب الشمس كما يمن الطائر إلى وكرة عند الغروب فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفراش ونصبت الأسرة وغلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم والفتشوا إلى وجوههم ونجسوا بكلامى وتعلقوا إلى بأنعامى ، فبين صاوخ وبك وبين متأوه شاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد يعنى ما يتحملون من أجلى ويسمى ما يشكون من حبي ، أول ما أعطيتهم ثلاثا ، أقلب من نورى لى

قلوبهم فبحرور عنى كما أحمر عصبه وانشبه بوكات السموات والأرض وما فيها لى مواريتهم لا تستلها بهم وانديه قبل بوجهى فتري من أقلت بوجهى حبيبه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه .

وفى أخبار داود - عليه السلام - قل لعبادى لثوجهين إلى محبى ما غيركم إذا احتجبت عن خلقى وروعت الحجاب فيها بينى وبينكم حتى تنظروا إلى يمينون فويكم وما خسركم ما رويت حكم من الدنيا إذا بسطت يدي لکم وما خسرکم مسخطة الخلق إذا انقسمت وهالى .

الباب الحادى والأربعون

فى الشكر

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر فى كتابه مع أنه قال : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ وقال تعالى ﴿ هَذَا كَرُمٌ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لى وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ مَا يَعْصِ اللَّهُ يَعْصِيكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَرَ ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ وَسَجِّدُوا لِلشَّاكِرِينَ ﴾ وقال عز وجل اختيارا عن إبليس اللعين لأفعدن بهم حسراتك المستقيم ، قبل هو طريق الشكر طعن اللعين لى الخلق ، قال : ﴿ وَلَا تَعِدْ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَقِيلَ مِنْ عِبَادِ الشَّاكِرِينَ ﴾ وقد قطع الله تعالى بالبرية مع الشكر ولم يستثن لقال تعالى : ﴿ فَمَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فقال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ لَأُضَاعِفَنَّ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ لَشَدِيدٌ ﴾ وقال : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وقال : ﴿ وَيُفَرِّقُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ وقال : ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴾ وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ عَلِيمٌ ﴾ وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَ وَعْدَهُ ﴾ وقال : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وأما الأخبار فقد قال رسول الله ﷺ : « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر » (١) ، وروى عن عطاء أنه قال دخلت على عائشة - رضى الله عنها - فقلت أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فحكيت وأبلى رأيت شانه لم يكن عجباً أنأتى ليلة فدخل معى لى فراشى أو قالت لى لحافى حتى مس جندى جلده ثم قال ياليتنى أبى بكر فوعنى أتعيد لربى ، قالت قلت لى أحب قريبك لكنى أؤثر هوانك فأنصت له فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام بصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركب فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك فبكى حتى جاءه ثلاث مائة ماصلاه . فقلت يا رسول الله ما يبكىك وقد عمر الله ما تقدم من ديك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على : ﴿ إِنْ لى خلق السجود

(١) (حسن) الترمذى (٢٤٨٦) ، وأحمد ٤ / ٣٤٣

والأرض» (١) الآية . . وهذا يدل على أن اليكاه ينبغي أن لا يتقطع أبداً ، وإلى هذا السر يشير ما روى أنه من بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال مد سمعت قوله تعالى : ﴿ وَفَوْقَهَا النُّفُوسُ وَالْحِمَارُ ﴾ (٢) فأنابني من حوجه فسال الله به أن يجيره من النار فأجابه : ثم أراه بعد مئة على مثل ذلك فقال لم تكن الآن فقال ذلك يكاه الخوف وهذا يكاه الشكر والسرور وقلب العبد كالجمارة أو أشد قسواً ولا تزول قسوته إلا باليكاه في حال الخوف والشكر جميعاً . وروى عنه ﷺ أنه قال : « ينادي يوم القيامة ليقيم الحمدادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » وفي لفظ آخر : « الذين يشكرون الله على الرزق والضراء » وقال ﷺ : « الحمد رداء الرحمن » (٣) . وأوحى الله تعالى إلى أيوب - عليه السلام - إنى رغبته بالشكر مكافأة من أوليائي . . في كلام طويل . . وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها أنهم هم الشكر وهو غير الكلام وعند الشكر أمستهم وبالنظر إلى أربهم . ولما نزل في الكور ما نزل قال عمر - رضي الله عنه - أي المال تتخذ ، فقال - عليه السلام - « ليخذ أحدكم لساناً فأكرا وقلبا شاكرا » (٤) فأمر ، باقتناء للقلب الشاكر بدلا عن اللسان . وقال ابن مسعود الشكر نصف الإيمان .

واعلم أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصده الخير وإخماده لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى وبالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى أن شكر العنين أن تستر بكل عيب تراه لمسلم وشكر الأختين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به . فقد قال ﷺ لرجل : « كيف أصبحت قال بحير فأعاد ﷺ السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال ﷺ هذا الذي أردت منك » .

واعلم أن الشكر يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصده الخير وإخماده لكافة الخلق ، وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى وبالتحميدات الدالة عليه ، وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقى من الاستعانة بها على معصيته ، حتى أن شكر العنين أن تستر بكل عيب تراه لمسلم وشكر الأختين أن تستر كل عيب تسمعه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء ، والشكر باللسان لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به

(١) آية (١٦٤) سورة البقرة .

(٢) آية (٢٤) سورة البقرة .

(٣) تحف السادة ٤٨ / ٩

(٤) صحيح (ابن ماجه) ١٨٥٦ ، وصحيح الجامع (٥٣٥٥)

فقد قال ﷺ لرجل : « كيف أصبحت قال بحير فأعاد ﷺ السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال ﷺ هذا الذي أردت منك » .

وكان السلف يستاءلون ويتبعهم استعراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيع والمستطيق له به مطيع وما كان قصدهم الرياء بإظهار التسوق وكل عبد مثل من حال فهو بين أن يشكر أو يسكت ، فالشكر طاعة والشكرى معصية فيبحة من أهل الدين وكيف لا تفتح الشكرى من ملك الملوك ويبدى كل شيء إلى عبد بمذوك لا يقدر على شيء بالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به والضعف إلى الشكر أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلى والقادر على إزالة البلاء ودل العبد لولاه عز والشكرى إلى غيره ذل وإظهار اللذل للهيبة مع كونه عبد مثله من قبيح . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَصْطَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَنْفَعُونَكُمْ بِشَيْءٍ قَلِيلًا فَاعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَصْطَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هُمْ عَنْكُمْ ﴾ (٢) فالشكر باللسان من جملة الشكر .

وقد روى أن وقدما قدموا على عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبير الكبير ، فقال يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسب لكان في المسلمين من أسمن منك فقال تكلم فقال لنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة فقد أوصلنا إلينا فأسلك وأما الرهبة فقد أمتنا منها بذلك وإنما نحن وفد الشكر جئناك تشكرك باللسان ونصرف .

باب الثاني والأربعون

في بيان ظهر الكبر

قد قدم الله الكبير في مواضع من كتابه ودم كل جبار متكبر فقال تعالى : ﴿ مَا صَرَفَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَبْدَهُ بِشَرِّ النَّفْلِ ﴾ وقال عمر - رضي الله عنه - « كَذَلِكَ يَقَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ » وقال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُواْ ذُنُوبَكُمْ كُلَّ جَبَّارٍ عَظِيمٍ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ وروى تعالى : ﴿ لَقَدْ اسْتَكْبَرُواْ فِيْ أَفْئُسِهِمْ وَعَتَوْاْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِيْ سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ ودم الكبير في القرآن كثير . وقد قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : « الكبيراء رذائي والعظمة إرذلي فمن رضى واحد منهم ألقيته في جهنم ولا أبالي » وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على العضا فترافقا

(١) سورة البقرة ١٩١

لمعنى ابن عمرو وأقام ابن عمر يركب فقالوا ما يركب يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعنى عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول من كان فى قلبه مثقال حبة من غرود من كبر أكرهه الله فى النار على وجهه . وقال رسول الله ﷺ : لا يزال الرجل يلعب بنفسه حتى يكتب فى كتابه أربعين قصبة من أصحابهم من المذاب . وقال سليمان بن دلود . عليهما السلام . يوما للطير والانس والجن واليهائم اخرجوا فى مائتى ألف من الانس ومائتى ألف من الجن فرفع حتى سمع رجل الملائكة بالتسبيح فى السموات ثم غمض حتى مست أفنائه البحر فسمع صوتا لو كان فى قلب صاحبكم مثقال مرة من كبر لحسفت به أبعد مما رفعت . وقال ﷺ يخرج من النار عتق له أذانان تسمعان وهذان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة بكل جبار هند ، ويكل من دها مع الله الها آخر ، وبالمصورين . وقال ﷺ لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سىء الملكة . وقال ﷺ تحاجت الجنة والنار ، فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة ملى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقاطهم وهجزهم ، فقال الله للجنة إنما أنت رحمتى لأرحم بك من أنشاء من عبادى ، وقال للنار إنما أنت عذابى أعتذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما مئوها . وقال ﷺ : «بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأهل» ، بئس العبد عبد تجبر واختل ونسى الكبير المتعالي ، بئس العبد عبد عنى ونسى المبدأ والمتهى ، ومن ثبت أنه قال بلغنا أنه قيل يا رسول الله ما أعظم كبر فلان فقال : أليس بعدة موت .

وقال عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : «إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا إليه بنوه ، وقال لى أمركما بالثنتين وأنهكما عن اثنتين أنهكما عن الشرك والكبر ، وأمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت فى كفة الميزان وضعت لا إله إلا الله فى الكفة الأخرى كانت أرجع منها ، ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانت حلقة فوضعت لا إله الله عليها لفصمتها وأمركما بسبحان الله ويحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء» . وقال المسيح عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا .

وقال ﷺ : «أهل النار كل جعفرى جواز متكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المقنن» . وقال ﷺ : «إن أحبكم إلينا وأقربكم منا فى الآخرة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتصهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فهم المتصهقون قال المتكبرون» . وقال ﷺ : «يحشر المتكبرون يوم القيامة فى مثل صور اللور يطأهم الناس فى مثل صور الرجال يملوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس يملوهم ناز الأنبار يسقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس يملوهم ناز الأنبار يسقون من طين الخيال عصارة أهل النار» . وقال أبو هريرة قال النبى ﷺ : «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صور نظرم الناس لهنهم على الله تعالى» . وعن محمد بن واسع

قال دخلت على بلال بن أبى بردة فقلت له يا بلال إن أباك حدثنى عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قد إن فى جهنم وادى يقال له عيب حتى على الله أن يسكنه كل جبار فليكن يا بلال أن تكون عمر يسكنه . وقال ﷺ : «إن فى النار قصورا يجعل فيه المتكبرون ويطلق عليهم» . وقال ﷺ : «بئس أعود بك من نقعة الكبر» . وقال «من فارق روحه جسده وهو يرى من ثلاث دخل الجنة الكبير والدين والفلول» . وقال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - لا يحفرن أحد أحدنا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبيرا . وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال أنت حرام على كل متكبر . وقال محمد بن الحسين بن على ما دخل قلب أمرىء شىء من الكبر فط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر ، وسئل سليمان بن السيرة لا تنفع معها حسنة فقال الكبر .

وقال النعمان بن بشير على المنبر إن للشيطان مصائد وفخوخا وإن من مصائد الشيطان وفخوخه الطر بأنعم الله والمعز بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى فى غير ذات الله نسأل الله تعالى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة منه وكرمه . وقال رسول الله ﷺ : «لا ينظر الله إلى رجل يهر إزاره بطرا» . وقال ﷺ : «بينما رجل يتبختر فى برديه إذ أصعبته نفسه فحسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» (١) . وقال ﷺ : «من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله اليه يوم القيامة» . وقال زيد بن أسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعت يقول أى بس «رفع أزارك فىنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء» (٢) .

وقال ﷺ : «إذا مشى أمتى المظيئة وعلمتهم فلرسى والرسوم سلط الله بعضهم على بعض» (٣) . وقال ابن الأعرابي هو مشية فيها اختيال ، وقال ﷺ : «من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان» . وعن أبى بكر الهذلى قال بينما نحن مع الحسن إدمر علينا ابن الأهم يريد المقصورة وعليه جباب خر قد ضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قبالة وهو يمشى يتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة ، فقال ألف ألف شامخ بأنه ثانى عطفه مصرعه خده ينظر فى عطفيه أى حقيق ، أنت تنظر فى عطفيك فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير مأجود بأمر الله فيها ولا مؤدى حق الله بها فى كل عضو من أعضائه لله نعمة وللشيطان به نعمة والله لأن يمشى أحد طبيعته أو يتحلج تخنج للمجنون خير له من هذا . فسمع ابن الأهم مرجع يعتذر

(١) (صحيح) البخاري (٥٧٨٩)

(٢) (صحيح) البخاري (٥٧٨٣) ، ومسلم (٢٠٨٥)

(٣) (صحيح) البخاري (٥٧٨٣) ، ومسلم (٢٠٨٥) ، وصحيح الجامع (٨٠١)

ربه ، فقد لا تعتمد إلى وتدني رتبك ، أما سمعت قول الله تعالى ﴿ ولا تمس في الأرض مرجاً منكم لا تسرق الأرض وتلغ الأباله طولاً ﴾ (١) من يا حسن شاب عليه بزة له حنة فدعاه ، فقال له ابن آدم معجب بشيئيك معجب لشمالك كأن القبر قد وارى بدتك وكأنك قد لاقيت حملك ، ويحدث داوود فكأن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم ورأى محمد بن واسع وبه يحتال فدعاه ، وقال أتدري من أنت أما أمك فاشتريتها بمائة درهم وأما أبوك فلا أكثر في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلاً يهرج إزاره فقال إن للشيطان إخواناً ، يكررها مرتين أو ثلاثاً .

ويروى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة عزم فقال يا عبد الله هذه مشية يخفها الله ورسوله ، فقال له المهلب أما تعرفني فقال بلى أفرقت أولك نقطة مطرة وأخرك جيفة قنبرة وأنت بين ذلك تحمل المطرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك وأنشدوا في هذا المعنى .

عجبت من معجب بصورته ••• وكان بالأمس نقطة مطره
وفي غد بعد حسن هيئته ••• يصير في القبر جيفة قنبره
وأشد خطف الأحمر :

لنا صاحب مولع بالخلاف ••• كثير الخطأ قليل الصواب
أشد لجاجاً من الخنفاء ••• وأزهى إذا ما شئ من خراب
وقال آخر :

قلت للمعجب ما ••• قال مثلي لا يراجع
يا قريب المهد بالمر ••• ج لم لا تتواضع
ومثله لذا اللون المصري :

أبها الشافع الذي لا يرام ••• نحن من طينة عليك السلام
إنما هذه الحيلة مناع ••• ومع الموت تستمرى الأقدام
وقال مجاهد في قولي ﴿ ثم ذهب إلى أهله فمطى ﴾ أي يتبختر والله تعالى أعلم

الباب الثالث والأربعون

في التعكر في الإيمان ونورها

قد أمر الله تعالى بالتعكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى فقال تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار في الآية أي تعاقبهما في المجرى والذهاب يحل محل أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده . قال تعالى ﴿ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة ﴾ قال بعده أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان وما أحسن قول القائل :

يا رائد الليل مسروراً بأوله ••• إن الحوادث قد تطرفن أسحاراً
لا تفسرحن بليل طلب أوله ••• لسرب قصير ليل أجمع النارا
وقول آخر :

إن الليالي للإتام مناعل ••• تطوى وتنتشر انتهال الأهمال
فقصار من المهموم طويلا ••• وطوالهن مع السرور قصار

وأثنى الله على المتفكرين فقال تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً ﴾ وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - إن قوماً تفكروا في الله عز وجل ، وقال النبي ﷺ : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره (١) وعن النبي ﷺ أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال : ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتعكر في خلق الله عز وجل ، قال فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضاً يضاء نورها يبايضها ويأفها نورها مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل لم يصبوا الله طرفه حين قالوا يا رسول الله فآين الشيطان منهم ، قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم أم لا (٢) وعن عطاء بن أنطقت يوم أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة - رضي الله عنها - فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقلت يا عبيد : ما يمنعك من ريارتنا ، قال قول رسول الله ﷺ ﴿ زوروا تزددوها ﴾ (٣) ، قال ابن عمير فأحبرتنا بأعجب شيء رأيناه من رسول الله ﷺ قال : فيكيت وقالت كل من أمره كن عجباً أتاني مرة في بيلتي حتى من جلده جلدني ثم قال درسي أتعبد لربي عز وجل فسام إلى القرية فتوضأ بها ثم نام يصلي فيكيت حتى من لحيتي ثم سجد حتى بل الأرض ثم

(١) صحيح (إتحاف السادة ١ / ١٨٠ ، وصحيح الجامع (٢٤٧٠)

(٢) صحيح (الطبراني ٤ / ٦٠ ، وصحيح الجامع (٣٥٦٨)

(٣) به (٣٧) سورة الإسراء .

اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح ، فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر
 لك ربك من ذنبك وما تأخر ، فقال ويحك يا بلال وما يبكيك أن أبكي وقد أنزل الله
 بحبي هذه الآية ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاختلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(١)
 ثم دل ريل لمن قرأه ولم يتفكر فيها ، فقبل بالأوراع من عتبة التفكير فيهن ، قال ' يقرؤهن
 ويعقلهن . وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم در بعد موت أبي در
 فسألها عن عبادة أبي در ، فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال تفكر
 ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال العكر مرأة تريك حسنتك وميثاكتك ، وقبل لإبراهيم
 أنك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يمشي يقول القائل :

إذا المرء كانت له فكرة ••• فنفى كل شيء له هـيرة

وعن طاووس قال : قال الخواريزمي لعيسى ابن مريم يا ورح الله هل عني إلا من سيوم متذك
 فقال : نعم من كان منطقته ذكرا وحسنته ذكرا ونظرة عبدة فإنه مثلي وقال الحسن من لم يكن كلامه
 حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ، ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لغو ، وفي
 قوله تعالى ﴿ سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(٢) قال أمتع قلوبهم التفكير
 في أمري . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : أعطوا أعيانكم حظها من العبادة ،
 فقالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصعب والتفكير فيه ، والاعتبار عند
 عجائبه . وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت لو تطالعت قلوب المتفكرين بعكها
 إلى ما قد ادخر لها في حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقرر لهم في
 الدنيا عيش . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاة فيقول يا لقمان أنك تديم
 الجلوس وحده فلو جلست مع الناس كان أس لك فيقول لقمان أن طول الوحدة أدوم للتفكير
 وطول الفكر دليل على طريق الجنة . وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم
 امرئ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة .
 وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن علي ورأه ساكنها متفكرا أين أنت قال الصراط . وقال بشر
 لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس وكنتان مقتصدتان في تفكر
 خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينما أبو شريح يشي إذا جلس فتفتح بكسائه فجعل يبكي فقبل له ما
 يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وعلة عملي واقترب أجلي وقال أبو سليمان هودوا أعيانكم
 بالبكاء وقلوبكم بالتفكر ، وقال أبو سليمان أيضا العكر في الدنيا حجاب عن الآخرة يورث الحكمة
 ويحيي القلوب وقال حاتم من العبدة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف ،

وقال ابن عباس التفكير من حبه يدعو به فاحذ به . وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما
 الحسن أن أهل العقل لم يروا به . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : من
 قلبهم ففطنت بالحكمة . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ : من
 في ليلة قمران فتفكر في مكنوت سموت وأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في
 دار جاره ، قال موثب صاحب أئدار من مراثيه عريانا ويده سيف وظن أنه لص فلما نظر إلى
 داود رجع ووضع السيف ، وقال من ذا الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك . وقال
 الجعيد أشرف المجالس وأهلها اجلس مع الفكرة في مهلك التوحيد والتسم بتسم للمعرفة
 والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ، ثم قال يا لها من
 مجالس ما أجملها ومن شراب ما الله طوبى لمن رزقه . وقال الشافعي رحمه الله تعالى استعينوا
 على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالعكر ، وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجاة من
 الغرور ، والمستم في الرأي سلامة من التفريط والندم ، والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم
 والعطية ، ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ، ففكر قبل أن تعزم وتدير قبل أن
 تهجم وشاور قبل أن تقدم . وقال أيب الفضائل أربع أحداها الحكمة ، وقوامها العكرة والثانية
 العفة وقوامها في الشهوة ، والثالثة القوة وقوامها في الغضب ، والرابعة العدل وقوامها في اعتدال
 النفس .

الباب الرابع والأربعون

في بيان شدة الموت

عن الحسن أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وأنه قال : هو فئس ثلثمائة خربة بالسيف
 وسئل عن الموت وشدة فقال أن أهون الموت بمنزلة حكة في صوف فهل تخرج الحكة من
 الصوف إلا ومعها صوف . ودخل علي مريض ثم قال : أتى أعلم ما يلقي ما ته عرق إلا
 وبالم للموت على حدته . وكان علي كرم الله وجهه يحض على القتال ويقول أن لم تقتلوا تموتوا
 والذي نفسي بيده لألف خربة بالسيف أهون على من مولى على فراش . وقال الأوزاعي بلغنا أن
 الميت يجد ألم الموت ما لم يسم من قبره . وقال شبلد بن أوس الموت أفزع هول في الدنيا
 ولاخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمنشير وقرض بالمقارضي وعلى في القلود ولو أن الميت
 نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما اتضعوا بعيش ولا نلوا بنوم . وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا
 بقى على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها يعلمه شدة هيب الموت ليبلغ يسكرات الموت وكربه
 حرجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثوابه .

فيسبر إلى النار . ومن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف يجهلون الموت فلما مرض قيل له فأنث كيف تجهده فقال كأل السماوات مطبقة على الأرض وكان نفسى يمحرج من ثقابة . وقال ﷺ : « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر » (١) .

وروى عن مكحول عن النبي ﷺ أنه قال : لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لما تروا بإذن الله تعالى لأن من كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات .

وروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها للهابت .

وروى أن إبراهيم - عليه السلام - لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي ؟ قال كسقوط جبل في صوف وطيب ثم جلب فقال أما أنا قد هونا عليك .

وروى عن موسى - عليه السلام - أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له وبه يا موسى كيف وجدت الموت ، قال وجدت نفسى كالصفور حين يقلى على القلى لا يموت فيستريح ولا ينجو منطير .

وروى عنه أنه قال وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب .

وروى عن النبي ﷺ أنه كان عنده قسح من ماء عند الموت فجعل يذخل يده في الماء ثم يحسح بها وجهه ويقول اللهم هون على نفسى سكرات الموت ، وفاطمة - رضى الله عنها - تقول واكرهاء لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أيبك بعد اليوم . وقال عمر رضى الله عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين أن الموت كعصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل وأحدث كل شوكه يعرق ثم جلده رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وقال النبي ﷺ : « أن العبد ليصالح كرب الموت وسكراته وأن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة » (٢) . فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبائه فب حاننا وبحن المهمكون في المعاصى وتولى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث الأولى شدة النزع كما ذكرناه ، الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب فلو رأى صورته أننى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته .

فقد روى عن إبراهيم الخليل - عليه السلام - أنه قال ملك الموت هل تستطيع أن ترى صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر ، قال لا تطيق ذلك ، قال بلى قال فأعرض عنه ثم لتت

فإذا هو برجل أسود فلقم الشمر مشق الريح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان فغشى على إبراهيم - عليه السلام - ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى . فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه .

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أن داود - عليه السلام - كان رجلا غيورا وكان إذا خرج خلق الأبواب فعلقها ذات يوم وحرج فأشرفت امرأته فإذا هى برجل في الدار ، فقلت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقنن منه عتاء فجاء داود فرأه فقال من أنت فقال أنا الذى لا أهاب الموت ولا يمنعهم منى الحجاب ، فقال فأنت والله إذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه .

وروى أن عيسى - عليه السلام - مر بهجمة فضر بها برجله فقال تكلمنى بإذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودى وحشمى على سرير ملكي إذا بدا لي ملك الموت فرل منى كل عضو على حاله ثم خرجت نفسى إليه ، فبالت ما كان من تلك الجموع كان فرقة وبالت ما كان من ذلك الإنس كان وحشة فلهذه داهية يلحقها المعصاة ويكفهاها المطيعون .

فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة التزع دون الروعة التى يذركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتفص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال ، وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها . لقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم - عليه السلام - كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك دارى فقال أدخلنيها رها ، فقال أنا رها ، فقال أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك ، فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت ، قال هل تستطيع أن ترى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ، قال نعم فأعرض عنى فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاة فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه ، فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورته كان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين قال وهيب بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يترأى له ملكاه الكاتبان عمله فإن كان مطيعا قال لا جزاك الله عنا غيرا فرب مجلس صدق أجلسنا وعمل صالح أحضرنا ، وأن كان فاجرا قال لا جزاك الله عنا غيرا فرب مجلس سوء أجلسنا وعمل غير صالح أحضرنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا غير فذلك شخص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا .

الداهية الثالثة مشاهدة المعصاة مواضعهم من النار وخوفهم تلك المشاهدة فإنهم في حال سكرات قد تحاذلت قواهم واستسلمت للخروج لأرواحهم ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نعمة ملك الموت بإحدى البشريات أما أبشر يا عدو الله بالنار أو أبشر يا ولي الله بالخنة ومن هذا

(١) (هيف) أحمد ٣ / ٤٢٤ ، وضعيف الجامع (٥٨٩٦)

(٢) (موضوع) تزيه الشريعة ٢ / ٣٧٥

كان خوف أرباب الأكباب وقد قال النبي ﷺ : « لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار » (١).

الباب الخامس والأربعون

فصل بيان القبر وسؤاله

قال رسول الله ﷺ : يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما حرك بي ألم تعلم أي بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما حرك بي أد كنت تمر بي فلذا ، فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب للقبر أرأيت أن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فيقول القبر إني إذا تحول عليه غضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى الله تعالى والفلان هو الذي يقدم رجلا ويؤخر آخرى هكلنا فسرء الراوي ، ولعل عبيد بن عمير الليثي : ليس من ميت يموت إلا ناحت حفرة التي يدفن فيها أنا بيت الظلمة والوحدة والافتراق فإن كنت في حياتك الله مطيعا كنت عليك اليوم رحمة ، وأن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نقمة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج ومن دخلني عاصيا خرج مشورا » (٢).

وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعليه أو أصاب بعض ما يكره ناداه جيرانه من المؤمنين أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبرا أما كان لك في متفدسا إليك فكرة أما رأيت انقطاع أعمالنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات إخوانك . وتناديه مقام الأرض أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في باطن لأرض بمن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبر وأنت براه محمولا لا تهاده أحيته إلى المزل الذي لا يد له منه .

وقال يريد الرقاشي بلغني أن الميت إذا وضع في قبره لاحتوشته أعماله ثم انطقها الله فقالت أيها العبد المتعبد في حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندما ، وقال كعب إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والركعة والجهاد والصدقة ، قال فتجي ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطلال في القيم له عليهما ، يأتونه من بين رأسه يقولون الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطلال ظمأ لله في دار الديب فلا سبيل لكم عليه ، يأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أصيب نفسه وأنتب بدمه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه فإن ماتوه من قبل يديه فتقول

(١) محمد بن عبد الله ١٠ / ٣٦٦

(٢) حبيه لأرباب ٦٠ / ٩٠

الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من مائتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ليتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئ طبت ميتا ، قال وثأيت ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثروا من الجنة وفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بتسليط من الجنة يستخرج بنوره إلى يوم يبعث الله من قبره .

وقال عبيد الله بن سحر في جنازة بلغني أن رسول الله ﷺ قال : « أن الميت يقعد وهو يسمع حطير مشيمه فلا يكلمه شيء إلا قبرة يقول ويحك يا ابن آدم قد حذرتني وحذرت شيمتي وحرمتي ودودي فمادا أعددت لي : » (١).

قال الجراء بن عازب خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة وجل من الأنصلو فجلس رسول الله ﷺ على سره متكسا رأسه ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا . ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبره من الآخرة بحث الله ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد روحه قيل أي رب عبيدك فلان فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ﴾ (٢) الآية . وأنه ليسمع خفق بعالمهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هلم من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله ودينى الإسلام ونبيى محمد ﷺ . قال فيتهراته انتهازا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مباد أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى : ﴿ يَحْيَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾ (٢) الآية . ثم يأتية آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر برحمة ربك وجنت فيها نعيم مقبم فيقول وأنت فبشرك الله بخبر من أنت فيقول أنا عملك الصالح والله عملت أن كنت لسريعا إلى طاعة الله تعالى بطيئا عن معصية الله فجراك الله حبرا . قال ثم يتنادى مباد أن أفرشوا له من درش الجنة واتحوا له باب إلى الجنة فيعرض له من مرش الجنة ويمتنح له باب الجنة ، فيقول اللهم صعد قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى قال وأما الكافر فإنه إذا كان في قبره من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة خلاظ شداد معهم ثياب من نار وسراويل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء ، وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه نادى أي رب عبيدك فلان لم تقبله سماه ولا أرضي ، فيقول عز وجل أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ﴾ الآية .

(٢) أية (٥٥) سورة طه

(١) التحد السادة ١٠ / ٣٩٧

(٢) آية (٢٧) سورة إبراهيم

وأنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مديريه حتى يقال له يا هذا من ربك ومن نيك وما دينك فيقول لا أدري ، فقال له لا دريت ثم يأتيه آت قبض الوجه من الریح فسيح الثياب فيقول أنا عملت الخيـث والله أن كنت لسريعا في معصية الله بطيئا عن طاعة الله فمراك الله شرا يقول وأنت مجررك الله شرا ثم يقيض له أصم أصم أيكم ميعه مريه من حديد لو اجتمع عليها الثفلان على أن يفلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه ضربة ليصير ترابا ثم تعود يه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربه يسميها من على الأرضين . قال ثم ينادى مناد أن أفرشوا له لوحين من نار واغتنموا له بابا إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار .

وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهُ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ ﴾ (١) قال أي شيء تريد وفي أي شيء ترعب أن ترد أن ترجع لتجمع المال وتفرس وتبني البيتان وتشقق الأنهار ، قال لا أملئ أحمل صالحا فيما تركت قال فيقول الحبار كلا فلها كلمة هو قالها أي لقولتها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ : للؤم في قبره في روضة عسراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعا ويضي حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون فيما أنزلت ؟ فإن له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم ، قال في عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تينا هل تدرون ما التين تسعة وتسعون حبة لكل حبة سبعة رؤوس يعضشونه ويلعشونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون ، ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فإن عدد هذه الحيات والعقارب وعدد الأشفاق الملمومة من الكبر والرياء والحسد والغفل والخذل وسائر الصفات ، فإن لها أصولا معدودة ثم تشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها بأقسام وتلك الصمات بأصنافها هي للهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يلدغ لدغ التين والضعيف يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤدي إلىذاء الخيبة وأرياب القلوب والبصائر يشاهدون بؤر البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بؤر النبوة ، فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار حمية عند أرباب الصائر واصحة فمن لم تنكشف أي حقائقها فلا يسمى أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم .

الباب السخن والارتعون

ففي بيان علم اليقين وعين اليقين-

والسؤال يوم العرض

قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ يعني لو تعلمون أمر القيامة باليقين لألهاكم من ذلك أي من التكاثر والتعاصر والمعلم ما يسمعكم من الخير ولترككم ما لا ينفعكم ، ويقال حقا لو تعلمون عليم اليقين كما يعلمه الرسل أن المال والحساب في الفخر لا ينفعكم يوم القيامة ما انصرفت بالمال وكثرة العدد لتروى الجميع . أقسم الرب أنكم لتروى النار وشدتها يوم القيامة هيئنا ثم لترونها عين اليقين يعني لتروى الجميع ، الرؤية التي هي نفس اليقين وهي المشاهدة والمعاينة التي لا شك فيها ، فإن قيل ما الفرق بين علم اليقين وعين اليقين قيل له علم اليقين كان للأنبياء بنوهم ، وعين اليقين للملائكة لأنهم يعاينون الجنة والنار واللوح والقلم والمرش والكرسي فتكون لهم عين اليقين . إن شئت قلت علم اليقين علم الموت والقبور للأحياء لأنهم يعرفون بأن الأموات في القبور ولكن لا يدرون كيف حالهم فيها وعين اليقين للأموات لأنهم عاينوا القبور ، إما روضة من رياض الجنة وأما حمرة من حفر النار . وإن شئت قلت علم اليقين علم القيامة وعين اليقين معاينة القيامة وأهلها وأن شئت قلت عليم اليقين علم الجنة والنار وعين اليقين الرؤية ﴿ فَمَنْ قَسَّاتْنِ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمِ ﴾ يعني لتستعلن يوم القيامة من نعم الدنيا من صحة الأبدان والاسماع والأبصار والمكاسب وملاذ المأكول والمشرب وغير ذلك هل أدبتم شكرها لمولاهما وحرقتهم بها أم كفرتم بها .

أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ يعني عن الطاعة ﴿ حَتَّى زُيِّنَ الْمَنَافِرُ ﴾ يقول حتى يأتيكم الموت ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني لو قد دخلتم قبوركم ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يقول لو قد خرجتم من قبوركم إلى محشركم ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ قال لو قد فهمتم على أعمالكم بين يدي ربكم ﴿ لتروى الجميع ﴾ وذلك لأن الصراط يوضع وسط جهنم فاح مسلم ومعدوش مسلم ومكدوش في نار جهنم ﴿ ثُمَّ لَسَأَلُوكَ مَوْلَانِ الْعَنِيمِ ﴾ (١) يعني شمع الطوبى وبارد اشواب وظلال المساكن وعتال الخلق ولذة لوم . وعن علي - رضي الله عنه - قال العيم العافية . وعن أبي قلابة عن النبي ﷺ في الآية قال : ناس من أمي يعتقدون المسمن والمسل المتقى فيأكلونه . وعن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية قالت الصحابة يا رسول الله أي نعم نحن فيه وإنما يأكل في انصاف بطوننا خبز الشعير فأوحى الله إلى نبيه ﷺ قل لهم اليس تحتلون الثمال وتشربون الماء البارد فهذا من النعيم . وروى الترمذي

إسى ﷺ لا كان عليهم حسرة يوم القيامة . وقال داود - عليه السلام - إلهي إذا رأيتني أجوز محاسن الدائرين إلى مجالس العافلين فأكسر وجلي دونهم فإنهم نعمة نعم بها عني ، وقال ﷺ للمجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء .

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - : إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تترأى النجوم . وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله - إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اهتز الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للعنبا ألا ترى ما يصنعون فتقول الدنيا دههم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأصنافهم إليك .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه دخل السوق وقال أراكم هنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يفكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن قال فذلك ميراث رسول الله ﷺ .

وعن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنه قال : إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تتادوا هلموا إلى بيتكم فيجيتون فيحفون بهم إلى السماء ، فيقول الله تبارك وتعالى أى شيء تركتم عبادي يصنعونه ، فيقولون تركناهم يحمولوك ويحملوك ويسبحونك ، فيقول تبارك وتعالى وهل رأوى فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوى ؟ فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتمجيذا فيقول لهم من أى شيء يتعوفون ، فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها ، فيقولون لا ، فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها ، فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا ، فيقول الله عز وجل وأى شيء يطلبون ، فيقولون الجنة ، فيقول تعالى وهل رأوها ؟ فيقولون لا ، فيقول فكيف لو رأوها ، فيقولون لو رأوها لكفوا أشد عنها حرصا ، فيقول جل جلاله إني أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، فيقولون كان فيهم ملان ولم يردهم إنما جاء الحاجة ، فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم ^(١) . وقال ﷺ : أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وقال ﷺ : ما معناه من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة ، كانت له حرزا من الشيطان يومه وحدث له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك . وقال ﷺ : من عبد توصا بأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء .

(١) (صحيح) أحمد ١ / ٤٤ ، وصحيح الجامع (٢١٣٧)

الباب الثامن والأربعون

في فضائل الصلوات

قال الله تعالى - ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ ^(١) وقال ﷺ خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفاهن بحشون كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذب به وإن شاء ادخله . وقال ﷺ مثل الصلوات الخمس كمثل مهر علبه فخير يباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما تروى ذلك يبقى من دمه ؟ قالوا لا شيء ، قال ﷺ فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدور ، وقال ﷺ : إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنب الكبائر . كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَحْسَنَ بُدْهِنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ ومعنى يذهبها يكفرها حتى كأنها لم تكن . وأخرج البخاري ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود إن رجلا أصاب من امرأة فيلة فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك كأنه يسأل عن كفارتها فأنزلت عليه ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي هُنَّ ﴾ ^(٢) الآية . فقال الرجل يا رسول الله إلى هنا قال هي لمن حمل بها من أمتي . وأخرج أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي أمامة أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أقم في حد الله مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ قال أين الرجل قال أنا قال أقممت الوضوء وصليت معنا أنا ؟ قال نعم قال فإنك من خطبتك كيوم وليلتك أمك فلا تعد . وأنزل الله حيثط على رسول الله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ﴾ الآية وقال ﷺ : « بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما » . وقال ﷺ : « من لقي الله وهو مصيب للصلاة لم يعأ الله بشيء من حسنته » ^(٣) وقال ﷺ : الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين . وسئل ﷺ : أى الأعمال أفضل ، فقال الصلاة لو أقيمتها . وقال ﷺ : من حافظ على الخمس بأكمل طهورها ومراقبتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان . وقال ﷺ : « مفتاح الجنة الصلاة » ^(٤) . وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه من الصلاة لم يتركها . وقال ﷺ : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برأ من الله » . وقال ﷺ : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برأ من الله » . وقال ﷺ : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برأ من الله » .

وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج حامداً إلى الصلاة فإنه

(١) سورة البقرة ١٠٣ ، (٢) سورة البقرة ١٠٣ ، (٣) سورة البقرة ١٠٣ ، (٤) سورة البقرة ١٠٣

(١) سورة البقرة ١٠٣ ، (٢) سورة البقرة ١٠٣ ، (٣) سورة البقرة ١٠٣ ، (٤) سورة البقرة ١٠٣

في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وأنه يكتب له بإحدى خطوته حسنة ونعمى عنه بالآخرى سبباً ، وإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يبعث له أن يهاجر فإن أصغركم أحراً أبعدكم داراً قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال من أجل كثرة الخطأ . وقال رسول الله ﷺ : ما أقرب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجود يعنى . وقال رسول الله ﷺ : ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة

وروى أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يزوجني مراقتك من أختي فقال ﷺ أصي بكثرة السجود . وقيل أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً وهو معنى قوله عز وجل : ﴿ وَسُجِدُوا وَالْقُرْآنُ ﴾ (١) وقال عز وجل : ﴿ سَيُعْلَمُ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ (٢) ففيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود ، ففيل هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح ، وقيل هي الغررائث تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء . وقال ﷺ إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعبست فلي النار .

وروى عن علي بن عبد الله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجدة .

وروى أن عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - كان لا يسجد إلا على التراب ، وكان يوسف بن أسباط يقول يا معشر الشباب بافروا بالصحة قبل للرض لما بقي أحد أحسنه إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حول بيني وبين ذلك . وقال سعيد ابن جبور ما أسى على شيء من الدنيا ما أسى على السجود . وقال حنيفة بن مسلم ما من غصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث يفر ساجداً . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - أقرب ما يكون للعبد إلى الله عز وجل إذا سجد ، فأكثروا الدعاء عند ذلك

الباب التاسع والأربعون

في بيان عقوبة تارك الصلاة

قال تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (١) لأننا لم نك من أهلها (٢) ولم نك نظيم المكسي (٣) وكنا نخوض مع الخافضين (٤) .

(٢) آية (٢٩) سورة النح

(١) آية (١٩) سورة العلق
(٣) آية (١٧ - ١٥) سورة المدثر

وأخرج أحمد : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » (١) ومسلم « بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة » وأبو داود والنسائي : « ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة » والترمذي « بين الكفر والإيمان ترك الصلاة » وابن ماجه « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » ، وصح كما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - أنه قال « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » والطبراني بإسناد حسن « ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهرا » وفي رواية : بين العبد والكفر أو الشرك .
ترك الصلاة فإد

عن عبيدة بن عبد الله - رضي الله عنه - أوصاني خليلي ﷺ بسبع خلال ٤ قال لا تشركوا بالله شيئا وإن طعنتم أو حرمتم أو صيتم ، ولا تتركوا الصلاة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد خرج من الملة ، ولا تركبوا المنصبة فإنها سحق الله ، ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها . . . الحديث والترمذي كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وصح خبر « بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك » . والبزار : « لا سهم في الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له » (٢) والطبراني لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد . وابن ماجه والبيهقي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال « أوصاني خليلي ﷺ أن لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وإن حرقته ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة ، ولا تشرب الخمر فإنها باب كل شر » .

والبزار وغيره بسند حسن عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال لما قام بصري أبي ذؤيب مع بقاء صفة الخدقة قبل يدايك ودع الصلاة أيما قلت لا إن رسول الله ﷺ قال « من ترك الصلاة نفى الله وهو عليه غضبان » (٣) .

والطبراني بسند لا بأس به في المتابعات « أتى رسول الله ﷺ وجل فقال يا رسول الله علمني عملاً إذا أنا فعلته دخلت الجنة قال لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقته ، وأطع والدك وإن أخرجك من مالك ومن كل شيء هو لك ، ولا تترك الصلاة متعمداً فإن من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله . . . الحديث .

وفي رواية متدها صحيح لكن فيه انقطاع : « لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقته ، ولا تعفن والدك وإن أمرك إن تخرج من أهلك ومالك ، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فإن من

(٢) (صحيح) مجمع الرواة ١ / ٢٩٢

(١) (صحيح) أحمد ٣ / ٣٨٩ .
(٣) مجمع الرواة ١ / ٢٩٥

ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمرا فإنه أى شربها رأس كل فاحشة ، وإياك والمعصية فإن بالمعصية حل سحق الله ، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس وإن أصاب الناس موت فابتيت وأنفق على أهلك من طولك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا وأخفهم في الله .

وابن حبان في صحيحه « يكرهوا بالصلاة في يوم النسيم فإنه من ترك الصلاة فقد كفر » .

والطبراني عن أميمة مولاة رسول الله ﷺ قالت « كنت أصيب على رأس رسول الله ﷺ وضوءه فدخل رجل فقال أوصني فقال لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت وحرقت بالنار ، ولا تعصى والدنياك وأن أمرك إن تخلى من أهلك ودنياك فتخله ، ولا تشربن خمرا فإنها مفتاح كل شر ولا تترك صلاة متعمدا ، فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله » . الحديث .

وأبو نعيم « من ترك الصلاة متعمدا كتب الله اسمه على باب النار من يدخلها » والطبراني والبيهقي « من ترك الصلاة لما أمر الله به وأمر أهله وماله » والحاكم بن علي أنه ﷺ قال « والله يا معشر قريش لتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة أو لأبعثن عليكم رجلا فيضرب أعناقكم على الدين » . . . الحديث .

والبزار « لا منهم في الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له » .

وأحمد مرسل « أربع فرضهن الله في الإسلام فمن أتى بثلاث لم يفتن عنه شيئا حتى يأتي بهن جميعا ، الصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت » .

والأصبهاني « من ترك صلاة متعمدا حبط الله عمله وموتت منه ذمة الله حتى يرجو الله عز وجل توبة » . والطبراني « من ترك الصلاة فقد كفر جهارا » . وأحمد بسند صحيح لكن فيه انقطاع : « لا تترك الصلاة متعمدا فإنه من ترك الصلاة متعمدا فإنه برئت منه ذمة الله ورسوله » . وابن أبي شيبة والبخاري في تاريخه موقوفا على علي - رضي الله عنه - قال « من لم يصل ، فهو كافر » ومحمد بن نصر وابن عبد البر موقوفا على ابن عباس « من ترك الصلاة فقد كفر » . وابن نصر موقوفا على ابن مسعود قال « من ترك الصلاة فلا دين له » وابن عبد البر موقوفا على جابر « من لم يصل فهو كافر » ، وابن عبد البر وغيره موقوفا على أبي الدرداء قال « لا إيمان لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له » .

وقال ابن أبي شيبة قال النبي ﷺ : « من ترك الصلاة فقد كفر » وقال محمد بن نصر سمعت اسحق يقول سمعت عن النبي ﷺ « أن تارك الصلاة كافر » وكذلك كان رأى أهل العلم من لون النبي ﷺ أن تارك الصلاة عمدا من غير علم حتى يذهب وقتها كافر . وقد أيوب ترك الصلاة

كفر لا يختلف فيه . وقال تعالى . « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٢٥) إلا من تاب » (١)

قائمين مسجود ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ولكن أغروها عن أوقاتها . وقال سعيد بن المسيب إمام التابعين : هو أن لا يصلى الظهر حتى تأتي العصر ، ولا يصلى العصر إلى المغرب ، ولا يصلى المغرب إلى العشاء ، ولا يصلى العشاء إلى الفجر ، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أو عنه الله بغي وهو واد في جهنم بعيد قعره ، شديد عقابه . وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الضالون » (٢)

قال جماعة من المفسرين المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس فمن اشتغل عن الصلاة في وقتها بآله كبيعه أو صبعته أو ولده كان من الضالين ، ولهذا قال ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب خسر » . وقال تعالى : « فترى للمصلين (٣) الذين هم عن صلاتهم ساهون » (٣) . قال ﷺ : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .

وأخرج أحمد بسند جيد والطبراني وابن حبان في صحيحه « أنه ﷺ ذكر الصلاة يوما لقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهان ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » .

قال بعض العلماء وإنما حشر مع هؤلاء لأنه إن اشتغل عن الصلاة بآله أشبه قارون فيحشر معه ، أو بملكه أشبه فرعون فيحشر معه ، أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه ، أو بتجارته أشبه أبي بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه .

والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال « سألت النبي ﷺ عن قول الله عز وجل : « الذين هم عن صلاتهم ساهون » قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » ، وأبو يعلى بسند حسن عن مصعب بن سعد قال قلت لأبي : يا ابنه أرايت قوله تعالى : « الذين هم عن صلاتهم ساهون » أيت لا يسهر أيت لا يحدث معه ، قال ليس ذلك إنما هو إضاعة الوقت . والويل شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره فهو مسكين من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها إلا أن يتوب إلى الله ويندم على ما فرط .

(٢) آية (٩) سورة المائدة

(١) آية (٥٩ - ٦٠) سورة مريم
(٣) آية (٤ - ٥) سورة الماعون

وابن حبان في صحيحه « من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله » . والشيوخ والأربعة
 « الذي يتره صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله » ^(١) ، راد ابن خزيمة في صحيحه قد مالك
 بعبارة فذهب الوقت ، والنسائي « من هذه الصلاة يعني فكأنما وتر أهله وماله يعني العصر »
 ومسلم والساني « أن هذه الصلاة يعني العصر عرّض على من كان قبلكم فضيعوها فمن حافظ
 منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطبع الشاهد « أي النجم . وأحمد
 والبخاري والنسائي « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » ، وأحمد بإسناد صحيح وابن أبي
 شيبة « من ترك صلاة العصر متعمدا حتى تقوته فقد حبط عمله » وابن أبي شيبة مرسل « من ترك
 العصر حتى تغيب الشمس من غير عذر فقد حبط عمله » ، وعبد الرزاق « لأن يوتر أحدكم أهله
 وماله خير له من أن يقوته وقت صلاة العصر » ^(٢) . والطبراني وأحمد « من ترك صلاة العصر
 متعمدا حتى تغرب الشمس فكأنما وتر أهله وماله » ، والشافعي والبيهقي « من فاتته الصلاة فكأنما
 أوتر أهله وماله » .

والبخاري عن سعدة بن جندب - رضي الله عنه - قال « كان رسول الله ﷺ عما يكثر أن يقول
 لأصحابه من رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وأنه قال لنا ذات غداة أنه أتاني
 الليلة آتيان وأنهما أتبعنا بي وأنهما قالوا لي إنطلق وإني أقصيت معكما وإنا أتينا على رجل
 مضطجع وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيلغ رأسه فيشدده الحجر ،
 أي ليندحرج فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعله
 في المرة الأولى قالت قلت لهما سبحان الله ما هذا قالوا لي انطلق انطلق .

فأتينا على رجل مستلق على قفاه وإذا آخر قائم عليه بالكلوب من حديد إذا هو يأتى أحد شقي
 وجهه فيشرشر أي يشق شدة إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه . قال وربما قال أبو رجاء
 فيشق ، فقال ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، قال فما يفرغ من
 ذلك الجانب حتى يصح لك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى ،
 قال قلت سبحان الله ما هذا قالوا لي انطلق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على مثل التنوير ، قال فأحسب أنه كان يقول فإذا فيه لفظ وأصوات قال
 فاطلنا عليه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك
 الدهب ضوضوا أي يفتح المجمعين وسكون الواوين صياح مع انضمام ونزع . قال قلت ما
 هؤلاء قالوا لي انطلق انطلق .

(١) صحيح البخاري (٥٢٢) ، ومسلم (٦٢٦)
 (٢) الطبراني ١٩ / ٢٣٠ ، ومجمع الروايات ٣٠٨

قال فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول أحمر مثل الدم وإذا هو في النهر رجل
 سابح يسبح ، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة فيلقمه حجرا فينطلق يسبح
 ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فإى بقاء فمجمعة مفتوحين فتح ماء فالقمة حجرا . قلت لهما ما
 هذه قالوا لي انطلق انطلق

فانطلقنا فأتينا على رجل كبره المرأة كأكبره ما أنت راه ورجلا مرثيا وإذا عنده نار يحثها (أي
 بمحلة مضمومة لمجمعة) يوقدها ويسمى حولها ، قال قلت ما هذا قالوا لي انطلق انطلق .

فانطلقنا على روضة معتمة أي طويلة النبات من أعتم إذا طال فيها من كل نور الريح وإذا بين
 ظهراني الروضة رجل طوال لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء وإذا حول الرجل من أكثر ولدان
 رأيهم ، قال قلت ما هذا ما هؤلاء قالوا لي انطلق انطلق .

فانطلقنا فأتينا على دوحة عظيمة ثم أر دوحة قط أعظم ولا أحسن منها قالوا لي أرق فيها
 فارتقت فيها إلى مدينة مبية بلى ذهب ولين فضة ، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخناها
 فلقنا رجلا ، شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راه وشطر منهم كأقبح ما أنت راه قالوا لهم أذهبوا
 فقموا في ذلك النهر ، قال وإذا النهر معترض بجرى كأن مائه للمحس أي الخالص في البيضاء ،
 فذهبوا فوقعوا ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة ، قالوا لي هذه
 جنة عدن وهذا منزلك ، فما أي ارتفع بصرى صعدنا بهمتين إلى فوق فإذا قصر مثل الربابة أي
 السحابة البيضاء قال قالوا لي هذا منزلك ، قال قلت لهما بارك الله فيكم فلهن فادخله قالوا أما
 الآن فلا وثقت داخله ، قال قلت لهما فأتيت من الليلة عجبا فما هذا الذي رأيته ، قال أنا
 متحرك .

أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يطلع رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفعه ويستمع
 عن الصلاة المكتوبة

وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه
 الرجل يغلب من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق

وأما الرجل والنساء العراة اللين هم في مثل به التنوير فإنهم الرية والروى

وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فإنه أكل الربا .

وأما الرجل الكبره المرأة الذي عند النار يحثها ويسمى حولها فإنه مالك خزائن النار

وأما الرجل الطوال الذي في الروضة فإنه إبراهيم ، أما الولدان اللين حولك فكل مولود مات
 على الفطرة

فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين .
وأما القوم الذين كانوا شطروا منهم حسن وشرهم منهم قبيح فإنهم قدم غلظا صلبا
وأخر سيفا نحاسا فجاءوا الله عنهم .

وفي حديث البزار قال : ثم أتى النبي ﷺ على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رخصت
عادت كما كانت ولا يستر عنهم من ذلك شيء . قال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تناقلت
رؤوسهم عن الصلاة .

وأخرج الخطيب وابن النجار على ، الإسلام الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بعدها
ووقتها وستها فهو مؤمن . وابن ماجه قال : قال الله تعالى « افترضت على أمك خمس
صلوات وعهدت عندي عهدا أن من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا
عهد له عندي » .

وأحمد والحاكم « من علم أن الصلاة عليه حق واجب وأدائها دخل الجنة » ، والترمذي وقال
حسن غريب والنسائي وابن ماجه « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن
صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد غاب وخسر وإن انتقص من فرضه قال الرب انظروا
هل لعبد من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون - ثم عمله على ذلك » والنسائي
« أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة وأول ما يقضى به بين الناس في الدعاء » .

وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة
صلاته فإن كان أتتها كتبت له ثمانية وإن لم يكن أتتها قال ملائكته انظروا هل يحمدون لعبد من
تطوع فيكملون بها فريضته ، ثم الزكاة ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك » (١) .
والطبراني « أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ينظر في صلاته فإن صلحت فقد أفلح وإن فسدت
فقد غاب وخسر » .

وأحمد وأبو داود والنسائي والحاكم « أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم
الصلاة يقول ربنا عز وجل ملائكتك وهو أعلم انظروا في صلاة عبد أتتها أم نقصها ، فإن كانت
تامة كتبت تامة وإن كانت انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبد من تطوع فإن كان له تطوع أعز
لعبد فريضته من تطوعه ، ثم يأخذ بالأعمال على ذلك » .

والطبراني والطبراني . والضياء في اختاره « أتاني جبريل من عند الله تبارك وتعالى
فقال يا محمد إن الله عز وجل يقول إنني افترضت على أمك خمس صلوات فمن أوفى بهن على

وخوئهن وموافقتهن وركوعهن وسجودهن كأن له بهن عهد أن أدخله الجنة ، ومن لقيني قد
انتقص من ذلك شيئا فليس له عندي عهد إن شئت عذبت وإن شئت رحمت » .

والبيهقي « الصلاة ميزان لمن لوى أسترى » (١) . والذهلي « الصلاة تسود وجه الشيطان
والصدقة تكسر ظهره » ، والتحاب في الله والتودد في العلم يقطع دبره فهذا فعلتم ذلك تباعد
منكم كمطلع الشمس من مغربها » (٢) . والترمذي وابن حبان والحاكم « اتقوا الله وصلوا
عصمكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذوي أمركم تدخلوا الجنة بكم » .

وأحمد والشيخان وأبو داود والنسائي : « أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها ثم ير
الوالدين ، ثم الجهاد في سبيل الله » . والبيهقي عن عمر - رضي الله عنه - قال « جاء رجل إلى
النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله في الإسلام فقال الصلاة لوقتها ومن ترك
الصلاة فلا دين له والصلاة عماد الدين » . ولذلك لما عن عمر رضي الله عنه قيل له الصلاة يا
أمير المؤمنين قال نعمت أما أنه لا حظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة ، وصلى - رضي الله عنه -
وجرحه بجري دمه .

وروي الذهبي أنه ﷺ قال : « إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء
ولها نور حتى تنتهي إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما
حفظتني ، وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة فإذا انتهت إلى
السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها » .

وأخرج أبو داود أنه ﷺ قال « ثلاث لا يقبل الله منهم صلاتهم وذكر منهم من أتى الصلاة
دبارا أي بعد أن تقوته » .

قال بعضهم ورود في الحديث « أن من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال ، يرفع
عنه غيب القبر ، وعذاب القبر ، ويمطيه الله كتابه يمينه ، ويمر على الصراط كالبرق ،
ويدخل الجنة بغير حساب . ومن تهان من الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمس في
الدنيا ، وثلاث عند الموت ، وثلاث في قبره ، وثلاث عند خروجه من القبر .

فأما اللواتي في الدنيا فالأولى تنزع البركة من عمره ، والثانية لمحوسبها الصالحين من
وجهه ، والثالثة كل عمل يمله لا بأجره الله عليه ، والرابعة لا يرفع له دعاء إلى السماء ،
والخامسة ليس له حظ في دعاء الصالحين .

(١) (معجم) كبر العمال (١٨٨٩٢) ، وضعيف الخاتم (٢٥٧٣)

(٢) (ضعيف جدا) كبر العمال (١٨٨٩٣) ، وضعيف الجامع (٣٥٦٠)

وأما التي تصيبه عند الموت فينبأه ، والثاني يموت جائعا ، والثالث يموت عطشا ولو سبق يحد الدنيا ما روى من عطشه .

وأما التي تصيبه في قبره فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أظلاله ، والثانية يوقد عليه القبر نار هتقلب على أجمر ليلا ونهارا ، والثالثة يسقط عليه في قبره نيران سمه الشجاع الأقرع عيبه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول أنا الشجاع ، لأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول أمرى ربي أن أضربك على تضبيع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، وأضربك على تضبيع صلاة الظهر إلى العصر ، وأضربك على تضبيع العصر إلى المغرب ، وأضربك على تضبيع صلاة المغرب إلى العشاء ، وأضربك على تضبيع صلاة العشاء إلى الفجر ، فكلما ضربته ضربية يفوح في الأرض سبعين فواجا ، فلا يزال في القبر معذب إلى يوم القيامة .

وأما التي تصيبه عند غروجه من القبر في موقف القيامة فتشده الحسب ، وسخط الرب ، ودخول النار .

وفي رواية فإنه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاث أسطر مكتوبات ، السطر الأول يا مضيق حق الله ، السطر الثاني يا مغموصا بغضب الله ، السطر الثالث كما ضيقت في الدنيا حق الله فأيس اليوم أنت من رحمة الله .

وما ذكر في هذا الحديث من تفصيل العدد لا يطابق جملة الخمس عشرة لأن الفصل أربع عشرة فقط . فعمل الراوى نسي الخامس عشر .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل لموقف بين يدي الله عز وجل فيأمر الله به إلى النار ، فيقول يارب مجدا ، فيقول تعالى بتأخيرك الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذبا .

قال بعضهم أيضا وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوما لأصحابه : « قولوا اللهم لا تدع بيننا شيئا ولا محروما » ثم قال ﷺ : أتدرون من الشقى المحروم قتلوا ورس هو يا رسول الله قال تارك صلاة .

قال أيضا يروى أنه أول ما تسود يوم القيامة وجوه تارك الصلاة وأن في جهنم واديا يقال له لمم فيه حبات كل حبة بشخن رقة البعير طولها مسيرة شهر تلمع تارك الصلاة فيخلو سمها في حمه سبعين سنة ثم ينهرى حمله

قال وروى أيضا أن امرأة من بنى إسرائيل جاءت إلى موسى - صلى الله على نبينا وعليه

وعلى سائر النبيين . « فقامت يا بني الله أدنيت دنيا عظيما وقد ثبت إلى الله تعالى فادع الله أن يعصر لي دمي ويشوب على » فقال لها موسى وما حدث ، قالت يا بني الله رثيت وولدت ولد فقتلته ، فقال لها موسى - صلى الله على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - أخرجني بما جرة لا تزل نار من لسماء فتحرق شؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب بمنزل جبريل - عليه السلام - وقال يا موسى الرب تعالى يقول لك لم رددت الثالثة يا موسى أما وجدت شرا منها قال موسى يا جبريل ومن شر منها قال من ترك الصلاة هانئا متعمدا .

وقال أيضا روى عن بعض السلف أنه دفن أخا له مات فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ثم تذكره فرجع إلى قبرها فقبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فرد التراب عليها ورجع إلى أمه باكيا حزنا فقال يا أمه أخوك يني عن أخى وما كانت تعمل قالت وما سؤا لك عنها قال يا أمه رأيت قبرها يشتعل عليها نارا قال فيبكت وقالت يا ولدى كانت أخذك تنهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لا يعلى فتنال الله تعالى أن يعسا على الحاشية عليها بكملاتها إنه جواد كريم رؤوف رحيم .

باب الضمور

في بيان عوالت جهنم وعذابها

قال الله تعالى : ﴿ لَهَا سِتْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْصُومٌ ﴾ (١) والمراد بالجزة هنا الحزب والطائفة والعريق ، وقيل المراد بالأبواب الأطباق طبق فوق طبق . قال ابن جرير النار سبع دركات وهي جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ، ثم مقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية ، فأصلا للموحدين ، والثانية لليهود ، والثالثة للنصارى ، والرابعة للصابئين ، والخامسة للمجوس ، والسادسة للمشركين ، والسابعة للمتأففين ، فجهنم أعلى الطبقات ثم ما بعدها تحتها . ثم كذلك .

قيل والمعنى أن الله تعالى يجزئ أتباع إبليس سبعة أجزاء فيدخل كل جزء وقسم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكبر والمعاصي مختلفة فذلك اختلعت مراتبهم في النار ، وقيل جعلت سبعة على وفق الأعضاء السبعة من العين والأذن واللسان واليطن والفرج واليد والرجل لأنها مصادر السيئات فكانت مواردها الأبواب السبعة

رضى الله عنه - قال أطيان جهنم سبعة بعضها فوق بعض ليملا الأول ثم الثاني
ولا تملأ

الخاري في تاريخه والترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « جهنم
سها إلى سل السيف يلي أمي - وروى الطبراني في الأوسط أن جبريل جاء إلى
من غير حية الذي كان يأقبه فيه ، فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالي
أه فقال ما جئتك حتى أمر الله عز وجل بفتح النار ، فقال رسول الله ﷺ يا
أه النار أو أتعت جهنم ، فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجهنم فأوقد عليها
نار ، فبقيت ، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام
فهي سوداء مظلمة لا يهدأ شررها ولا يطأ لها والذي يمشي بالحق نيا لو أن قدر
نفس من جهنم مات من في الأرض كلهم جميعا ، والذي يمشي بالحق لو أن خازنا من
جهنم مر إلى أهل الدنيا مات من في الأرض كلهم جميعا ، من قبح وجهه وتقر ربحه ،
والذي يمشي بالحق لو أن خلق من خلق أهل النار أتت نعمت الله في كتابه وضعت على
الذي الدنيا لا تملأ ولا تقارب حتى تنبسط إلى الأرض السفلى .

قال رسول الله ﷺ حسبي يا جبريل لا تنصدع قلبي فأمرت ، قال فنظر رسول الله ﷺ إلى
أبي لهب فقال تبكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به ، فقال ومالي لا أرى
أهل النار ، فقال لمالي أكون في علم الله على غير الحالة التي أنا عليها وما أدرى لمالي أبكي ،
فقد كان من الملائكة وما أدرى لمالي أبكي بما أبكي به هاروت وماروت ، قال
رسول الله ﷺ ويكي جبريل ، فمدألا بيكيك حتى نودي أن يا جبريل ويا محمد إن الله
أمر أن تمصياه فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر يقوم من الأنصار يصحبون
أصحابهم ووراءهم جهنم ، فلو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا وبعثتم كثيرا ولما
خرجتم إلى الصعدات فجأروا إلى الله عز وجل ، فنودي يا محمد لا
تشتك مشرا ولم أبشك معسرا - فقال ﷺ صدقوا وقاربوا .

مرام أحمد أنه ﷺ قال لجبريل : « مالي لا أرى ميكايل ضاحكا قط قال ما ضحك
بعت النار » (١) . وروى مسلم « أن رسول الله ﷺ قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة
معام مع كل زمان سبعون ألف ملك يجرونها » .

الباب الواحد والخمسون

فمن بيان عذاب جهنم أيضا

روى أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وما معناه « لما خلق الله تعالى الجنة والنار أمر
جبريل إلى الجنة ، فقال انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فجاء ونظر إليها وإلى ما أعد الله
لأهلها فيها فرجع إليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بها فحقت بالكاهن فقال
إني خشيت ألا يدخلها أحد فقال ارجع إلى النار فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب
بعضها بعضا فرجع إليه . فقال وعزتك لا يسمع أحد قيدخلها ، فأمر بها فحقت بالشهوات ،
فقال ارجع إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها .

والبيهقي يستدل بأش به عن ابن مسعود - رضى الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ إنها ترعى
بشرير كاقصص ﴾ (١) أما أني لست أقول كالشجر ولكن كالخسوف والملائكة وأحمد وابن ماجه
وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه : « ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا
قبل أن يبلغ قعره » (٢) والترمذي « ويل واد بين جبلين يهوى فيه الكافر سبعين خريفا قبل أن يبلغ
قعره » . وابن ماجه واللفظ له والترمذي تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب
الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمئة مرة ، قيل يا رسول الله من يدخله قال
أعد للقراء المرائين بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء ، الجسورة .
والطبراني أن في جهنم لواديا تشعب جهنم من ذلك الوادي كل يوم أربعمئة مرة أعد للمرائين
من أمة محمد ﷺ . وابن أبي الدنيا : إن في النار سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب
في كل شعب سبعون ألف حجر في كل حجر حية تأكل وجوه أهل النار . والبخاري في تاريخه
يستدل فيه نكارة أن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب ، في كل شعب
سبعون ألف دار ، في كل دار سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف بئر في كل بئر سبعون
ألف ثعبان في شدة كل ثعبان سبعون ألف عقرب لا ينشئ الكافر أو المنافق حتى يواقع ذلك كله
والترمذي يستدل فيه انقطاع أن الصحرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتعوى فيها سبعين
خريفا وما تفضي إلى قرارها .

وكان عمر - رضى الله عنه - يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وأن
مقامها حديد . والبخاري وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي لو أن حجرا قذف به في
جهنم لهورى بها سبعين خريفا قبل أن يبلغ قعرها . ومسلم عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال

(١) آية (٣٢) سورة المراتل - (٢) ضعف أحمد ٧٥ / ٣ ، والترمذي (٣١٦٤) ، وضعيف الجامع (٦١٤٨)

﴿ فَمَسَحْنَا وَجْهَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَتَدْرُونَ مَا هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ هَذَا فِي جَهَنَّمَ مِثْلَ شَهِيقَيْنِ عَرِيفًا فَلَمَّا لَانَ حِينَ أَتَتْهُ إِلَى فَمَرَّهَا . وَالطَّبْرَانِي عَنْ أَبِي صَالِيَةَ قَالَ قَالَ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَوْتًا هَالِكًا فَاتَّاهُ جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ﷺ : مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا جَبْرِيلُ ، فَقَالَ هَذِهِ صَخْرَةٌ هَوَتْ مِنْ شَعِيرِ جَهَنَّمَ مِنْ حِينَ يَلْبَسُ بِمَقَرِّهَا فَأَحْبَبَ إِلَهُ تَعَالَى أَنْ يَسْمَعَكَ صَوْتُهَا . فَمَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ حَتَّى قُبِضَ إِلَهُ عَزَّ وَجَلَّ . وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُ لَوْ أَنَّ رِجَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ مَحْمُومَةٌ أُرْسِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَهِيَ مَسْبُورَةٌ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ لَبِغَلَّتِ الْأَرْضُ مِنْهَا . وَأَبُو يَعْنَى وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ لَوْ أَنَّ مَقْعَةً مِنْ حَدِيدٍ جَهَنَّمَ وَضَعُ فِي الْأَرْضِ مَا أَفْلَحَ مَا أَكَلُوهُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ لَوْ حُشِرَ الْجِبَلُ بِمَقْعَةٍ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ فَضْلِ الْمَطَرِاقِ وَنِيلِ السَّوْدِ) وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ الْحَجَرَ الرَّاحِدَ مِنْهَا لَوْ دُفِنَ فِي جَبَلٍ لَدُنِيَ لَبِغَتْ مِنْهُ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ حَجَرًا وَشِطْلَانًا . وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ السَّجَّعَ يَبْنِي كُلَّ أَرْضٍ ، وَالتِّي تَلِيهَا مَسْبُورَةٌ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ فَالْعَالِيَا مِنْهَا عَلَى ظَهْرِ حَوْتَ قَدِ الْبُحْرَانِ ، هَذَا فِي السَّمَاءِ وَالْحَوْتَ عَلَى صَخْرَةٍ وَالصَّخْرَةُ بِيَدِ مَلَكٍ وَالثَّانِيَةِ سَجَّجَ الرِّيحَ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ نَفْثَ الرِّيحِ وَأَنَّ يَهْلِكَ عَادُ أَمْرَ خَارِجِ الرِّيحِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْهِمْ رِيحًا تَهْلِكُهُمْ قَالَ يَارَبِّ أَرْسِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ الرِّيحِ ۱۱۱ مَخْرَجُ الثَّوْرِ ، قَالَ لَهُ الْجَبَّارُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذْ تَكْمَأُ الْأَرْضُ وَمَنْ عَلَيْهَا وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا بِهِمْ جَلَدًا عَظِيمًا نَهَى الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ﴿ مَا تَقَرَّرَ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالْأَرْضِ ﴾ ۱۱۲ وَالتَّحْقِيقُ فِيهَا حِجَارَةٌ جَهَنَّمَ ، وَالرَّابِعَةُ فِيهَا كَبِيرَتُ جَهَنَّمَ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ النَّارُ كَبِيرَةٌ ۱۱۳ نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ فِيهَا لَأَوْدِيَةٌ مِنْ كَبِيرَتِ لَوْ أُرْسِلَ فِيهَا الْجِبَالُ السَّرَاسِي لَمَاسَتْ ۱۱۴ وَالْخَمْسَةُ فِيهَا حَيَاتُ جَهَنَّمَ أَنَّ أَفْوَاهَهَا كَالَأَوْدِيَةِ تَلْسَعُ الْكَافِرَ اللَّسْعَةَ فَلَا يَبْقَى مِنْهُ لَحْمٌ ۱۱۵ وَالْخَمْسَةُ فِيهَا عَقَارِبُ جَهَنَّمَ أَنَّ أَفْئِدَتَهَا كَالْجِبَالِ لَوُكِفَتْ تَضْرِبُ الْكَافِرَ ۱۱۶ مِنْ حُسْنِهَا حَرَّ جَهَنَّمَ ، وَالسَّابِعَةُ فِيهَا إِبْلِيسُ مُصْعَدٌ بِالْعَلِيدِ يَدُ أَمَامِهِ وَيدُ خَلْفِهِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَمُوتَ ۱۱۷ نَفَسَ مِنْ عَادِهِ أَطْلَقَهُ .

۱۱۸ وَالصَّرْفِيُّ وَابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ أَنَّ فِي النَّارِ حَيَاتٍ كَأَمْثَالِ نَفْسِ أَحَدَانِ اللَّسْعَةِ لِيَجْعَدَ حَرَّهَا سَبْعِينَ عَرِيفًا ، وَأَنَّ فِي النَّارِ عَقَارِبَ كَأَمْثَالِ الرَّمْلِ ۱۱۹ نَعَمْ أَحَدُهُنَّ اللَّسْعَةُ لِيَجْعَدَ حَرَّهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ ﷺ فِي قَوْلِهِ بَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ كَالْمُهْلِ ﴾ قَالَ كَمَكْرَ الزَّيْتِ إِذَا نَفَسَ مِنْهُ مَرَّةً وَجْهَهُ فِيهِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ أَنَّ الْحَمِيمَ لِيَصْبَ عَلَى

رَأْسِ الْكَافِرِ فَيُعَذِّدُ الْحَمِيمُ حَتَّى يَخْصُصَ إِلَى جَوْفِهِ فَيَسْتَمَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَحْرَقَ مِنْ قَدَمِيهِ وَهُوَ الصَّهْرُ ثُمَّ يَمُوتُ كَمَا كَانَتْ أَحْمِيمُ الْمَاءِ الْخَارِ الَّذِي يَحْرَقُ ۱۲۰ وَقَالَ التَّحْقِيقُ الْحَمِيمُ يَغْلِي مِنْهُ خَلْقُ اللَّهِ تَعَالَى الْأَرْضَ إِلَى يَوْمِ يَسْقُوتُهُ وَيَصْبُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ ، وَنَقِيلُ هُوَ مَا يَجْتَمِعُ مِنْ دُمُوعِ أَعْيُنِهِمْ فِي حَيَاصِ النَّارِ فَيَسْقُوتُهُ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَقُوتًا لَهُ حَمِيمًا فَتَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ ﴾ ۱۲۱ وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ غَرِيبٌ وَالحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيَسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۱۲۲ يَنْجَرُّهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ ۱۲۳ قَالَ يَقْرُبُ إِلَى فِيهِ فَيَكْرَهُهُ فَيَدَا مِنْهُ شَرَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فُرُودُ رَأْسِهِ فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دَبْرِهِ . وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَقُوتًا لَهُ حَمِيمًا فَتَقَطَّعَ أَمْعَاهُمْ ﴾ وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَإِنْ يَسْأَلُكَ بِأَهْلُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْرَى الْوُجُوهَ بَنَى الْفُتْرَابِ ﴾ وَأَحْمَدُ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ لَوْ أَنَّ دُلُومًا مِنْ خُمَاقِ يَهْرَاقُ فِي النَّارِ لَأَتَتْ أَهْلَ النَّارِ وَالنَّارُ وَالْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلْيَذُوقُوا حَمِيمًا وَخَسَقًا ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَخَسَقًا ﴾ وَخَسَقًا فِيهِ لَعْنَةُ ابْنِ حَبَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - هُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ جِلْدِ الْكَافِرِ وَنَحْوِهِ وَعِنْدَ آخَرِينَ هُوَ صَنِيلُهُمْ ، وَقَالَ كَتَبَ هُوَ عَيْنٌ فِي جَهَنَّمَ يَسِيلُ إِلَيْهَا حَمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حَمَةٍ مِنْ حَيَّةٍ أَوْ عَقْرَبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَيَسْتَنْقِعُ لِيُؤْتِيَ بِالْأَدْمَى فَيُخَمِّسُ فِيهَا لَحْمَةً وَاحِدَةً فَيَخْرِجُ وَقَدْ سَقَطَ جِلْدُهُ وَلَحْمُهُ عَنِ الْعِظَامِ وَيَتَمَلَّقُ جِلْدُهُ وَلَحْمُهُ فِي عَقِيهِ وَكَمِيهِ لِيَجْعَلَ لَحْمَهُ كَمَا يَجْعَلُ الْمَرْءُ ثَوْبَهُ . وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ صَحِيحٌ أَنَّهُ ﷺ قَرَأَ هَذِهِ آيَةَ ﴿ تَقْتُلُوا اللَّهَ حَقَّ قَتْلِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ فَقَالَ ﷺ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزُّقُومِ قَطَرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَاشَهُمْ فَكَيْفَ يَمُنُّ بِكَوْنِ طَعَامِهِ ، وَفِي رِوَايَةٍ فَكَيْفَ يَمُنُّ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ ، وَصَحَّحَ عَنْ ابْنِ حَبَّانٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ ۱۲۴ شَوْكٌ يَأْتِخُ بِالْخَلْقِ لَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ ، وَالشَّيْخَانِ مَا بَيْنَ مَنَكِيِّ الْكَافِرِ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمَرْعُ ، وَالْمَكْبُ مَجْمَعُ رَأْسِ الْكَتِفِ وَالْعَصْدُ ، وَأَحْمَدُ ضَرَسَ الْكَافِرَ مِثْلَ أَحَدٍ ، وَفُخْزُهُ مِثْلُ الْيَدِ أَيْ وَهُوَ جَبَلٌ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ كَمَا بَيْنَ قَدِيدٍ وَمَكَّةَ أَيْ نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا يَنْزَاعُ الْحَارَ أَيْ مِنْكَ دَلِيلُ لِيَهُ ذِرَاعٌ مَعْرُوفٌ الْمَقْدَارُ كَمَا قَالَ ابْنُ حَبَّانٍ وَغَيْرُهُ . وَقِيلَ مَلَكٌ بِالْعَجَمِ . وَرَوَى مُسْلِمٌ ضَرَسَ أَنْ قَالَ يَابَ الْكَافِرَ مِثْلَ أَحَدٍ وَغُلْظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةَ ثَلَاثٍ . وَالتِّرْمِذِيُّ وَلَفْظُهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « ضَرَسَ الْكَافِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ أَحَدٍ وَفُخْزُهُ مِثْلُ الْيَدِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الرِّبْلَةِ أَيْ كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالرِّبْلَةِ » ۱۲۵ . وَأَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ : ضَرَسَ الْكَافِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ أَحَدٍ وَغُرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَغُلْظُهُ مِثْلُ الْيَدِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَا بَيْنَ الرِّبْلَةِ . وَفِي رِوَايَةٍ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَسِيرَةَ ثَلَاثٍ مِثْلَ الرِّبْلَةِ . وَأَحْمَدُ

(٢) آية (١٦ - ١٧) سورة إبراهيم
(٣) (حسن) الترمذي (٢٥٧٨)

(١) آية (١٥) سورة محمد
(٢) آية (١٣) سورة الرعد

عن أبيه ومياده في يوم من الحسن كما قاله الحافظ المنذرى . والترمذى عن الفضيل بن يزيد أن
 أحد أصحاب بيته العرسج والمرسخين يتوطأ الناس ، والفضيل بن يزيد عن أبي العجلان أن
 أحد أصحاب بيته فرسخين يوم القيامة يتوطأ الناس . أخرجه البيهقي وغيره وهو الصواب . قال
 شيخنا رحمه الله : وعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أحد أعضائه مسيرة سبع مائة
 فرسخ . وإن عظم حلقه سبعون فراسخا وإن خبره مثل أحد (١) . وأحمد بسند صحيح وصححه .
 من سمع قال ابن عباس أتدري ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما تدري إن بين شحمة
 من سمع وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا تجري فيه أودية القبح والدم قلت أنهار قال لا بل
 نوبة

الباب الثاني والخمسون

قال بيان فضل الخوف من الذنب

أعلم أن أعظم زاجر عن الذنوب هو خوف الله تعالى وخشية انتقامه وسطوته وحلزه عقابه
 وخضوعه وطعته ﴿ فليخبر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم مصيبة أو يمسهم غيب ﴾ (٢)

جاءه الله دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تمهلك قال أرجو الله يا رسول الله
 وأخاف فتوى ، فقال رسول الله ﷺ لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الوطن إلا أعطاه الله ما
 يرجو وأتمه بما يخاف . وعن وهب بن الورد قال كان عيسى - صلى الله عليه وآله وسلم - على نبينا وعلى سائر
 الأنبياء وبرسلين - يقول حب الفردوس وخشية جهنم يورثان الصبر على المصيبة ويعدان العبد
 من لدن الدنيا وشهواتها ومعاصيها . وعن الحسن قال والله لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أنفق
 أحدهم عبد الغصن ذهبيا يمشي أن لا يتجو لعظم الذنب في نفسه . وقال رسول الله ﷺ هل
 تسمعون . أسمع أظلت السماء وحق لها أن تظن والذي نفس بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا
 ومث سمع له تعالى أو قائم أو راكع ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
 . خرجوا وصعدتم إلى الصدقات أي الجبال تجارون إلى الله تعالى خوفا من عقابهم سطوته وشدة
 انتقامه . وفي رواية لا تدرون تتجرون أو لا تتجرون . وقال بكر بن عبد الله المزني من أتى الخطيئة
 . فمر بصاحب دخل النار وهو يكي . وفي الحديث لو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب
 . من سمع من الصحيحين قام رسول الله ﷺ حين أزل عليه ﴿ وأبدر عشرين ألف قريب ﴾ (٣)
 . من مصر فريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يابني عبد مناف لا أغنى
 منكم . شيئا ، يا عباس هم رسول الله لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا فاطمة بنت محمد

سليبي من مالي ما شئت لا أغنى عنكم من الله شيئا . وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت يا
 رسول الله والذي يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم أتوا إلى ربهم واجمعون ، يا رسول الله هو الذي
 يزن ويسرق ويشرب الخمر وهو يخاف الله . قال لا يثبت أبي بكر يا بنت الصديق ولكنه
 الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه . رواه أحمد . وقيل للحسن البصري
 يا أبا سعيد كيف تصنع بمجالسة قوم يؤسونا عن الرجاء حتى تكاد قلوبنا تطير ، فقال له إنك والله
 تصحب قوما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواما يؤمنونك حتى تلحقك
 المخاوف . ولما طعن حمير بن الحظاب - رضي الله عنه - وفريت وفاته قال لا به وملكه ضيع غنى
 على الأرض لا أم لك ، وويلي وأى ويلي إن لم يرجحني . وقال له ابن عباس ما هذا الخوف يا
 أمير المؤمنين وقد فتح الله بك الفتوح ومصر بك الأمصار وفعل بك وفعل ، قال وددت أن أجرو
 لا على ولا لي . وفي رواية لا أجرا ولا وزرا . وكان زين العابدين بن علي بن الحسين - رضي
 الله عنهم - إذا تروضا وفرغ من وضوئه أخذته رعدة فقليل له في ذلك ، فقال ويحكم أتدرون
 إلى من أقوم ولئن أريد أن أتأجى .

وقال أحمد بن حنبل الخوف يمنى من أكل الطعام والشراب لما أشتبه . وفي الصحيحين
 أنه ﷺ ذكر من السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، رجلا ذكر الله أي
 وعيده وعقابه خاليه ففأضحت عيناه أي خوفا مما جاءه والفرقه من المخالفات والذنوب . وفي
 حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال عيان لا تمسهما النار حين يكت في جوف الليل من خشية
 الله وعين بأنت تحرم في سبيل الله تعالى وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال كل حين
 باكية يوم القيامة إلا عينا غشت عن محارم الله وعينا سهوت في سبيل الله وعينا يخرج منها مثل
 رأس الذباب من خشية الله تعالى . وأخرج الترمذى وقال حسن صحيح عن أبي هريرة - رضي
 الله عنه - ، وقال : قال رسول الله ﷺ لا يلج أي لا يدخل النار رجل يكي من خشية الله تعالى
 حتى يعود الليل في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم . وقال عبد الله بن
 العاص - رضي الله عنهما - لأن أضع دعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار .
 وقال عون بن عبد الله بلغني أنه لا تصيب دموع الإنسان من خشية الله مكانا من جسده إلا حرم
 الله ذلك المكان على البر وكان لصبر رسول الله ﷺ أربع كابرير للرجل من الكاء أي قوران
 وغياض كعبان انقدر على النار . وقال الكندي البكاء من خشية الله تطفى النعمة منه أمثال البخار
 من النار . وكان ابن السملك يعاتب نفسه ويقول لها تقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين
 ومع ذلك الجنة تظلمين أن تدخلها هيهات هيهات للجنة قوم آخرون ولهم أعمال غير ما نحن
 عاملون

وعن سفيان الثوري قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصني ، قال

يرسبها ولا مروءة للكذب ولا راحة لحسود ، ولا إغناء للملوك ، ولا مؤودة لسي الخلق ، يا ابن رسول الله ردى ، قال يا سفيان كفى عن معارم الله تكن علينا وأرض بما قسم الله لك تكن مسلماً ، وأصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمناً ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من مجوره أى الحديث المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وشاور فى أمرك الدين يخشون الله ، قلت يا ابن رسول الله ردى ، قال يا ابن رسول الله ردى ، قال أديس أبى يثلاث قال لى أى بنى إن من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مدخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم . وقال ابن المبارك سألت وعيب بن النور أيجد طعم العبادة من يعصى الله تعالى ، قال لا ولا من يهم بمصيبة الله تعالى . وقال الإمام أبو الفرج بن الجوزى الخوف هو النار المحرقة للشهوات فإذا فضيلتك بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المصيبة ويحث على الطاعة وكيف لا يكون الخوف إذا هو فضيلة وبه تحصل العفة والتورع والتقوى والمجاهدة والأعمال العاقلة التى يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى كما علم من الآيات والأخبار كقوله تعالى : ﴿ هَذَى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِأَبْنِهِمْ يَرْجُونَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَرَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِدِينِ خَشَى رَبَّهُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَعَالِفُونَ بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَخْلَفْ عَلَيْهِمْ رَيْبٌ ﴾ وقال تعالى : ﴿ سِذْقٌ مِنْ يَخْشَى ﴾ وكل مد دل من الآيات والأحاديث على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم . وأخرج ابن أبى الدنيا أنه عليه السلام قال : إذا أقشعر جسد العبد من محافة الله عز وجل تحاتت عنه خطاياهم كما تنحاح من الشجرة اليابسة ورقها .

وقال عليه السلام قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وقال أبو سليمان الداراني كل قلب ليس فيه خوف الله فهو خراب وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَهُ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

الباب الثالث والخمسون

عن بيان فصل التوبة

جاء من فصل التوبة آيات كثيرة كقوله تعالى ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ تَغْفِرُونَ ﴾ وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَنُكِّلْهُ اللَّهُ إِلَى أَهْدَابٍ يُومِ الْقِيَامَةِ وَيَخْتَلِفُ فِيهِ مَنَاقِبُ ﴾ إلا من تاب وأناب وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً (٢٤) ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً (٢٥)

والأحاديث من ذلك كثيرة أخرج مسلم : « وأن الله يسطر به بالليل ليشوب منى النهار ويسطر به بالنهار ليشوب منى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » (١) . والترمذى وصححه أن من قبل المغرب ليلاً مسيرة عرصة أربعون عاماً أو سبعون سنة فتحمه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السموات والأرض فلا يعنفه حتى تطلع الشمس منه . وصحح أيضاً أن الله تعالى جعل بالمغرب باب عرصة مسيرة سبعين عاماً للتوبة لا يهلك ما لم تطلع الشمس من قبله . ودلت قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَهْلِ ذَلِكَ بِصُحُفٍ نَفْسًا بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ ﴾ (٢) الآية . . . قيل وليس من هذه الرواية ولا الأولى تصريح برحمته كما صرح به البيهقي . . انتهى . ويجاب بأن مثل هذا لا يقال من قبل الرأى منه حكم المرفوع ، والطبراني يستد جيد لجنة ثمانية أبواب مبيعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه ، وابن ماجه يستد جيد لو أخطأتم حتى تبلغ غطايكم السماء ثم تبتم لئلا الله عليكم والحاكم وصححه : « من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإجابة » (٣) والترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه : كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، والشيطان أن عبداً أصاب ذنباً فقال يارب إني أذنبت ذنباً فاغفره لى فقال له ربه علم عبيدى أن له رياء يغفر الذنب ويأخذ به يغفر له ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر فقال يارب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال له ربه علم عبيدى أن له رياء يغفر الذنب ويأخذ به يغفر له ، ثم مكث ما شاء الله تعالى ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال يارب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لى فقال له ربه علم عبيدى أن له رياء يغفر الذنب ويأخذ به ، فقال ربه غفرت لعبدى فليعمل ما شاء . قال المنذرى قوله فليعمل ما شاء معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب منه ولم يعد إليه بدليل قوله ثم أصاب فما آخر فليعمل إذا كان هذا ما شاء لأنه كلما أذنب كانت توبته واستمراره كعادة لئلا يضره لا أن المعنى أنه أدب اللب فيستغفر به بلسانه من غير إفلاخ ثم يعاوده فإن هذه توبة للكلايين .

وروى جماعة وصححوه إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت تكتبه سوداء فى قلبه فإن تاب وتوب واستعصر صقل منها وإن زاد زادت حتى يخلق بها قلبه فلذلك التراب الذى ذكره الله فى كتابه : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ والترمذى وحسنه أن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر أن تبلغ روحه خلقومه . والطبراني يستد حسن لكن له انقطاع . والبيهقي يستد فيه مجهول عن معاذ قال أخذ بيدي رسول الله ﷺ فمضى ميلاً ثم قال يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة ورحمة الشيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام

(١) صحيح (مسند) (٢٧٥٩)

(٢) آية (١٥٨) سورة الأنعام

(٣) صحيح (الحاكم) ٢١٠ / ٤

عمن أهدب فلا شك هي توتك ، فانتطلق يريدها حتى إذا كان بين القريتين أفرجه الموت ، فسالت الملائكة وبها عنه فقال انتظروا إلى أي القريتين كان أقرب فاكثبوا من أهلها فوجدوه أقرب إلى بصرة فبدا أكلة فكتب من أهلها

الباب الرابع والخمسون

في بيان النهي عن الظلم

قال الله تعالى : ﴿وَسْئَلُهُمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقُضُونَ﴾ (١) وقال ﷺ : الظلم ظلمات يوم القيامة . وقال ﷺ : « من ظلم شبرا من أرض طوفه الله من سبع أرضين يوم القيامة . وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري » (٢) .
ما أحسن قول بعضهم :

لا تظلمن إذا ما كتبت مقشرا • • • فالظلم يرجع عقابه إلى المظلم
تمام حينك والمظلوم منتصب • • • يدعو عليك وعين الله لم تتم
وقول الآخر :

إذا ما الظلوم استوطأ الأرض مركبا • • • ولـمـيـح غلوا فبيح اكسابه
لكله إلى صرف الزمان ليله • • • صوري له ما لم يكن في حبابه

وقال بعض السلف لا تظلم الصعفاء فتكون من شرار الأقوياء . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - أن الجباري لتموت هولا في وكرها من ظلم ظالم . وقيل مكتوب في التوراة ينادي ناد من وراء الحشر يعني الصراخ ، يا معشر الجبابرة الطغاة ويا معشر الترميز الأشقياء إن الله سيحلف بعترته أن لا يجاور هذا الحشر اليوم ظلم ظالم . وعن جابر - رضي الله عنه - قال لما رجعت مهاجرة الحبشة إلى رسول الله ﷺ قال ألا تحبوني بأهبي ما أريتم في أرض الحبشة فقال قتيبة وكان معهم على يا رسول الله يسما يحي يوما جنوس إذا مرت بنا صجور من مهاجرهم تحمل على رأسها قنة من ماء ، فمرت بمنهم فجعل إحدى يديه بين كعبها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبها وانكسرت قلنها ، فلما قامت انتفتت إليه ثم قالت سوف تعلم يا ضرير إذا وضع الله الكرسي لجميع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل عما كانوا يكسبون سوف تعلم ما

أمرى وأمرك عنده غدا . قال فقال رسول الله ﷺ ما معناه كيف يرحم الله قوما ضاع الحق بينهم أو كما قال ، وقال ﷺ خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والآخرة بهم في الآخرة إلى النار . أمير قوم يأخذ حقه من وجهه ولا يتصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم ، وزعيم قوم يطعمونه ولا سوى بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى ، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعمهم أمر دينهم ، ورجل استأجر أجيرا فاستممله ولم يوفه أجره ، ورجل ظلم امرأة في صداقها . وعن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - أنه قال أن الله تعالى لما خلق الخلق واستوتوا على أقداسهم رفعوا رءوسهم إلى الله وقالوا يا رب مع من أنت ، قال مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه .

وعن وهب بن منبه - رضي الله عنه - : بني جبار من الجبابرة نصرا وشيعة فجاءت صجور فقيرة فنت إلى جانبه شيئا تأوى إليه فركب الجبار يوما وطاف حول القصر فرأى بناءها ، فقال لمن هذا فقيل لأمراة فقيرة تأوى إليه فأمر بهدمه ، فجاءت الصجور فرأته مهلوما فقاتلت من حمله فقتل لها الملك رآه فهدمه ، فرفعت الصجور رأسها إلى السماء وقالت يا رب أنا لم أكن حاضرة ففئت أين كنت . قال فأمر الله عز وجل أن يقلب القصر على من فيه قلبه .

وقيل لما حبس بعض البرابكة وولده قال يا أيت بعد العز صرنا في القيد والحبس ، قال يا بني دعوا مظلوم سرت بليل غفلت عنها ولم يمس الله عنها . وكان يزيد بن حكيم يقول ما هبت أحدا قط هبتي رجلا ظلمته وأنا أعلم أنه لا تناصر له إلا الله يقول في حسي الله ، الله بيني وبينك .

وعن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال يجرى لظلم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم ملقيه المظلوم وحرف ما في ظلمه بما يبرح الدين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الدرك الأسفل من النار . وعن عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة خروا بهما فيناديهم ناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، أنا الملك الديان لا ينفي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار أن يدخل النار وحدهم مظلمة حتى القلعة فما فوقها ولا يظلم ريك أحدا ، قلنا يا رسول الله كيف وإنما نأني حفاة عراة خروا بهما ؟ قال بالحسنات والسيئات جزاء وفاقا ولا يظلم ريك أحدا . وعنه ﷺ أنه قال : من ضرب موطئا ظلما أقتص منه يوم القيامة

وما ذكر أن كسرى اتخذ مؤديا لولده يعلمه يؤديه فلما بلغ الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوما وفهره غريبا وجيما من غير جرم ولا سب ، فحقد الولد على المعلم إلى

(١) آية (٢٢٧) سورة الشعراء

(٢) رصيف الدر المنثور ١ / ٣٥٣ ، وضميف الجامع (٨٦٦)

أن كرم ومات أبوه فتولى الملك بعده ، فاستحضر المعلم وقال له ما حملك على أن تصرى من يوم كذا صبراً وحجماً من غير حرم ولا سب ، فقال له المعلم أعلم أيها الملك أنك لما بلغت العاية في العسل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك فأردت أن أذكرك طعم الصبر وألم الظلم حتى لا تنظم أحداً بعد فقال له جزاك الله خير ثم أمر له بجائزة وعصره .

الباب الخامس والخمسون

فنى النفس عن ظلم اليتيم

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعيراً ﴾ (١) قال قتادة نزلت في رجل من غطفان ولي مال ابن أخيه وهو صغير يتيم فأكله وقوله ظلماً أى لأجل أو حال كونهم ظالمين خرج به أكلها بحق كأكلي الولي بشرطه المقررة في كتب الفقه . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ ظَلُوفُهُ ظُلْماً لِمَنْ خَلَقَ مِنْ ظُلْمٍ فَاسْتَعْلِفْ وَمَنْ كَانَ ظُلُوفُهُ ظُلْماً لِمَنْ خَلَقَ مِنْ ظُلْمٍ فَاسْتَعْلِفْ ﴾ (٢) أى يقتل الحاجة فحسب أو بأن يأخذ قرضاً أو بقدر أجره عمله أو بأن يضطر فإن أسرف قضاه وإلا فهو في حل . وقد نه تعالى على تأكيد حق الأيتام ومزيد الاعتناء به بقوله قبل هذه الآية : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ ظُلْمِهِمْ ذُرِّيَةً يَنْفَعُوا عِظَامَهُمْ فَاخْلَوْا عَلَيْهِمْ فَمَا يَكْفُرُوا أَلَا هُوَ مُدْعٍ لَشَفَاعَتِهِ ﴾ (٣) إذا المراد شهادة السياق خلافاً لمن حمل الآية على أنها في الوصية يأكثر من الثلث أو نحو ذلك الحمل لمن كان في حجة يتيم على أنه يحسن إليه حتى في الخطأ فلا يخاطبه إلا ينحو . يا بنى ، مما يخاطب به أولاده ، ويفعل معه من البر والمعرفة والإحسان والقيام في ماله ما يجب أن يفعل بماله ويلزمه من بعده فإن الجراء من جنس الممل ﴿ مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أى الجراء كما تدعى تدان أى كما تفعل يفعل معك يسما الإنسان آمن متصرف في مال العبير وعلى أولاد غيره وإذا بالموت قد حل به فبحره الله تعالى في ماله وذريته وحياله وسائر تعلقاته بنظير ما فعل مع غيره إن خيراً أم خيراً وإن شراً فشر فليحش العاقل ربه ويتصرف على الأيتام الذين في حجره بما يجب أن يتصرف ولي أولاده لو كانوا أيتاماً عليهم في ماله .

وجاء أن الله تعالى أوحى إلى داود . صلى الله عليه وسلم - يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم ، وكى للأرملة كالزوج الشقيق واعلم أنك كما تزرع كذا تحصد أى كما تفعل يفعل معك إذ لا يدان بموت ويبقى لك ولد يتيم وامرأة أرملة . وجاء في التشديد في أموال اليتامى والظلم فيها أحاديث كثيرة موافقة لما في الآية من ديث الوعد الشديد تعديراً للناس عن هذه

(١) آية (١٠٦) سورة النساء .

(٢) آية (٦) سورة النساء .

(٣) آية (٩) سورة النساء .

العامحة الوخيمة المهلكة ، أخرج مسلم وغيره بألفاظ أركض ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب بنسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال اليتيم . ولشيعان وغيرهم . اجتنبوا لسبع الوصفات أى المهلكات قالوا يا رسول الله وما هن ، قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم . الحديث واليزار : الكبار سبغ الإسترار بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم . الحديث ، وأحاطكم وصحة أربع سنق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذهبهم نعمها : مدمن خمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه . وابن حبان في صحيحه أن من جملة كتابه ﷺ الذى أرسله مع عمرو بن حرم إلى أهل اليمن وأن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشرار بالله ، وقتل النفس المومة بغير حق ، والفرار في سبل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ورمى للمحصة ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم .

وأبو يعلى يبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تاجع أرواحهم ناراً ، فقيل من هم يا رسول الله . ألم تروا أن الله يقول . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ﴾ وفى حديث المصراع عند مسلم فإذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يتكئون لحامهم ، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها في أرواحهم فتخرج من أديارهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ، وفى تفسير القرطبي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : رأيت ليلة أسرى بي قوما لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ مشافرهم ثم يجعل في أرواحهم صخوراً من نار تخرج من أسفلهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هم الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً .

الباب السادس والخمسون

فنى بيان ذم الكبر

ذكر مما ورد في ذم الكبر زيادة ما تقدم لشونه وسوء عاقبته فهو أول معصية وقعت من إبليس فلعنه الله وطرده من جنة عرضها السموات والأرض إلى عذاب السمير . وفى الحديث القدسي : الكبرياء رذائل ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى في واحد منها متعت قصته ولا أبالي . وورد بحشر التكبرون أمثال النار في صور الرجال يشاهم الذل من كل مكان ويسقون من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار . وقال ﷺ : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان وملك جائر ، وهائل مستكبر . وعن عمر - رضى الله عنه - أنه قرأ قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ فقال إنا لله وإنا إليه راجعون . قام رجل يأمر

معرفة فقتل مقام آخر فقال تقتلون الذين يأمرون بالمعروف يقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كره ، من محمود كفى بالرجل إثماً إذا قيل له اتق الله ، قال عليك نفسك ، وقال ﷺ لرجل كى يبيت قال لا أستطيع ، فقال النبي ﷺ لا استطعت فما تمتع إلا كبره قال مما رفعها بعد ذلك إلى فيه أى اعتلت هذه . وروى أن ثلثت بن قيس بن شماس قال يا رسول الله إني امرؤ حبيب إلى من أحمال ما ترى أنس الكبر هو ؟ فقال ﷺ لا ولكن الكبر بطن الحق وغمض الناس أى أذرتهم واستحقارهم وهم عباد الله أمثاله أو غير منه .

قال وهب بن منبه لما قال موسى - عليه السلام - لعمرون آمن ولك ملكك ، قال حتى أشاور ههنا مشاور ههنا ، فقال ههنا بينما أنت رب تعبد إذا أنت عبد تعبد فاستغف عن عبوديته وعن اتباع موسى فأمره الله .

وقالت قريش فيما أخبر الله عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُؤَدُّ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رُءُوسِ الْقُرَيْشِ عَظِيمٌ ﴾ قال قتادة عظيم القرىتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي طلبوا من هو أعظم رئاسة من النبي ﷺ إذ قالوا غلام يتيم كيف بعث الله اليأس فقال تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ثم أخبرهم الله عن تعجبهم حين دخروا النار إذ لم يرو لها الذين أزدوهم كأهل الصفة ، فقالوا ما لنا لا نرى رجلاً كنا نعدهم من الأشرار ، قيل يعنون عماراً وبلالاً وصهيباً والمقداد - رضى الله عنهم - ، قال وهب - رضى الله عنه - العلم كالغيث ينزل من السماء حاراً صافياً فتشربه الأشجار بفروعها فتحوله على قدر طعمها فيرد المر مرارة والحلو حلوة ، فكذلك العلم يحفظه الرجال على قدر هممها وأهوائها فيريد المتكبر كبراً والتواضع تواضعاً وذلك لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فاراد كبراً وإذا كان الرجل خافوا مع جهله فازداد علماً علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزاد خوفاً واشفاقاً وتواضعاً ولذلك قال ﷺ فيما رواه العباس - رضى الله عنه - يكون قوم يرمون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأنا ، ومن أعلمنا ، ثم انفتحت إلى أصحابه وقال أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار .

وروى أن رجلاً ذكر بخير للنبي ﷺ فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال إني أرى في وجهه سعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي ﷺ فقال له نبي ﷺ أسألك بالله حديثك منك أن ليس في القوم أفضل منك ، قال اللهم نعم قرأى رسول الله ﷺ بخور البهية ما استكن في قلبه سعة في وجهه . قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ يمجس من القراء كل مضحك فأما الذي تلقاه بيشر ولفظك بعيسى بن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله

روى عن أبي ذر - رضى الله عنه - أنه قال قبلت رجلاً عند النبي ﷺ فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي ﷺ : « يا أبا ذر طف الصع لم الصاع ليس لابن أبيه » على ابن السوداء فضل (١) . قال أبو ذر رحمه الله فاضجعت وقلت للرجل قم لطا هي عدي . وقال كرم الله وجهه من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الدار فليتنظر إلى رجل قاعد بين يديه قوم قيام . قال أنس لم يكن شخص أحب إلى أصحابه من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك . وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالثبتم ويمش فيهمهم ، إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والمعجب .

الباب اسباع والحمس

فصل التواضع والقناعة

قال رسول الله ﷺ : ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعة . وقال ﷺ : طوبى لمن تواضع في غير مسكنة ، أنفق مالا جمعه في غير معصية ورحم أهل اللذ والمسكنة ، عاظموا أهل العفة والحكمة (٢) . وروى أن النبي ﷺ كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون ، فقال سائل على الباب وبه زماعة يتكره منها فأذن له فلما دخل أجلسه رسول الله ﷺ على فخذه ثم قال له أطعم فكان رجلاً من قريش اشعأه عنه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زماعة . وقال ﷺ : خيرى ربي بين أمرين إن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فلم أدر أيهما أختار وكان صفى من الملائكة جبريل فرقص وأسى إليه ، فقال تواضع لربك فقلت عبداً رسولاً . وأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - إنما أقبل حلاوة من تواضع لعظمى ولم يتعظم على خلقى وألزم خوفى . وقال ﷺ : « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى » (٣) .

وقال المسيح - عليه السلام - : طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة ، طوبى للمصلين بين الناس في الدنيا هم الذين يرشون الفردوس يوم القيامة ، طوبى لمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة . وقال بعضهم بلغنى أن النبي ﷺ قال إذا هدنى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له وورقه مع ذلك تواضعاً فلذلك من صفوة الله . وقال ﷺ أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب ، الصمت وهو أول العبادة ، والتوكل على الله ، والتواضع ، والزهد في الدنيا .

(١) مشكل لأثر ٢ / ٣٦٣ - ٣٦٥ .

(٢) صيف (صيف) ١ / ١٨٦ ، وصيف الجامع (٣٦٤٢) .

(٣) صيف (صيف) ٨ / ٣٥٢ ، وصيف الجامع (٤٢٩٩) .

ويرى أن رسول الله ﷺ كان يطعم لجاه وجل أسوديه جذرى قد قشر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جبهه ، فاجلسه النبي ﷺ إلى جبهه ، وقال ﷺ : إنه لم يجس أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه . وقال ﷺ لأصحابه يوماً ما إلى لا أرى عليكم حلاوة العبادة ، قالوا ما حلاوة العبادة ، قال التواضع وقال ﷺ : « إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار » (١) . ومن أحسن ما قيل شعراً :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ••• على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالمدخان يعلو بنفسه ••• على طبقات الجو وهو وضيع

وعما جاء في فضل القناعة زينة على ما تقدم

قال ﷺ عز والمؤمن استعاضه من الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى ما شئت تكن أميره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره ، قليل يكفيك خير من كثير يطعك . وقال بعضهم ما ربيت غنى أفضل من القناعة ولا فقر أشد من الرغبة وأنشد :

أفادنى القناعة ثوب عز ••• وأنى غنى أهز من القناعة
فصبرها لنفسك رأس مال ••• وصبر يصدك التقوى بضاعة
تجسد ويحين غنى عن خليل ••• وتعمق في الجنان بصبر ساعة
وقال آخر :

تبغ الغنى بالكساف وإلا ••• طلبت منك فوق ما يكفيها
إنما أنت طول عمرك ما ••• صبرت في الساعة التي أنت فيها
وقال آخر :

إذا الرزق عنك نأى فاصطبر ••• ومنه انتع باللى قد حصل
ولا تشعب النفس في تحصيله ••• فإن كان ثم نصيب وصل
وقال آخر :

إذا أعطتكَ أكف اللئام ••• كفتك القناعة شبعاً ودا
فكن رجلاً رجله في الثرى ••• وقامته همته في الثريا
وقال آخر :

يا طالب الرزق الهني بقوة ••• تهبأت أنت بباطل مشغوف
رعت الأسود بقوة جيف الفلا ••• ورعى الدياب الشهد وهو ضعيف

كان رسول الله ﷺ إذا أصابه خصاصة قال لأهله : قوموا إلى الصلاة . ويقول أمرت بهذا ويقرأ : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ (١) الآية . . .
وأنشدوا :

دع التهاوت في الدنيا وزيتها ••• ولا يفرتك الإكثار والجشع
والنع بما قسم الرحمن وروع به ••• إن القناعة مال ليس يقطع
وحل ربك فغسل العيش أجمعها ••• ليس فيها إذا حققت متنع

ومن كلام الحكماء ليست العزة في حسن البزة فإن التمتع بليس الثياب والتجمل بحسن الزي يشغل العبد حتى لا يعبأ بشيء من أمر دينه ميلاً لدنياه وقلماً يخلو صاحبه من العجب . وأنشد بعضهم :

رضيت من الدنيا بلقمة بالئس ••• وليس عباد لا أن سد سواهما
لأنى رأيت الدهر ليس بدائم ••• لدهرى وعمري فانيان كلاهما

الباب الثامن والخمسون

في بيان غرور الدنيا

جميع أحوال الدنيا مصروفة إلى ما يسوء ويسر فليست مساهلة لجميع أهلها وإنما هي متلوة على ما اقتضته حكمة الحكيم . قال سبحانه : ﴿ ولا يزالون معطين ﴾ (١) إلا من رحم ربك (٢) قال بعض المفسرين مختلفين في الرزق يريد اختلافهم في الغنى والفقر فمن الواجب على من ساعدته ديناه وأخدمها له مولاه أن يلقى ذلك بشكره ويتوجه إليه بصنائع

(١) آية (١١٨-١١٩) سورة هود

(٢) آية (١٣٢) سورة طه .

(١) المائدة للجمعة (٢٥٣) ، وذكره للوضعات (١٩١)

المعروف لهاها تقي مصارع السوء ولا يفر بنفيا وكفى بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تُفَرِّقُوا بَيْنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يُفَرِّقُكُمْ مَالُهُ الْغُرُورُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ كُفْرُكُمْ فَعَمَّ أَفْسُكُمْ وَبُورُكُمْ وَهُرْتُكُمْ الْأَمْنِي ﴾ الآية تنبيرا عن الغرور بها . وقال ﷺ : « حبلنا يوم الأكيلس وفطرمهم كيف يقبضون سهر الحنفي ولجهادهم ولشغال قرة من صاحب نفوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المعتريه » (١) وقال ﷺ لكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحق من أتبع نفسه هواها ونفى على الله الأملنى .

وقال الشاعر :

ومن يحمى الدنيا لشيء يسره ••• فسوف يصيرى عن قليل يلوها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ••• وإن أتيت كنت كثيرا محسوما

وقال آخر :

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها ••• تبقى علينا ويأتى زوالها رغدا
ما كان فى حق حمر أن يذل لها ••• فكيف هى متاع يضمحل فدا
وأشد ابن بسام :

أف الدنيا ولا يمسها ••• لها الحزن من مغلقة
فحومها لا تنقى ساعة ••• حسن ملك فيها ولا سوة
يا حجابا منها ومن شأنها ••• حدة الناس معشوقة
وأشد آخر :

ونائلة أرى الأيام تعطى ••• تعلم النفس من رزق حشيت
وتنح من له فسوف وفصل ••• فقلت لها على أصل الحديث
وأنت جعل المكاسب من حرام ••• فجاءت بالحديث على الحديث
وأشد آخر أيضا :

سل الأيام ما فعلت بكسرى ••• وقبصر وقصور وساكنها
أما استبدعتهم للبين طرا ••• فلم تدع الخليم ولا السفىها

وحكى أعرابيا تزل يقوم فقدموا إليه طعام فأكل ثم نام فى ظل خيمتهم فانقلعوا الخيمة فأصابه حر الشمس فاشتبه فارتحل وهو يقول .

الا إنما الدنيا كظل بنهنته ••• ولا بد يوما أن ظلك زائل
وقال أيضا :

الا إنما الدنيا مثيل لراكب ••• نفس وطرا من منزل ثم هجر

وقال بعض الحكماء لصاحب له : قد أسعك الداعي . وأطرد إليك الطالب ولا أحد أعظم رزية من ضيق اليقين واخطاه العمل . وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالافتقار بالله جهلا . وقال رسول الله ﷺ : من أحب الدنيا وسر بها ذهب بحرف الآخرة من قلبه . وقال بعضهم إن العبد يحاسب على ما داته من الدنيا ويحاسب لفرجه فى الدنيا إذا قدر عليها ولقد كان السلف الصالح فيما أحل لهم أزهد منكم فيها حرم عليكم أن الذى لا بأس به عندكم كان من الموقوفات عندهم ، وكان حمير بن عبد العزيز كثيرا ما يمثل بهذه الأبيات وهى لمسيرين كدام :

نهلك يا مفروور نوم وغلظة ••• وليلك نوم والرى لك لازم
يفرك ما يفتى وتفرج بالنى ••• كما خير بالذات فى النوم حالم
وشغلك فيها سوف تكرر به ••• كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

باب التاسع والخمسون

فى بيان ذم الدنيا والتحذير منها

روى عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يورثني مالا . قال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه . قال يا رسول الله ادع أن يورثني مالا ، قال يا ثعلبة أما لك فى أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسى بيده لو شئت أن تسير معي الحبال دحبا ونفحة لسارت . قال والذي بعثك بالحق نبيا لئن دهوت الله أن يورثني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولا فعلن ولا فعلن .

قال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ فلما فتت كما ينمو الدود ، فطاعت عبيد المدينة فتسبح بها سرل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والمصر فى الجماعة ويدع سواهما ، ثم فت وكثرت فتسبح حتى ترك الجماعة ولا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى

حتى ترك الجمعة وطلق يلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الأحبار في المدينة - وسأل رسول الله ﷺ عنه فقال - ما فعل ثعلبة بن حاطب ؟ فقيل يا رسول الله اتخذ غصبا مضائق عليه المدينة وأحبروه بأمره كله فقال يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة يا وبع ثعلبة قال وأنزل الله تعالى : ﴿ خذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ وأنزل الله تعالى قرأتها الصدقة بعث رسول الله ﷺ رجلا من جبيته ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجوا فيأخذوا الصدقة من المسلمين . وقال : مرا بـثعلبة بن حاطب ويغلان رجل من بني سليم وغلا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ . فقال ما هذه الاجرة ما هذه الا جرية ما هذه الا تحت الجزية انطلقا حتى تفراها ثم تصردا إلى ، فانطلقا نحو السليم فسمع بهما فلما إلى غيل أسنان أبله فعزلهما للصدقة ثم استقبلهما بهما فلما رأياها قال لا يجب عليك ذلك وما نريد أن تأخذ هذا منك . قال بلى غلاها نفس بها طيبة وإنما هي لتأخذها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بـثعلبة فسألاه الصدقة فقال أرى كتابكما فتتقر فيه ، فقال هذه تحت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي ، فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رأهما قال يا وبع ثعلبة قبل أن يكلماه ودعا للمسلمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليم . فأنزل الله تعالى في ثعلبة : ﴿ وَهُمْ مِنْ عِندِ اللَّهِ فِي آثِقَاتٍ مِنْ عَذَابِهِ لَقَدْ كُنُوا وَلَكُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴾ فلما أتاهم من فعله بخلوا به وفكروا وهم مغرورون ﴿ فَاعْقِبْهُمْ نَفَقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوُاهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْفِيُونَ ﴾ (١) وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة ، فقال لا أم لك يا ثعلبة فد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته . فقال إن الله سمى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له رسول الله ﷺ : هذا عملك أمرتك فلم تطعن فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع إلى منزله فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق - وعسى الله عنه - فأبى أن يقبلها منه ، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب - وعسى الله عنه - فأبى أن يقبلها منه ، وتوفي ثعلبة بعد خلافة عثمان .

وقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم - عليه السلام - فقال أكون معك وأصحبك ، فانتقلنا فأتيناها إلى شط نهر فجلب بئردان ومعهما ثلاثة أرغفة مأكلا رعيين

(١) آية (٧٥-٧٧) سورة التوبة .

وفي رغيث ثالث ، فقال عيسى - عليه السلام - إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيث فذكر للرجل من أخذ الرغيث فقال لا أخرى ، قال فانطلق ومعه صاحب فرأى طيبة ومعهما خشفان نه . قال فدعا أحدهما فأتاه فطبعه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل ، ثم قال للشخشف قم ياذن الله فقام فذهب ، فقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيث فقال لا أخرى ثم أتتها إلى وادي ماء فأخذ عيسى يد الرجل فمشى على الماء جاوزاه ، قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيث ، فقال لا أخرى فأتتها إلى معازة فجلسا فأخذ عيسى - عليه السلام - بجمع تراب وكثبا ثم قال كن ذهبيا يادن الله تعالى فصار ذهبيا فقسمة ثلاثة أثلاث ، ثم قال لك لي وثلاث لك وثلاث لمن أخذ الرغيث ، فقال أنا الذي أخذت الرغيث ، فقال كله لك وفارقه عيسى - عليه السلام - ، فأتته إلى رجلا في المعازة ومعه المال فأخذا منه وبقتلاه ، فقال هو بيننا أثلاثا فابعدوا أحدهم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاما تأكله ، قال فبشوا أحدهم ، فقال الذي بعث لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال لكنني أضع في هذا الطعام سما فأتتهما وأخذ المال وحلني ، قال فعزل وقال ذاك الرجل لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال ولكن إذا رجع قطناه واقتسمنا المال بيننا ، قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا فبقي ذك في المعازة وأولئك الثلاثة عنده قتلى ، فمر بهم عيسى - عليه السلام - على تلك فقال لأصحابه هذه الدنيا فاحطروها .

وحكى أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأهلهم شيء عما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتجروا قبورا فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكسوها وصلوا عندها وروحوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم في ذلك معاش من نبات الأرض ، وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له أجب ذا القرنين فقال مالي إليه حاجة فإن كان له حاجة فليأتني : فقال ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له أرسلت إليك لتأتني فأيت بها أن قد جئت ، فقال لو كان لي إليك حاجة لأتيك فقال له ذو القرنين مالي أراكم على حالة لم أر أحدا من الأمم عليها ، قال وما ذاك قال لس لكم دبا ولا شيء أصلا أتخدم الذهب والفضة فاستعتم بهما ، قال إنما كرهناهما لأن أحدا لم يعط منهما شيئا إلا تأتت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه ، فقال ما بالكم قد احتجروا قبورا فإذا أصبحتم تعهدوهم فكسبتموها وحلبتم عندها ، قال أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا متنا قبورنا من الأمل ، قال وأراكم لاطعامكم لكم إلا البقل من الأرض أغلا اتخذتم البهائم من الأعمام فاحتلبتموها وركبتموها فاستعتم بها ، قال كرهنا أن نجعل بطونا قبورا لها ورأينا في بيوت الأرض بلاغا وإنما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأرى ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له

طعما كائنا ما كان من الطعام ، ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذى القرنين فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين أتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطانا على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله سيئاته فلك منه حسمة بالموت فصار كالخجر الملقى وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته ، ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدري من هذا قال لا أدري ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعدة قد كان يرى ما يصنع الذي قله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وحشع لله عز وجل وأمر بالمعدل في أهل مملكته فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ، ثم أهوى إلى جمجمة ذى القرنين فقال هذه الجمجمة قد كانت كهذين فانظرا يا ذا القرنين ما أنت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فأتخلك أعيا ووريرا وشريكا فيما أنأتى الله من هذا المال ، قال ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن تكون جميعا ، قال ذو القرنين . ولم . قال من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق ، قال ولم . قال يحادونك لما في يديك من الملك والمال ولا أجد أحدا يهاديني لرفضى لذلك ولما عتدى من الحاجة وقلة الشيء قال فأنصرف عنه ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا به .

وما أحسن قول القائل :

يا من جمع بالدينار وزينتها ••• ولا تام حسن اللذات حينه
شغلته نفسك فيما ليس تدركه ••• تقول لله ماسا حين تلقاه
وقول آخر :

حسبت حلي الدنيا لوفعة بجاهل ••• وتأخير ذي فضل فقلت خذ العذرا
بنو الجاهل أينالى لهذا وقعهم ••• وأهل التقى أبناء غمرنى الأخرى
وقول محمود الباهلي :

ألا إيها الدنيا على المرء قتنة ••• على كل حال أقبلت أو تولت
فإن أقبلت فاستقبل الشكر دائما ••• ومهما تولت فاصطبر وتبت

أبواب السنون

في فضل الصدقة

قال ﷺ : من تصدق بمعدل ثمرة من كسب طيب ولا يقلل الله إلا طيبا فإن الله يقبلها بيمينه أى متلبسة بيمينه ويركته ثم يريها لصاحبها كما يرى أحدكم مبره حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد وتصدق بذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَطْمِئِنَّا أَنْ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ (١) ﴿ يَسْخَرُ اللَّهُ الرِّيَاءَ وَيَجْزِي الصَّدَقَاتِ ﴾ (٢).

ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل . وفي رواية للطبراني ما نقصت صدقة من مال وما مد عبد يده لصدقة إلا أقيمت في يد الله أى إلا قبلها الله تعالى ورفض بها قبل أن تقع في يد السائل ، وما فتح عبد باب مستئلة له عنها حتى إلا فتح الله له باب فخر يقول العبد مالى مالى وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأنسى ، أو ليس فأبلى ، أو أعطى فأنسى ، وما سوى ذلك فهو فاهب وتاركه للناس .

وفي الخبر ما منكم من أحد ألا سيكلمه الله ليس بيه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم ، ويتنظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق ثمرة . وقال ﷺ : « الصدقة تطفيء الحظيئة كما يطفى الماء النار » (٣) .

يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم ودم نيتا على سمعت النار أولى به . يا كعب بن عجرة الناس عاديان فناد في فكاك نفسه فمعتتها وغدا فمويقها يا كعب بن عجرة الصلاة قريات والصوم جنة والصدقة تطفيء الحظيئة كما يذهب الجليد عن الصفا . وفي رواية كما يطفى الماء النار .

إن الصدقة كطوى خطيب الرب وتدفق مينة السوء . وفي رواية أن الله ليسرأ أى يطلع بالصدقة سبعين بابا من مينة السوء . وفي الحديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس . وقيل يا رسول الله أى الصدقة أفضل ، قال جهد المقل وبدأ بمن نمود ، وقال ﷺ سبق درهم مائة ألف درهم فقال كيف ذلك يا رسول الله فقال رجل له مال كثير أخذ من هرهبه أى جانيبه مائة ألف درهم وتصدق بها ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به ، وقال ﷺ لا ترد سائلك ولو بظلف هو للبر والعزم بمنزلة الجافر لمرس .

سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله إلى أن قال رجل تصدق بصدقة فأخضاها حتى لا تعلم

(٢) آية (٢٧٦) سورة البقرة .

(١) آية (٩٠٤) سورة التوبة .
(٣) حسن الترمذي (٦١٤)

شماله ما نفق يمينه .

صانع المعروف تقي مصارع السوء وصديقة السر تطعم غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر - وفي رواية للطبراني : صانع المعروف تقي مصارع السوء والصديقة خفيا تطعم غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة وأول من يدخل الجنة أهل المعروف . وفي أخرى له ولاحمد ما في الصدقة يا رسول الله أصدف مضاعفة وعند الله المزيدي ، ثم قرأ ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ (١)

فيل يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال : سرّاً إلى فقير أو جهداً من مغل ثم قرأ : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ (٢) الآية .

أيما مسلم كما مسلماً ثوباً على هري كساه الله تعالى من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم .

الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم أتان صدقة وصلة .

أي الصدقة أفضل قال على ذي الرحم الكاشح أي للضمير لغناوتك في كشمه أي حصره كناية عن باطنه .

ومن منح منيحة لبن أي بأن أعطى لبوا لمن يأكل لبنها ثم يردّها أو ورق أي أقرض دراهم أو هدى وقافاً أي إلى الطريق كان له مثل حتى رقية .

كل غرض صدقة وفي رواية عند جماعة رأيت ليلة أسرى على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بشماية عشر - ومن يسر على مصير الله عليه في الدنيا والآخرة - أي الإسلام خير ؟ قال تطعم الطعام وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف . أتيتني عن كل شيء قال كل شيء خلق من الماء ، فقلت أخبرني بشيء إذا عملته دخلت الجنة ، قال أطعم الطعام وأفش السلام وصل الأرحام وصل بالليل والناس نيام تدخل الجنة بسلام . أعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام . ومن موجبات الرحمة إطعام المسلم المسكين - من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بأعده الله من النار يسبح خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام . إن الله - عز وجل - يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرهت فلم تعلمني قال كيف أهوئك وأنت رب العالمين ، قال علمت أن عبدي فلان مرضى فلم تعده أما

(١) آية (٢٤٥) سورة البقرة

(٢) آية (٢٧١) سورة البقرة

علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم فلم تعلمني ، قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعته لوجدت ذلك عندي ، يا ابن آدم استغثتك فلم تستغني ، قال يا رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين ، قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي .

الباب الحادي والستون

في قضاء حاجة أخيه المسلم

قال تعالى : ﴿ ولما تولى على البر والتقوى ﴾ (١) وقال ﷺ : من مشى في عون أخيه ومفغته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله . وقال رسول الله ﷺ : إن الله خلق خلقهم لقتلهم لقضاء حوائج الناس إلى على نفسه أن لا يحلهم بالنار فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يجلسون الله تعالى والناس في الحساب . وقال رسول الله ﷺ : من سعى لأخيه المسلم في حاجة قضيت له أو لم تقض غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءة من النار وبرائة من النفاق .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : من مشى في حاجة أخيه للمسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فإن مات في حلال ذلك دخل الجنة بغير حساب (٢) وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : من مشى مع أخيه المسلم في حاجة فأنصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبعة خنادق والخندق كما بين السماء والأرض . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله عند أقوام بما يقرأها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فإذا ملوا نقدها إلى غيرهم . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : أتدرون ما يقول الأسد في رثيه ، قالوا الله أعلم ، قال يقول اللهم لا تسلط على أحد من أهل المعروف .

وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يرفعه : إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس ، وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران ، وآية الكرسي ، وإذا أنزلها في الليلة القدر ، وأم الكتاب فإن فيها حوائج الدنيا والآخرة . وعن عبد الله بن الحسن - رضي الله تعالى عنهم - قال : أتيت باب عمر بن عبد العزيز في حاجة ، فقال إذا كانت لك حاجة إلى فارس

به (٢) سورة البقرة
الآية ١٧٧

رسولاً أو اكتب لي كتاباً فأتى لأستحي من الله أن يراك بهي . ومن على بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال والذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا خلق الله تعالى من ذلك السرور لظفاً ، فإذا تولت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطرد عنها كما تطرد عريضة الإبل . وقال أيضاً فوت الحاجة أمون من طلبها إلى غير أهلها ، وعنه أيضاً قال لا تكثر على أخيك الخواص فإن العجل إذا أفرط في مص ثدي أمه نطعته . وما أحسن قول الشاعر :

لا تقطن من عادة الإحسان من أحد * ما دمت تقدر والأيام تارات
وذكر فضيلة صنع الله إذ جعلت * إليك لا لك عند الناس حاجات
وقول آخر :

أنش الخواص ما استطع * ت وكن لهم أعنيك فارج
فلخير أهام الفتى * يوم قضى فيه الخواص

باب الثاني والستون في فضل الوضوء

قال رسول الله ﷺ : من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيها بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وفي لفظ آخر ولم يسه فيها غفر ما تقدم من ذنبه . وقال ﷺ أيضاً : ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره ، ونقل الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ثلاث مرات . وتوضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ، وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين ، أنه الله أجره مرتين ، وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .

وقال ﷺ من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ، ومن لم يذكر الله لم يظهر منه إلا ما أصاب الماء : وقال ﷺ : من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات ^(١) . وقال ﷺ : الوضوء على الوضوء نور على نور ^(٢) . وهذا كله حث على تجديد الوضوء . وقال - عليه الصلاة والسلام - : إذا توضأ العبد المسلم تيمم فخرجت الخطايا من فمه فإذا استتر خرجت

الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أظفار عييه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره ، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه وإذا غسل رجله خرجت الخطايا من رجله حتى تخرج من تحت أظفار رجله ثم كان مشياً إلى المسجد وصلاته نافذة له .

ويروى أن الطاهر كاتصافه وقال - عليه الصلاة والسلام - : من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ^(١) . وقال عمر - رضي الله عنه - أن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان . وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستقراً فليقبل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

ويروى أن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - وجه رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ من مصر لكسوة الكعبة ، فترجل الرجل بعض أرض الشام إلى جانب صومعة حبر من الأحرار ولم يكن حبر أعلم منه فأحب رسول عمر أن يلقاه فيسمع منه علمه فأثاء واستفتح باب داره فلم يفتح له طويلاً ، ثم دخل على الحبر فسأله لسمع منه فأعجبه علمه فشكى إليه حبيبه على باب ، فقال له الحبر إذا كنا رأيك حين عدلت اليأس على هيبة السلطان فتخوفتك ، وإنما حسبتك على الباب لأن الله تعالى قال لموسى إذا تخوفت سلطاناً فتوضأ وأمر أهلك بالوضوء فإن من توضأ كان في أمان مما يتخوف فأخفقتنا دونك الباب حتى توضأنا وتوضأ جميع من في الدار وصلينا فأمنك بذلك ثم فتحنا لك الباب

باب الثالث والستون في فضل الطلوات

لما كانت الصلاة أفضل العبادات كررنا الحديث عليها اقتداء بكتاب الله العزيز . فمما ورد في فضلها ريادة على ما تقدم قوله ﷺ ما أعطى عبد عطاء خيراً من أن يؤد له في ركعتين يصليهما .

قال محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى - لو خبرت بين ركعتين وبين الجنة لا اختبرت الركعتين على أجرة لأن في الركعتين رضا لله تعالى ورضا الجنة رضائي ، ويقال أن الله تعالى لما خلق سبع سموات حشاها بالملائكة وتعيدهم بالصلاة لا يفترقون ساعة فجعل لكل أهل سماه ركع ، وأهل سماه قيام على أرجلهم إلى نعمة الصور ، وأهل سماه نوحاً من العبادة ، فأهل سماه سجد ، وأهل سماه مريحة الأجنة من هيبته تعالى ، وأهل عيسى وأهل العرش وقوف بطون

(١) (ضعيف) ابن ماجه (٥١٢) ، والترمذي (٥٩) ، وضعيف الجامع (٥٥٣٦)
(٢) (موضوع) (العوالم المجموعة) (١) ، وقال ابن المرقبي في «مفاتيح الإحياء» لم أتف عليه

القرآن ، والبائس الركوع لقوله عز وجل ﴿ وَارْكَعُوا ﴾ والحادى عشر السجود لقوله عز وجل ﴿ وَاسْجُدُوا ﴾ والثانى عشر القعود لقوله ﴿ وَإِذَا رَمَعِ الرَّجُلُ رَأْسَهُ مِنْ أَمْرِ الشَّجْدَةِ وَقَعْدَ قَدَرِ التَّشْهَدِ فَقَدْ قُتِلَ الصَّلَاةَ فَإِنَّهُ وَجَدَتْ هَذِهِ الْإِتِّسَاعَ عَشْرَةَ يَحْتَاجُ إِلَى خَلْتِهِ وَهُوَ الْإِخْلَاصُ لَتَمَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ .

وأما العلم فعلى ثلاثة أوجه ، أولها أن يعرف الفريضة من السنة ، والثانى أن يعرف ما فى الوضوء من العريضة والسنة أيضا فإن ذلك من تمام الصلاة ، والثالث أن يعرف كيد الشيطان فبأخذ فى محاربه بالجهد ، وأما الوضوء فتتمة فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تطهر قلبك من العمل والحسد والغش ، والثانى أن تطهر البدن من الذنوب ، والثالث أن تغسل الأعضاء غسلًا سابقا بغير إسراف فى الماء . وأما اللباس فتتمة بثلاثة أشياء ، أولها أن يكون أصله من الحلال ، والثانى أن يكون طاهرا من النجاسات ، والثالث أن يكون موافقا للسنة ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء . وأما حفظ الوقت ففي ثلاثة أشياء ، أولها يكون بصرك إلى الشمس والقمر والنجوم تتعاهد به حضور الوقت ، والثانى أن يكون سمعك مع الأذان ، والثالث أن يكون قلبك متفكرا متعاهدا للوقت ، وأما استقبال القبلة فتتمة فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تستقبل بوجهك ، والثانى أن تقبل على الله بقلبك ، والثالث أن تكون خاشعا ذليلا . وأما النية فتتمة فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تعلم أى صلاة تصلى ، والثانى أن تعلم أنك تقوم بين يدي الله تعالى وهو يراك فتقوم بالهيئة ، والثالث أن تعلم أنه يعلم ما فى قلبك فتضرب قلبك من أشغال الدنيا . وأما التكبير فتتمة فى ثلاثة أشياء ، أولها أن تكبر تكبيرا صحيحا جزعا ، والثانى أن ترفع يديك حذوا أدنيك ، والثالث أن يكون قلبك حاضرا فتكبر مع التعظيم . وأما تمام القيام ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تجعل بصرك فى موضع سجودك ، والثانى أن تجعل قلبك إلى الله ، والثالث أن لا تلتفت يمينا ولا شمالا . وأما تمام القراءة ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تقرأ فاتحة الكتاب قراءة صحيحة بالترتيب بغير حزن ، والثانى أن تقرأ بالتمكيز وتتعاهد معانيها ، والثالث أن تعمل بما تقرأ . وأما قدم الركوع ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تيسط طهرتك ولا تنكس ولا ترفع ، والثانى أن تضع يديك على ركبتيك وتفرج بين أصابعك ، والثالث أن تطمئن راکعا وتسبح التسبيحات مع التعظيم والوقر . وأما تمام السجود ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تضع يديك بحذاء أدنيك ، والثانى أن لا تيسط ذراعيك ، والثالث أن تطمئن فيه وتسبح مع التعظيم . وأما تمام الحنوس ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تمد على وجهك اليسرى وتنصب اليمين نصبا ، والثانى أن تشهد بالتعظيم وتدهو نفسك وللمؤمنين ، والثالث أن تسلم على التمام . وأما تمام السلام فإن يكون مع النية الصادقة من قلبك إن سلامك على من كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء ، وكذلك عن يسارك ولا تجاوز بصرك عن منكبيك . وأما تمام الإخلاص ففي ثلاثة أشياء ، أولها أن تطلب

حول العرش يسبحون بحمد ربهم ويستعفرون له فى الأرض ، مجتمع الله كله فى صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظ من عادة أهل كل سماء . ورواهم القرآن بتلويدها مطلق مهم شكرها ، وشكرها إقامتها بشرائطها وحدودها ، قال الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وقال ﴿ وَالْمُتَّقِينَ الصَّلَاةَ ﴾ وقال ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ . ولم يحد من الصلاة من موضح من التبريل إلا مع ذكر إقامتها فلما بلغ ذكر الماتقين قال : ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ الذين هم عن صلاتهم متفردون ، فسماهم المصلين وسمى المؤمنين المتقين الصلاة وذلك ليعلم أن المصلين كثير ، والمتقين للصلوات قليل ، فأهل الغفلة يعمدون الأعمال على الترويح ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم ترد .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : أن منكم من يصلى الصلاة فلا يكتب له من صلاته إلا ثلثها أو ربعها أو خمسها أو سدسها حتى ذكر عشرين حتى أنه لا يكتب من صلاته إلا ما عقل منها . وروى عن النبي ﷺ أنه قال من صلى ركعتين مقبلا على الله قبله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وإنما عظم شأن صلاة العبد بإقبال العبد على الله فإذا لم يقبل على صلاته ولها بحديث ففقد كأن بمنزلة من وقت إلى باب ملك معتذر من خطيئته وزنته ، فلما وصل إلى باب الملك قام بين يديه وأقبل عليه للملك فجعل الواقف يلتفت يمينا وشمالا فلم يقض الملك حاجته وإنما يقبل للملك عليه على قدر عنايته ، فكذلك الصلاة إذا دخل العبد فيها ولها عنها لا تقبل منه .

واعلم أن مثل الصلاة كمثل وليمة اتحدك ملك وهيا فيها ألوانا من الأطعمة والأشربة لكل لون لذة وفى كل لون منفعة ودعا الناس إليها ، فكذلك الصلاة دعاهم الرب إليها وهيا لهم فيها أفعالا مختلفة وأذكارا متنوعة فتعبد بهم بها ليلادهم بكل لون من العبودية فالأفعال كالأطعمة والأذكار كالأشربة .

وقد قيل أن فى الصلاة اثنتى عشرة ألف خصلة ، ثم يتعاهد هذه الإثنتى عشرة ألف فى اثنتى عشرة حصنة ، فمن أراد أن يصلى فلا بد أن يتعاهد هذه الإثنتى عشرة خصلة لتتم صلاته فستة قبل الدخول فى الصلاة وستة قبلها : أولها العلم لأن النبي ﷺ قال : عمل قليل من علم خير من عمل كثير فى جهل ، والثانى الوضوء لقوله ﷺ : لا صلاة إلا بطهروا ، والثالث اللباس لقوله تعالى ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ يعنى اليسر ثيابكم عند كل صلاة ، والرابع حفظ الوقت لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ يعنى فرضا موقفا ، والخامس استعمال القبلة لقوله عز وجل : ﴿ قُلْ وَجْهُكُم مَّشْرُقَ الْمَسْجِدِ الْمَحْرَمِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوهُ وَجْهَكُمْ شَهْرَهُ ﴾ يعنى نحوه ، والسادس البية لقوله ﷺ : إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما سئى وسبع التكبير لقوله ﷺ : تحريمها التكبير وتحليلها التسليم ، والثامن القيام لقوله عز وجل ﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ يعنى صلوا قائمين ، والتاسع الماتحة لقوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدُوا مَا تَهْتَدُونَ مِنْ

بصلواتك ورحمة الله تعالى ولا تطلب رخصا للناس، والناسي أن ترى التوفيق من الله تعالى، والثالث أن تجعلها حتى تذهب بها يوم القيامة لأن الله تعالى قال: ﴿من جاء بالحسنة﴾ (١) ولم يقل من عمل بالحسنة.

الباب الرابع والسبعون

في بيان أهوال القيامة

روى أن عائشة - رضي الله عنها - قالت: يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال أما عند ثلاث مواضع فلا عند الميزان حتى يعلم إما أن يخف وإما أن يشقل، وعند تطاير الصحف إما أن يعطى كتابه يمينته وإما أن يعطاه شماله وحين يخرج عتق من النار فينطوى عليهم، ويقول وكلت بثلاثة: وكلت بين دعا مع الله إلهها أعز ويكل جبار عنيد ويكل من لا يؤمن بيوم الحساب فينطوى عليهم الصراط عليه كلاليب وحسك والناس يمرون عليه كالبرق الجياط وكالريح العاصف... الحديث.

ومن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسماعيل فهو واضع على فيه شاخصا بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال: قلت يا رسول الله وما الصور؟ قال قرن من نور، قلت يا رسول الله كيف هو، قال عظيم الدرة والذي يعنى بالحق نبيا لعظم دارته كمرض السماء والأرض يتضح فيه ثلاث نفحات: نفخة للفرج، ونفخة للصبغ، ونفخة للبعث فتخرج الأرواح كأنها السهل قد ملأت ما بين السماء والأرض فتدخل في الأجساد من الحياشيم. ثم قال النبي ﷺ: أنا أول من تنشق عنه الأرض، وفي غير آخر إذا أحيا الله تعالى جبريل وميكائيل وإسراييل فينزلون إلى قبر النبي ﷺ ومعهم البراق وحلل من الجنة فتششق عنه الأرض فينظر النبي ﷺ إلى جبريل فيقول يا جبريل ما هذا اليوم فيقول له هذا يوم القيامة هذا يوم الحاقة هذا يوم القارعة: فيقول يا جبريل ما فعل الله بأمتي فيقول له جبريل أبشر فلانك أول من تنشق عنه الأرض - وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال إن الله تعالى يقول يا معشر الخس والإسرى نصحت لكم فرما هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيرا فليحمد الله تعالى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وذكر عن يحيى بن معاذ الرازي أنه فرى في مجلسه: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ (٢) أي ركبانا ﴿وسوف المجرمين إلى جهنم وزفا﴾ (٣) معنى مشاة عظاما فقال أيها

(١) آية (٨٥) سورة مريم

(٢) آية (٨٤) سورة القصص
(٣) آية (٨٦) سورة القصص

الناس مهلا مهلا هذا تحشرون إلى الموقف حشرا وتأثرون من الأطراف فوجا فوجا، وتقنون بين يدي الله فردا، وتسألون عما فعلتم حرفا حرفا، وتقاد الأرواح إلى الرحمن وفدا وفدا، ويرد العاصون إلى عذاب الله وردا وردا، ويدخلون جهنم حزيا حزيا: إخواني أما لكم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون يوم الزنجفة يوم الألفة يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم الحسرة والندامة يوم المناقشة يوم المحاسبة يوم المساعة يوم الصبيحة يوم الحاقة يوم القارعة يوم الشور يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يوم التعان يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء العذاب. وقا ل مقاتل بن سليمان تقب الخلائق يوم القيامة مائة سنة لا يتكلمون، ومائة سنة في الظلمة متحبرون ومائة سنة يموج بعضهم في بعض عند ربهم يختصمون، وأن يوم القيامة على طوله خمسين ألف سنة مما تعدون ليمضي على المؤمن المخلص كأخف صلاة مكتوبة. وقال ﷺ: لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة أشياء، عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن علمه فيما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه. وروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: لم يكن نبي قط إلا كانت له دعوة مستجابة فجعلها في الدنيا وإنى خبات دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة: اللهم شفعه فينا بجاهه عندك - صلى الله عليه - وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الخامس والسبعون

في صفة جهنم والميزان

لا بأس بذكر ذلك وإن تعلم التنبيه على بعض تكميها للفائدة لعل تتكرر المواظفة توقظ القلوب الغافلة لا سيما وقد عظم الله سبحانه وتعالى هو جهنم وأحوال القيامة في كتابه في غير موضع مما يقع في قلوب العقالين أعظم موقع تنبيهها على أن ما سوى ذلك هين والآخرة خير وأبقى، أما صفة جهنم أعاد الله منها مجته وكرمه فقد روى في الحديث أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهيب، لها سبعة أبواب على كل باب سبعون ألف جبل، في كل جبل سبعون ألف شعبة من نار، وفي كل شعبة سبعون ألف شق من نار، وفي كل شق سبعون ألف واد من نار، وفي كل واد سبعون ألف قصر من نار، وفي كل قصر سبعون ألف بيت من نار، وفي كل بيت سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب، لكل عقرب سبعون ألف ذئب، لكن ذئب سبعون ألف نقار، في كل نقار سبعون ألف قلة من سم فإذا كان يوم القيامة كشف عنهم العطاء مطير منها سراقق من يمين الثقلين وسراقق من يسارهم وسراقق من فوقهم وآخر من وراءهم فإذا نظر ثقلان إلى ذلك جثوا على الركب وصاروا ينادون كلهم رب سلم.

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : في عظم غرفة جهنم المشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ غلاظ شديد ﴾ كل ملك ما بين ستة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب ناقص الذي في يده جبلا لصار دكي فيدمع بكل ضربة سبعين ألفا في قعر جهنم . وأما قوله تعالى ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ فالحديث بهم رؤساء البرباتية وإلا فملاتكة النار لا يعلم عددهم إلا الله تعالى : ﴿ وما يقم جود ذلك إلا هو ﴾ .

ومثل ابن عباس - رضي الله عنهما - عن سعة جهنم فقال والله ما أدري ما سمعتها ولكن بلغنا أن بين شحمة أفن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفاً يعني سبعين سنة وأنها تجري فيها أودية اللقيح والدم . وفي حديث الترمذي أن كثافة كبر سرادق من سرادقات النار أي كثافة جنداره مسيرة أربعين سنة . وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال إن باركم هذه جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال إنها فضلت عليها تسعة . وسين جزأ كلها مثل حرها . وقال ﷺ لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا لا احترقت الدنيا من حرها ، ولو أن خازنا من خزنة جهنم أخرج إلى أهل الدنيا حتى يصروه مات أهل الدنيا حين يصروه من غضب الله تعالى الذي عليه .

وروى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ كان جالسا مع أصحابه إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ : أتدرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم : قال هذا حجر رمي به في نار جهنم منذ سبعين خريفاً فهو يهوى في النار الآن حين انتهى إلى قعرها . والوجبة هي المائدة وهي صوت وقع الشيء الثقيل .

وكان عمر بن الخطاب يقول أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وقعرها بعيد وأن مقامها من حديد . وكان ابن عباس يقول إن النار تلتقط أهلها كما يلتقط الطائر الحبيب ، ومثل - رضي الله عنه - عن قوله تعالى ﴿ إذا أنتم من مكان بعيد سمعوا لها تغيهاً وظهراً ﴾ فهل للنار عيان ؟ فقال نعم أما سمعتم قوله ﷺ : من كذب على متعمداً فليتبوأ جزاءه جهنم مقعداً ، قيل يا رسول الله ولها عيائن ، أما سمعتم قوله تعالى : ﴿ إذا أنتم من مكان بعيد ﴾ . . الحديث . وروى حديث يخرج عنق من النار له عيائن يصهران لساناً يتلق به ، فيقول في وكلت اليوم بمن جعل مع الله الها آخر فهو أبصر بهم من الخير بحب السمسم حلتقطهم .

وأما صفة الميزان فقد ورد في الحديث أن كفة الحسنات من نوع وكفة السيئات من ظلام . وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : إن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يساره وكمة الحسنات عن يمينه وكمة السيئات عن يساره فتكون الجنة مقابلة للحسنات والنار مقابلة السيئات

وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول نور الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان وكان يقول إذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساماً تيزمها يوم القيامة .

الباب السادس والستون

في بيان ظم الكبر والعجب

اعلم أرشدني الله وإياك خير الدنيا والآخرة أن الكبر ولا عجب يسلبان المضائل ويكسبان الرذائل ، وحسبك من رذيلة تمنع سماع النصيح وتبطل التأديب ولذلك قالوا العلم يضيح بين الحياء والكبر العلم حرب للمعالي كما أن السيل حرب للبناء العلي . قال ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر . قال ﷺ : من جرت به غيلاه لا ينظر الله إليه . وقال الحكماء لا يدوم الملك مع المتكبر وقد قرن الله سبحانه وتعالى الكبر بالفساد ، فقال تعالى : ﴿ تلك النكارة الآخرة نجعلها للذين لا يؤمنون علواً في الأرض ولا فساداً ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ ما صرف عن أهالي الملوك يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ (٢) قال بعض الحكماء ما رأيت متكبراً إلا تحول ما به من بعض تكبر عليه .

قال الجاحظ المشهورون بالكبر من قرين بن مقرم ، وبنو أمية ، ومن العرب بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زواوة بن عدي ، وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس إلا عبيداً وتقتسمهم إلا أرباب . وقيل لرجل من بني عبد الدار ألا تأتي الخليفة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شومي وقيل للحجاج بن أوطاة مالك لا تحضر الجماعة ؟ قال أخشى أن يراحمني البقالون . وقيل أتى وائل بن حجر إلى النبي ﷺ فأقطعته أرضاً . وقال لصاوية اعرض هذه الأرض عليه واكتبها له فخرج معاوية إلى هاجرة سليمة ومشي خلف مائة فأحرقته الشمس ، فقال له أردني خلفك على ناقك . قال لست من أرافد الملوك قال فأعطى عليك قال ما يتحل يسمي بها ابن أبي سفيان ولكن أكره أن يبلغ أقبال اليمس أنك لست بعلي ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك بها شرف . وقيل أنه لحق زمن معاوية ودخل عليه فأقعدته معه على السرير وحذته . وقال المسور بن هند لرجل أتمرني ؟ قال لا قال أنا المسور بن هند قال ما أحرفك قال فقسا لمن لا يعرف القمر .

وفي مثله يقول الشاعر :

قولا لأحمق يلوي التوبة أخذه • لو كنت تعلم ما في التوبة لم تتبه

(١) آية (٨٣) سورة القصص

(٢) آية (١٤٦) سورة الأعراف

اللبه معصده لدين منقصة ••• للعمل مهلكة للعرض فاشبه

يوقب لا يكبر إلا كل وصيغ ولا يتواضع إلا كل ربيع وقال ﷺ « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى مع وإعجاب المرء بنفسه » (١) . وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : أن مو حله ﷺ لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال إني أمركما بأثنين وأنهاكما عن اثنين أنهاكما عن للشرك والكبر ، وأمركما بلا إله إلا الله فإن السموات والأرض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت لا إله إلا الله أرجح منهما ، ولو أن السموات والأرض كانتا في حلقه موصعت لا إله إلا الله عليهما لقصصتهما ، وأمركما بسبعان الله وبمحمد فأنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء . وقال عيسى عليه السلام - طوبى لمن علمه الله كتابه ولم يست جبارا . وعن عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - أنه مر من السوق وعليه حزمة من حطب فقبل له ما يحملك على هذا وقد أعفك الله عن هذا ، قال أردت أن أدفع الكبر عن نفسي . وفي تفسير القرطبي في قوله تبارك وتعالى « ولا يضربن بأرجلهن » (٢) « إن فعلته تيرجا وتعرضا للرجال حرم وكلنا من ضربت بعله من قريجال صعبا حرم لأن الصعب كبير » .

الباب السابع واستن

فصل الأحسان إلى اليتيم واجتناب الظلم

أخرج البخاري : أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذين وأشهر بأصبعه السبابة والوسطى وفرج بينهما ، ومسلم : كافل اليتيم له أو لغيره أن وهو كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى والبرار . من كفل يتيما له ذو قرابة أو لا قرابة له فأنا وهو في الجنة كهاتين وضرم بأصبعيه . ومن سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة وكان له كأجر مجاهد في سبيل الله صالما قائما . وابن ماجه من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليلة وصام بهاره وغدا أو راح شهره سيمه في سبيل الله أنا وهو في الجنة أخوين ، كما أن هاتين أخوتك والصل بأصبعيه السبابة والوسطى . والترمذي وصححه : من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة أئنه إلا أن يعمل ذنبا لا يعمر له . وفي رواية سندها حسن حتى يستمى عنه وبيت له الجنة أئنه . وابن ماجه خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحس إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت يتيم يساء إليه . وأبو يعلى سجد حس أنا أول من يعشع باب الحة إلا أنى أرى امرأة تاترني . مأثور منك ومن أنت تقرن أنا امرأة قعدت على أيسام لى . والطبرسي سند رواته ثقات إلا واحدا ، ومع ذلك ليس

(١) (صحيح) الحلية ٢ / ٣٤٣ ، وكشف الخفاء ١ / ٣٨٦

(٢) آية (٣١) سورة النور

بالشرك : والذي يمشى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم لأن له في الكلام ورحم يتيم وصمعه ولم يخطأول على جاره بفضل ما آناه الله . وأحمد وغيره من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا الله كاتيه له في كل شعره مرت عليها يد حسنة ، ومن أحسن إلى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين . الحديث . وأخرج جماعة وصححه الحاكم أن الله تعالى قال ليحقوق أن سبب ذهاب بصره وقصته أنه ظهره وفعل أخوه يوسف به ما فعلوا أنه آناه يتيم مسكين صائم جائع وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ثم أعلمه الله تعالى بأنه لم يصحب شيئا من خلقه حب لليتامى والمساكين ، وأمره أن يصنع طعاما ويدهو المساكين لفعل . والشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله تعالى وأحبه قال وكالفاتم لا يفتر وكانصائم لا يعطر » (١) . وابن ماجه . السهي على الأرملة والمسكين كالمجاهد سبيل الله وكالذي يقوم الليل ويصوم النهار .

قال بعض السلف كنت في بده أمرى مكبرا مكبرا على المعاصي فرأيت يوما يتيما فأكرمه كما يكرم الولد بل أكثر ثم تمت فرأيت الرابانية أخذوني أخلا مزعجا إلى جهنم وإذا باليتيم قد احترقني فقال : دهوه حتى أراجع ربي فيه فأبوا . فإذا التئاء . خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه بإحسانه إليه ، فاستيقظت وبألفت في أكرام اليتامى من يومئذ . وكان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فماتت واشتد بهن الفقر لى أن رحلن عن وطنهن خوف الشماتة فدخلن مسجد بلد مجهورا فتركهن أمهن فيه وخرجت تحتال نهى في القوت فمر بكبير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدقها ، وقال لابد أن تقيى عندي البينة بذلك فقالت أنا غريبة فأعرض عنها ، ثم مرت بمجوسى فشرحت له ذلك فصدق وأرسل بعض نسائه فأتته بها وبيتاتها إلى داره فبالغ لى أكرامهن ، فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم اللطيمة قد قامت والنبي ﷺ معفودا على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم فقال ﷺ أقم عندي البينة بذلك فتحير فقص له ﷺ خبر العلوية فأتته الرجل في غاية الحزن والكآبة إذ ردها ثم بالغ في الفحص عنها حتى دل عليها بدار للجوسى فطلبها منه فأبى ، وقال قد لحقتي من بركاتهن ، فقال جد ألف دينار وسلمهن إلى فأبى : فأراد أن يكرهه ، فقال الذى ترهه أنا أحق به والقصر الذى رأته في النوم خلق لى أتضخر على بسلامك فوالله ما تمت أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ورأيت مثل منامك ، وقال لى رسول الله ﷺ : العلوية وبناتها عنك قلت نعم يا رسول الله فقال القصر لك ولأهل دارك ، فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

•••

(١) (صحيح) البخاري (٥٣٥٣) ، ومسلم (٢٩٨٢)

الباب الثامن والستون

فصل تحريم أكل الحرام

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ (١) الآية .
 واختصوا في المراد به ، فقيل الربا والتمار والنصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال
 باليمين الكاذبة . وقال ابن عباس هو ما يؤخذ من الإنسان بغير حق . وعليه قيل لما برئت الآية
 فخرجوا من أن يكلوا عند أحد شيئا حتى برئت آية النور : ﴿ وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُرْتَكُمْ أَوْ
 بُرْتِ آبَائِكُمْ ﴾ . . . إلى آخرها وقيل هو العقود الفاسدة والوجه قول ابن مسعود أنها محكمة ما
 سحت ولا تنسخ إلى يوم القيامة انتهى . وذلك لأن الأكل بالباطل يشمل كل ما غرر بغير حق
 سواء كان على جهة الظلم كالغصب والخيانة والسرقة أو الهزؤ واللعب كاللأغوة بالقمار
 والملاهي ، وسبب ذلك كله أو على وجه المكر والخديعة كالأغوة بفاسد ويهد ما ذكرته
 قول بعضهم الآية تشمل كل الإنسان حتى مال نفسه بالباطل بأن ينقعه في محرم ، ومال غيره به
 كالأمثلة المذكورة وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ﴾ استثناء منقطع لأن التجارة ليس من جنس
 الباطل بأي معنى أريد به وتأويله بالسبب ليكون متصلا ليس في محله ، والتجارة وأن اختصت
 بعقود المعاوضات إلا أن نحو القرض والهبة ملحق بأدلة أخرى وقوله تعالى : ﴿ عَنْ تَرَاحُيْنِكُمْ ﴾
 أي طيب نفس على الوجه المشروع وتخصيص الأكل فيها بالذكر ليس للتقليد به بل لكونه أغلب
 وجوه الانتفاعات على حد ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ وأدلة
 هذا المبحث والتعليقات الواردة فيه من السنة كثيرة فلنقتصر على بعضها .

أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ أَلِهَ
 طَبِيبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ثم ذكر
 الرجل يطيل السفر أشعث أقرص يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام
 ومشربه حرام وملسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك : والطبراني بإسناد حسن طلب
 الحلال واجب على كل مسلم والطبراني والبيهقي ، طلب الحلال فريضة بعد الفراغ والترمدى
 وفان حسن صحيح عريب وإسناد حسن صحيحه من أكل حلييا وعمل في سنة وأمس الدس برأقه دخل
 الجنة قالوا يا رسول الله إن هذا في أمثك اليوم كثير ، قال وسيكون في قرون بعدى وأحمد
 وغيره بإسناد حسن أربع إذا كن بك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أسامة ، وصديق
 حديثه ، وحسن خلق ، وعفة في طعمة . والطبراني : طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريره

(١) آية (٢٩) سورة الباء.

وكرمت علاقته وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك
 الفضل من قوله ، والطبراني بإسناد أطيب مطمئن تكن مستجاب الدعوة ، والذي حس محمد
 بيده أن العبد ليقدف لقمه الحرام في جوفه ما يقبل منه عمل أربعين يوما ، وأبما عبت لقمه
 من سحت فالتار أولى به . واليزار وفيه تكلوة أنه لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة ولا زكاة أنه
 من أصاب مالا من حرام فليس جليبا يعني لم يقبل صلاته حتى ينهي ذلك الجلباب عنه ،
 أن الله تبارك وتعالى أكرم وأجل من أن يقبل حمل رجل أو صلاته وعليه جلباب من حرام .
 وأحمد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم من حرام
 لم يقبل الله عز وجل له صلاة مادام عليه ، ثم أدخل أصبعيه في أذنيه ثم قال صمتا إن لم يكن
 النبي ﷺ سمعته يقول : واليهي : من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد اشترك في عارها
 وانها .

قال الحافظ المتلوي في استلذه احتمال للتصحيح ويشبه أن يكون وقفا ، وأحمد بسند جيد :
 والذي عسى بيده لأن يأخذ أحدكم حيلة فيلجأ به إلى الجبل فيحتطب ثم يأتي فيحمله على
 ظهره فيأكل غير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه ، وإبنا عزيمة وابن حبان في
 صحيحيهما والحاكم : من جمع مالا حراما ثم تصدق به لم يكن فيه أجر وكان أسره عليه ،
 والطبراني : من كسب مالا حراما فاهتق منه ووصل منه رحمه كان ذلك إصرا عليه ، وأحمد
 وغيره بسند حسن بعضهم أن الله قسم بينكم أغلاتكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي
 الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن يحب من أعطاه الله الدين فقد أحبه
 والذي نفسى بيده لا مسلم أولا مسلم عبد حتى سم أو مسلم قلبه ولما ولا يؤمن حتى يأمن جلوه
 بوائقه ، قالوا وما بوائقه يا رسول الله ، قال غشه وظلمه . ولا يكسب عبد مالا من حرام
 فيتصدق منه ولا يفتق منه فيبارك له فيه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . إن الله تعالى
 لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث . والترمذي
 وفان حسن صحيح غريب مثل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار ، قال الغم والعرج . وسئل عن
 أكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوى الله وحسن خلق . والترمذي وصححه : ما تزول قلعما عبد
 يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفاء ، وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل
 فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه أو كما قال

والبيهقي : الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالا من حله وأنفق حقه أثابه الله عليه
 وأورده جنته ، ومن اكتسب فيها مالا من غير حله وأنفق في غير حقه أورده الله دار الهوان ،
 ورب متخوف في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة .

يقول الله تعالى : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ رَدَّتْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ وابن حبان في صحيحه لا يدخل الجنة لحم

روى عن من سعت إلا كانت النار أولى به ، والسعت بضم مسكون أو ضم الحرام وقيل الخبيث من المكاسب وفي رواية بسند حسن : لا يدخل جسد غذي بحرام .

الباب لتاسع والستون

في النهي عن الربا

الآيات في النهي عن الربا كثيرة ومن الأحاديث ما رواه البخاري وأبو داود ١٠٠٠ عن رسول الله ﷺ الراشدة والمستوشمة وأكل الربا وموكله ٢) والحاكم وصححه : ٣ أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم عيماها ، ممن الخمر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لو الله ٢) . والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . الربا ثلاثة وسبعون بابا أسرها مثل أن يكبح الرجل أمه . واليزلر بسند رواه الصحيح ، الربا يضح وسبعون بابا والشرك مثل ذلك ، واليهي الربا سبعون بابا أفتاها مثل الذي يقع على أمه ، والطيراني في الكبير عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ثلاث وثلاثين زنية يرنسها في الإسلام وفي سننه انقطاع ، وروى ابن أبي الدنيا والبخاري وغيرهما موقوفا على عبد الله وهو الصحيح وهذا موقوف في حكم المرفوع لأن كون الدرهم أعظم وررا من هذا العدد المخصوص من الرنا لا يدرك إلا بوحى فكانه سمعه منه ﷺ ، ولفظ الموقوف في أحد طرقه . قال عبد الله : الربا اثنان وسبعون حوبا أي بضم المهملة ويفتحها إنما أصعها حوبا كمن أتى أمه في الإسلام ، ودرهم من الربا أشد من بضع وثلاثين زنية ، قال ويأذن الله للمير والفاجر بالقيام يوم القيامة إلا أكل الربا فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس

وأحمد بسند صحيح والطيراني أنه ﷺ قال : درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية ٣) ، وابن أبي الدنيا واليهي خطبا رسول الله ﷺ فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقد أن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يرميها رجل . والطيراني في الصغير والأوسط من أهان ظلما يباطل ليلحق به حقا فقد يرى من ذمة - وذمة رسوله ﷺ ومن أكل دوحما من ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ومن ثبت لحمه من سعت فالنار أولى به . وابن ماجة واليهي عن أبي معشر وقد وثق عن أبي سعيد الخدري عن أبي

١ - صحيح البخاري (٥٩٣٩ و ٥٩٤٧) ، وأبو داود (٣٣٣٣)

٢ - ضعيف جدا (الحاكم ٣٧ / ٢ ، وضعيف الجامع (٧٤٨)

٣ - ضعيف (أحمد ٢٢٥ / ٥ ، وضعيف الجامع (٢٩٧٠)

هريرة قال : قال رسول الله ﷺ الربا سبعون حوبا أسرها إن ينكح الرجل أمه . والحاكم وصححه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال بهي رسول الله ﷺ أن تشتري الثمرة حتى تعظم وتقل إذا ظهر الرنا الربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم هذب الله . وأحمد بإسناد فيه نظر : ما من قوم يظهر بينهم الربا إلا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرحب والسنة العام المقسط من فيه عت أم لا . وأحمد في حديث حويل وابن ماجة مختصرا والأصبهاني رأيت ليلة أسرى بي لما انتهينا إلى السماء السابعة فنظرت فإذا أنا برعد ويزوق وكواصف قال فأنيث على قوم بطونهم كانيوت فيها الحيات ترى من حارج بطونهم فت با جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء أكلة الربا والأصبهاني عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : ما حرج بي إلى السماء نظرت في سمها الدنيا فإذا رجال بطونهم كأمثال البيوت المعظام قد ماتت بطونهم وهم منصفين على سبيلة آل فرعون موقوفون على النار كل خلة وعشى يقولون رينا لا تقم الساعة أبدا قلت يا جبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء أكلة الربا من أمثك لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، قال الأصبهاني قوله منصفون أي مطروحون أي طرح بعضهم على بعض والسبيلة المارة أي يطوهم آل فرعون الذين يعرضون على النار كل خلة وعشى ، والطيراني بسند صحيح بين يدي الساعة يظهر الزنا والربا والخمر . والطيراني بسند لأبأس به عن القاسم بن عبد الله الوراق قال رأيت عبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنه - فيسوق الصيافة فقل يا معشر الصيافة أبشروا قالوا بشرك الله بالجحيم يشربا يا أبا محمد قال : قال رسول الله ﷺ للصيافة أبشروا بالنار . والطيراني إياك والذنوب التي لا تغفر الغلول فمن غل شيئا أتى به يوم القيامة وأكل الربا فمس أكل الربا يمت يوم القيامة مجنوننا يتحط ثم قرأ ﷻ : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقوموا إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ (١) الأصبهاني يأتي أكل الربا يوم القيامة محلا مجنون يجر شقيقه ، ثم قرأ ﴿ لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ وابن ماجة والحاكم وصححه : ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة ٢) . والحاكم وصححه أيضا الربا وإن كثر فإن عاقبته إلى قل وأبو داود وابن ماجة كلاهما عن الحسن بن أبي هريرة واختلف في سماه والجهمور على عدمه ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد الا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غيره ، وعبد الله بن أحمد في زوائد المستد : والذي نفسي بيده ليبقى أناس من أمتي على أشرف ويطر ولهو ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم مختصرا واليهي وللفظ له بيت قوم من هذه الألة عني طعم وشرب ولهو ولعب فيصبحون نذ مسحوا بردة وخنازير ولصبيهم خسف ولفظ حتى يصبح الناس فيقولون خسف الليلة بيني فلان وخسف الليلة بدار فلان وترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل

(١) آية (٢٧٥) سورة البقرة

(٢) صحيح (المن ماجة (٢٢٧٩) ، والحاكم ٣١٨ / ٤

منها وعلى دور بشرهم الحسنة وليسهم الحسنة واتخاذهم القينات وكنهم الريا وتطبعهم الرحم . وخصلة نسيها روليه . القينات جمع قينة وهي المغنية .

الباب السابعون

في حقوق العبد

من أن تسلم عليه إذا لقيت ، ونحيبه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس ، ونعوذه إذا مرض ، وتشهد جنازته إذا مات ، وتبركسه إذا أقم عليك ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك ، ورد جميع ذلك في أخبار وأثار .

وقد روى أنس - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال أربع من حق المسلمين عليك : أن تعين محتسبهم ، وأن تستغفر للمتهم ، وأن تدبر للمدبرهم وأن تحب قائليهم ، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - في معنى قوله تعالى ﴿ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) قال يدعو صالحهم طالحهم وطالحك لصالحهم فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال اللهم بارك ليما قسمت له من الخير وثبت عليه وانصت به ، وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال اللهم اهد وتب عليه واغفر له عثرته ومنها أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه .

قال الثعمان بن بشير سمعت رسول الله ﷺ يقول مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداهى سائر أعضاه بالخمى والسهر .

وروى أبو موسى عن عه ﷺ أنه قال . المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ومنها أن لا يؤدي أحدا من المسلمين بفعل ولا قول . قال ﷺ . المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (٢) وقال ﷺ في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل فإن لم تقف فذم الناس من الشر فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك ، وقال أيضا أفضل المسلمين من سلم للمسلم من لسانه ويده ، وقال ﷺ أتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله أعلم ، قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، قالوا فمن المؤمن قال من آمن المؤمنون على أنفسهم وأموالهم ، قالوا فمن المهاجر ، قال من هجر السوء واجتبه . وقال رجل يا رسول الله ما الإسلام قال أن يسلم عليك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك . وكان مجاهد يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى ينفو عظم أحدهم من جلده

(١) آية (٢٩) سورة النحل

(٢) (صحيح البخاري) (٦٤٨٤)

قيناى يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول نعم فيقول هذا بما كنت تؤذى المؤمنين ، وقال ﷺ : لقد رأيت رجلا يغيب من الحنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين ، وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - يا رسول الله علمنى شيئا أنفع به ، قال اهزل الأذى عن طريق المسلمين وقال ﷺ : من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب الله له حسنة أوجب له الجنة . وقال ﷺ لا يحمل مسلم أن يشير إلى أخيه بظرة تؤذيه ، وقال ﷺ : لا يحمل مسلم أن يروع مسلما (١) . وقال ﷺ إن الله يكره أذى المؤمنين . وقال الربيع ابن خيثم الناس رجلان مؤمن فلا تؤذيه وجاهل فلا تجهله ، ومنها أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله لا يحب كل محتال فخور . وقال رسول الله ﷺ . إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ثم إن تفاخر عليه غيره فليتحمل قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ خذ انصروا وأمر بالتقرب وأعز عن الضاهلين ﴾ (٢) .

وعن ابن أبي أوفى كان رسول الله ﷺ يتواضع لكل مسلم ، ولا يأنف ، ولا يتكبر أن يش مع الأرملة والمسكين فيقضى حاجته ، ومنها أن لا يسمع بلامات الناس بعضهم على بعض ، ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض . وقال ﷺ لا يدخل الجنة فئات . وقال الحليل بن أحمد من غم لك ثم عليك ، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك ، ومنها أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه .

قال أبو أيوب الأنصاري قال رسول الله ﷺ . لا يحمل مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وغيرهما الذي ينابا بسلام ، وقد قال ﷺ من أقال مسلما عثرته أقاله الله يوم القيامة ، وقال عكرمة قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب بمفوك من أخوتك وطمعت ذكرك في الدارين ، قالت عائشة - رضي الله عنها - ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله . وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - ما عا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا ، وقال ﷺ ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله رجلا بمعفو إلا عزاء ، وما من أحد تواضع لله إلا رفعه الله .

الباب الواحد والسبعون

في ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد

قال الله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأحلله الله على علم ﴾ (٣) الآية . قال ابن عباس ذلك لكافر اتخذ دية يعير هدى من الله ولا يرهان والسمي هو مطواع لهوى النفس يشع ما تدعوه

(١) (صحيح) أبو داود (٥٠٠٤) . وصحيح الجامع (٧٦٥٨)

(٢) آية (١٩٩) سورة الأعراف . (٣) آية (٢٣) سورة البقرة

إليه ولا يعمل بكتب الله فكأنه يعد هواه وقال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١) وقال تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢) ولذلك استعاهد الله به بقوله اللهم إني أعوذ بك من هوى مطاع وشع متبع ، وقال : ثلاث مهلكات هوى مطاع وشع متبع وإعجاب المرء بنفسه (٣) وذلك لأن كل معصية سببها هوى النفس فهو يعود إلى آثار أعادها الله منه . قال بعض الماعزين إذا بدهك أمران لا تدري من أيهما الصواب فانظر ليهما أقرب إلى هواك فخالعه ، ومن هذا المعنى قال الشافعي - رضي الله عنه - :

إذا حال أمرك في معنيين ••• ولم تدوحب الخطأ والصواب

فخالف هواك فإن الهوى ••• يقود النفوس إلى ما يصاب

وقال العباس إذا اشتد عليك رأيان فدع أحبيهما إليك وخذ أثقلهما عليك ، وأصله أن الأمر الخفيف يسهل عليك موقعه ويقرب موضعه وتخف مؤنته وتلبي معونته يشرك المرء اليه وتغمر من النفس عليه ، والأمر الثقيل يصعب موقعه ويبعد موضعه وتبطي معونته فتكسل النفس به وتكره التعب به .

روى عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال أقدموا هذه الأنفس فإني طليعة تنزع إليكم إلى شر غاية ، إن هذا الحق ثقیل مری . وإن الباطل خفيف ويرى وترك الخطيئة أيسر من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة وثلاثة ساعة أودت حزنا طويلا . وقال لقمان لأنه أول ما أحذرك من نفسك فإن نفس هوى وشهوة فإن أعطيتها شهواتها غادت وطلبت سواها ، فإن الشهوة كامة في القلب كمن النار في الحجر إن قدح أورى وإن ترك تولد .

قال بعضهم :

إذا ما أجببت النفس في كل دعوة ••• دعيت إلى الأمر القبيح للحرم

وقال آخر :

إذا أتت لم تمص الهوى قاطك الهوى ••• إلى كل ما فيه عليك مقال

وقال غيره :

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى ••• طرق الرشاد إذا اتبعت هواك

(١) آية (٤٨) سورة المائدة

(٢) آية (٢٦) سورة ص .

(٣) سبق تحريجه .

وقال :

إذا شئت أتيتان الحمامد كلها ••• ونيل التنى ترجوه من رحمة الرب

فخالف هوى النفس الميثة إنه ••• لأعدى وأردى من هوى الحب

هما سببا حثف الهوى غير أن في ••• هوى الحب مهما عثب بعد عن الذنب

وجل المعاصي في هوى النفس فاعتمد ••• خلاف الذي تهواه إن كنت قائل

وقال

إنارة العقل مكسوف بطرق هوى ••• وحقل حاصي الهوى يزهد تنويرا

وقال الفضل بن العباس :

لقد ترفع الأيام من كان جاهلا ••• ويردى الهوى ذا الرأي وهو لبيب

وقد محمد الناس الفنى وهو مخطئ ••• ويعلم في الإحسان وهو مصيب

وقال الله : خلق الله العقل وقال له أثبت فأقبل وقال له أدير فأدير فقال وعزتي وجلالي لا ركبك إلا في أحب الخلق إلى ، وخلق الحق فقال له أقبل فأقبل وقال له أدير فأدير فقال وعزتي وجلالي لا ركبك إلا في أبغض الخلق إلى . . . ورواه الترمذي .

ولله در من قال :

وقد أصاب رأيه عين الصواب ••• من استشار عقله في كل باب

وقد رأى أن الهوى مهما يوجب ••• يدعو إلى سوء المواقب والعقاب

وأشد آخر :

إذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى ••• فلا تمعد النفس المطيعة للهوى

وخالف بها من مقتضى شهواتها ••• وإياك أن تحفل بمن قبل أو غوى

ودعها وما تدعو إليه فإنها ••• لأمر بالمسوء من هم أو مدى

لعلمك أن تنجو من النار إنها ••• لقاطعة الأمعاء نزاعة الشوى

ومأثورهم الهوى مركب ذميم يسير بك في ظلمات الفتن ومرتع ولحيم يقيمك في مواطن المحن فلا يحدث شهوة النفس عن ركوب لذات والقعود في مواطن الخطيئة ، قيل لبعضهم لو تزوجت قال لو قدرت أن أطلق نفسي لطفتها وأشد .

تجرد من الدنيا فباتك إنما •• سقطت إلى الدنيا وأنت مجرد

لنفسك يوم والأخرة بقطة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أوضاع أحلام من نظر بعين
هوى حار ومن حكم على الهوى جاز ومن أطال النظر لم يدرك الغاية وليس لناظر نهاية .

وقال رحمه الله : خير دينكم الورع وقال سيد العمل الورع وقال كن ورعاً تكن أعيدي الناس وكن
مع نكر أشكر الناس ، وقال رحمه الله : من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا غلب لم يعبأ
به شيء من علمه (١) . قال إبراهيم بن أدهم الزهد ثلاثة مقامات فزهد فرض وهو الكف عن
محرم ، وزهد سلامة وهو ترك الشهوات ، وزهد فضل وهو الزهد في الجليل ، وهذا تفسير
حسن . قال ابن المبارك الزهد إخفاء الزهد إذا حرب الزاهد من الناس فاطلبه وإذا طلب الناس
فاهرب منه .

وما أحسن قول القائل :

أتى وجددت فلا تظن غيري •• إن التورج عند هذا الدرهم
فلذا قدرت عليه ثم تركته •• فاعلم بأن تلك تقوى المسلم
وليس الزاهد من زهد في الدنيا وقد أصرحت عنه وإنما الزاهد من أقبلت عليه
فردى عنها وجهه وأثر الفلر منها كما قال أبو ناس .

إذا لم يزد زهد وقد صبغت له •• بمصفرها الدنيا فليس بزاهد
وقال بعض الحكماء :

تباً لطلب دنيا لا يلبس لها •• كأنما هي في تصرفها حلم
صفواها كندر ساراها فسرو •• استأها غرور أبوارها ظلم
نسيابها هرم راحتها سقم •• لذاتها ندم وجدانها حلم
لا يستفيد من الأتكاذ صاحبها •• لو كان يملك ما قد غممت لوم
مخل عنها ولا ترك لزهرتها •• فإنها نعم في طيها نغم
واعمل لدار نعيم لا تضاد لها •• ولا يخاف بها موت ولا هرم

ومن حكم يحيى بن معاذ ليكن نظرك إلى الدنيا اعتباراً ، ورفضك لها اعتذاراً ، وسحبك
عن سرارها وطلبك الآخرة ابتذاراً .

الباب الثاني والسبعون

في صفات الجنة ومراتب أهلها

اعلم أن تلك الدار التي عرفت هومها وهومها وهي النار تقابلها دار أخرى فتأمل نعيمها
وسرورها فإن من بعد من إحداهما استقرار لا محالة في الأخرى لاستأثر الخوف من قلبك بطول
العكر في أهوال الجحيم واستأثر الرحمة بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان ، وسق
نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تال الملك العظيم وتسلم
من العذاب الأليم ، فتتمكو في أهل الجنة وفي وجوههم نظيرة النعيم يسفون من رحيق مختوم
جالس على منابر الياقوت الأحمر في خيام الذلول المطرب الأبيض فيها بسط من العبقري
الأعصر متكئين على الأرائك منصوبة على أطراف أنهاره ومطرقة بالخمير والعسل محفوفة
بالخلجان والولدان مزينة بالخور العين من الخيرات الحسن كأنهن الياقوت والمرجان ، لم يلمنهن
أس قلبهم ولا جان ، يمشين في درجات الجنان إذا امتثلت إحتوائهن في مشيها حمل أعطافها
سبعون ألف من الولدان ، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما لا يحصى فيه الأبصار متوجات
بالتيجان المرصعة بالذلول والمرجان شكلات فتيات عطرات أمات من الهمم واليوس مقصورات
في الخيام في قصور من الياقوت ، يثبت وسط روحيات الجنان ، قاصرات الطرف عين ، لم
يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء بدة للشاربين ، وطرف عليهم
خدام وولدان كأمثال الذلول المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في
جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

وينظرون إليها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نظيرة النعيم لا يرمقهم قتر
ولا ظلا بل عباد مكرمون يأتوا للتحف من ربهم يتعاهدون ، فهم فيما اشتبهت أنفسهم حالون
، لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من رب المنون آمنون ، فهم فيها يتنعمون ويأكلون من
أطعمتها ويشربون من أنهارها لبناً وخميراً وحسلاً وماء غير آسن ، أراضيتها من فضة وحسبائها
مرجان وترايبها مسك أذفر ونباتها زعفران ، ويمطرون من سحب فيها من ماء التبرين على كنان
الكافور ويوتون بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان ، كوب فيه من الرحيق المختوم
مخرج به السلسبيل العذب وكوب يشرق بوره من صفاء جوهرة يبدو الشراب من ورائه برفته
وحمرته لم يصنع آدمي ، فيقصر في تسوية صنعة وتحسين صنعة في كف خدام يحكي ضياء
وجهه الشمس في إشراقها ، ولكن من أبس للشمس مثل حلالة صورته وحسن أصداغه وملاحه
أحداقه ، فيها عجايب لم يؤمر بدار هذه صنعتها ويرقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحمل القجاجع بمن نزل
بساتنها ولا تنتظر الأحداث بعين التفتير إلى أهلها ، كيف يأتس بدار قد أخذ الله في خرابها وتها
يعيش دونها ، والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش ••

من خدثان فكان جديراً بأن يهجر الدنيا ببيتها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتقص من
نه ، كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور متعمدون لهم في كل ما يشتهون هم في
البحر مناه العرش يحضرون وإلى وجه الكريم ينظرون ويتألقون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه
من سائر معيماً الحان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون ومن زوالها

قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : ينادى مناد يا أهل الجنة أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا
أ. وإن لكم أن تموتوا فلا تموتوا أبداً وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وأن لكم أن تحموا
ب. تساموا أبداً فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَتُؤَدُّونَ أَنْ تَكُونَ الْجَنَّةُ أَوْ قَبُورًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) ،
مهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان واقراً من قوله
ع. ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ (٢) إلى آخر سورة الرحمن ، وأقرأ سورة الواقعة وغيرها من
السرور ، وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على
جملتها وتأمل أولاً (عند الجنان) .

قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ قال جنتان من فضة
أنيهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب أتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم
إلا رده الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول
الطاعات كما أن أبواب النار بحسب المعاصي . قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « من
أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها والجنة ثمانية أبواب ، فمن كان من
أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ، ومن كان من
أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد . فقال أبو بكر
رضي الله عنه : - والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منها كلها قال نعم
أ. ح. إن تكون منهم » (٣) .

وعن عاصم بن صبرة عن علي - كرم الله وجهه - أنه ذكر النار فعظم أمرها ذكرها لا أحفظه ثم
قال : ﴿ رسول الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ﴾ (٤) حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده
ج. يخرج من تحت ساقها عتقان غجريان فعمدوا إلى إحدهما كما أمروا به فشريوا منها فأذهبت
أ. من صلبه من أذى أو بأس ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا

(١) آية (٤٣) سورة الأعراف .

(٢) آية (٤٦) سورة الرحمن .

(٣) صحيح البخاري (٢٨٤١ ، ٣٢١٦) ، ومسلم (١٠٢٧) .

(٤) آية (٣١) سورة الزمر .

تعبير أشعارهم بعدها أبداً ولا شعث رؤوسهم كأنما دعوا بالدهان ثم انتهوا إلى الجنة ، فقال
لهم حرسها ﴿ سلام عليكم طينتم بدحلوها حاندين ﴾ ثم تلقاهم الولد ، يطعمون بهم كما
تطيف ولد من أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من عبية يقولون له أبشر أحد الله بك من الكرامة
كذا . وقال فيطلق علام من أولئك الولدان إلى بعض أروجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان
باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا ، فتقول أنت رأيت فيقول أنا رأيت وهو يثري فيستخفها الفرح
حتى تقوم إلى أسكفة بأنها فإذا انتهى إلى منزلة نظر إلى أساس بنيانه فإذا جدد اللؤلؤ فوقه صرح
أحمر وأخضر وأصفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقعه فإذا هو مثل البرق ولولا أن الله
تعالى أقدره لألم بأن يذهب بصره ثم يطأ رأسه فودا أرواجه وأكواب موضوعة ومارق مصفوفة
ورراني مشوطة . ثم اتكأ فقال الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، ثم
ينادي مناد تحبون فلا تموتوا أبداً وتقيمون فلا تظعنون أبداً وتصحون فلا تمضون أبداً .

وقال رسول الله ﷺ : أتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الحازن من أنت فأقول
محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك .

ثم تأمل الآن في خرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر
تفضيلاً ، وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة للمعمودة تفاوتاً ظاهراً
فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر ، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك
أحد بطاعة الله تعالى فقد أمر الله بالسابقة والمتأخرة فيها فقال تعالى ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو
جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء فقل عليك ذلك أو ضايق به صديقك وتتفحص بسبب الحسد
عيشك ، وأحسن أحوالك ، أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا
توازيها الدنيا بحذاقيرها .

فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ : أن أهل الجنة ليرامون أهل الغرف فوقهم
كما ترامون الكوكب الغافر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يا رسول الله
فذلك منازل الأنبياء لا ينفعها خيرهم ، قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين وقال أيضاً إن أهل الدرجات الصالحين ليرامون من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من
أفاق السماء وإن أنا بكر وعمر لهم ، وأنعم ، وقال جابر قال لنا رسول الله ﷺ : ألا أحدثكم
بعرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك بأبي أنت وأما قال إن في الجنة مرد من
أصناف الجواهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور
ملا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولم هذه العرف قال

إن أمضى اسلام وأطعم الطعام وأدام لصيام وصلى بالليل والناس يام قال قنابا رسول الله ومن يعن ذلك قال أمضى تطبيق ذلك وسأحيركم عن ذلك من لقي أحياه فسلم عليه فقد أمضى السلام من أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى العداة في الجماعة فقد صلى سبل وإساق يام يعنى اليهود والنصارى والمجوس ومثل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنْ حَتَّى فِي جَنَّاتٍ عَذْنٌ ﴾ قال قصور من لؤلؤ من كل قصر سيمون داراً من ياقوت أحمر في كل دار سيمون بيتاً من زهره أنضر . في كل بيت سرور على كل فرقة زوجة من الخور العين ، في كل بيت سيمون مائدة ، على كل مائدة سيمون لونا من الطعام ، في كل بيت سيمون وصيفة ، ويعطى للزمن في كل غداة يعنى من القوة ما يأتي على ذلك أجمع .

في السبوح والرضا والقناعة

أما فضل الرضا من الآيات فقوله تعالى ﴿ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَوَرَضُوا عَنْهُ ﴾ وقد قال تعالى ﴿ وَمَا كُنْ حَتَّى فِي جَنَّاتٍ عَذْنٌ وَرَضُوا عَنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ومتعني الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى ، وقال تعالى : ﴿ عَلِ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْإِحْسَانِ ﴾ فقد رجع الله الرضا فوق جنات عدن كما رجع ذكره فوق الصلاة حيث قال : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَهْنِ عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة لرضوان رب الجنة أعنى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان . وفي الحديث : أن الله تعالى يتجنى للمؤمنين ، فيقول سلوى ، فيقولون رضاك ، لسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل وأما رضا العبد لستذكر حقيقة وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد ، ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذا تقصر أفهام الخلق عن دركه ، ومن يقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر إليه فإنها سألوها الرضا لأنه سبب دوام النظر فكأنهم رأوه عتبة العمايات وأقصى . لأما لما طقروا بعين النظر ، فلما أسروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعمدوا أن الرضا هو سبب دوام رقع المحببات وقال الله تعالى ﴿ وَلَهُمَا مَرْهَدٌ ﴾ (١) قال بعض لمصريين فيه يأتي أهل الجنة في وقت للزبد ثلاث تحف من عند رب العالمين إحداها هدية من عند الله تعالى ليس هندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَطْمِئِنُّ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (٢) ولثانية السلام عليهم من ربهم ، فريد ذلك على الهدية

(١) آية (٣٥) سورة ق .

(٢) آية (١٧) سورة السجدة .

مضلاً وهو قوله تعالى ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴾ (١) والثالثة يقول الله تعالى : ﴿ وَرَضُوا عَنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ (٢) أي من النعم الذي هم فيه فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد .

وأما فضله من الأخبار فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا مؤمنون ، فقال ما علامة إيمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ، ونرضى بمواقع القضاء ، فقال مؤمنون ورب الكعبة ، وفي خبر آخر أنه قال : حكماء علماء كادوا من فقهم أن يكونوا أنبياء . وفي الخبر : طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضى به . وقال صلى الله عليه وسلم : من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل (٣) . وقال تعالى : إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه فإن رضى اصطفاه . وقال أيضاً إذا كان يوم القيامة أتيت الله تعالى لطائفة من أمته أجمعة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتعمون فيها كيف شاموا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب ، فيقولون ما رأينا حساباً فتقول لهم هل جرم الصراط ، فيقولون ما رأينا صراطاً فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئاً ، فتقول الملائكة من أمة من أنتم ، فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فتقول نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا ، فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه للفرقة بفضل رحمة الله ، فيقولون وما هما ، فيقولون كنا إذا خلونا نستحي أن نصيب ونرضى باليسير مما قسم لنا ، فتقول الملائكة بحق لكم هذا .

وقال صلى الله عليه وسلم : ما معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تغفروا بواب فقركم وإلا فلا (٤) وفي أحبار موسى - عليه السلام - أن بني إسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمراً إذا نحن فعلناه يرضى به عنا ، فقال موسى - عليه السلام - إلهي قد سمعت ما قالوا : فقالوا يا موسى قل لهم يرضون عنى حتى أوعى عنهم .

وأما فضل الصبر فقد ذكر في القرآن في ثيف وتسمين موضعاً وأضاف أكثر الدرجات والخير إلى الصبر وجعلها ثمراً له وجمع الصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ ﴾ فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول .

أما الأخبار : فقد قال صلى الله عليه وسلم : الصبر نصف الإيمان ، وقال صلى الله عليه وسلم : من أقل ما أوتيتم بيقين وحرمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن نصبروا

(١) آية (٥٨) سورة يس .

(٢) آية (٧٢) سورة التوبة

(٣) ضعيف (تحف السادة ٩ / ٦٥٠) وضعيف الجامع (٥٦٠٦)

(٤) تحف السادة ٩ / ٢٨٣ و ٢٩٥

على ما أنتم عليه أحب إلي من أن يراني كل امرئ منكم يحمل حمل جميعكم ، ولكنني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا فيكر بعضكم بعضا ويتكركم أهل السوء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكامل ثوابه ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ مَا عِدَّكُمْ يَفْعَلْ وَمَا هِيَ إِلَّا أَنْفُسُ الَّذِينَ أَصْرَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية .

وروى جابر أنه - مثل - عن الإيمان فقال : الصبر والسماحة . وقال أيضا : الصبر كثر من كور الجنة ^(١) . ومثل مرة ما الإيمان فقال الصبر . وهذا يشبه قوله - الخبيخ عرفة معناه معظم الخبيخ عرفة ، وقال أيضا - أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس ^(٢) ، وقيل أوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام - تخلق بأخلاق وإن من أخلاق أني أنا الصبور . وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله - عليه السلام - على الأنصار فقال : أمؤمنون أنتم ؟ فسكتوا فقال عمر نعم يا رسول الله ، فقال وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء وترضى بالقضاء فقال - مؤمنون ورب الكعبة - وقال - في الصبر على ما تكره خير كثير . وقال المسيح - عليه السلام - إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون . وقال رسول الله - لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين والأخبار في هذا لا تحصى ، وقال - صر من قنع ودل من طمع ، وقال - القناعة كنز لا يفنى وتقدم الكلام على القناعة مرارا .

الباب الرابع والسبعون

في فضل التوكل

من الآيات قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ^(١) وأعظم بقاء موسم بحبة الله تعالى صاحبه ، ومضمون بكفاية الله تعالى ملائسته ، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومجبه وراعيه فقد فاز الفوز العظيم فإن للحيوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب ، ومن الأخبار قوله - فيما رواه ابن مسعود رأيت الأم في الموسم فرأيت أمي قد ملأوا السهل والجبل فأعجبني كثرتهم وحيثهم فقلت لي أوشيت قلت نعم قليل ومع هؤلاء سبعون ألف يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتفون ، ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال رسول الله - اللهم اجعله منهم فقال آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال - سبقك بها عكاشة . وقال

(١) (موضوع) كشف الخفاء ٢ / ٢٧

(٢) تحف السادة ٩ / ٦ و ٢٥٥

(٣) آية (١٥٩) سورة آل عمران .

ﷺ : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماسا وتروح بطانا . وقال ﷺ : من انقطع الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى السب وكله الله إليها . وقال ﷺ : من سره أن يكون أخى الناس فليكن بما عند الله أولئ منه بما في بيته .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال : قوموا إلى الصلاة ويقول هذا امرئ ربي عز وجل . قال عز وجل : ﴿ وَأَمَّا أَنتُك بَالصَّلَاةِ وَاصْبِرْ عَلَيْهَا ﴾ الآية . . وقال ﷺ لم يتوكل من استرقى واكتوى

وروى أنه لما قال جبريل لإبراهيم - عليهما السلام - وقد رمى النار بالمتجنوق أنك حاجة قال أما إليك فلا فناء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أخذ ليرمي فأمر الله تعالى : ﴿ وإبراهيم الذي ولي ﴾ ، وأوحى الله تعالى إلى داود - عليه السلام - يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكليه السموات والأرض إلا جعلت لها مخرجاً . وقال سعيد بن جبير لدغتي عقرب فأقسمت على أمي لتسترقين فتأولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرأ الخواص قوله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوت ﴾ إلى آخرها فقال ما ينفع للعبد بعد هذه بلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وفيل لبعض العلماء في منامه من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته .

وقال بعض العلماء لا يشغلك للمضمون لك من الرزق عن الفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد . وقال إبراهيم بن أدهم سألت بعض الرهبان من أين تأكل فقال لي ليس هذا العلم هندي ولكن من ربي من أين يطعمني . وقال بعضهم متى وضعت بالله وكيلا وجدت إلى كل خير سبيلا . . نسأل الله الأجيب .

الباب الخامس والسبعون

في فضل المسجد

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ ^(١) وقال ﷺ : من صلى لله محمداً ولو كمحفص قطرة من الماء له قصر في الجنة ^(٢) ، وقال ﷺ : من ألب المسجد أنه لله تعالى ، وفد ﷺ : إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس .

(١) آية (١٨) سورة التوبة

(٢) (ضعيف) أحمد ١ / ٢٤١ ، ومجمع الروايات ٢ / ٧

وقال ﷺ : لا صلاة لحار ، مسجد إلا في المسجد ،^(١) وقال ﷺ : الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يعرج من المسجد . وقال ﷺ : يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقتلون فيها خلقاً خلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا يبالونهم فليس لله بهم حاجة . وقال ﷺ : قال الله عز وجل في بعض الكتب إن بيوتى في أرضي المساجد وإن روارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم رادى في بيته فسحق على المزور أن يكرم رآته . وقال ﷺ : إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ، وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فلما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيراً .

ويروى في الآثار أو الخبر : الحديث في المسجد يأكل الحسنة كما تأكل البهائم الحشيش . وقال الحمصي كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة . وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحمة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد خضوة . وقال علي كرم الله وجهه إذا مات العبد يركب عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾^(٢) وقال ابن عباس تكي على الأرض أربعين صباحاً . وقال عطاء الخرماني ما من عبد سجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة ويكتب عليه يوم يموت . وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا انتشرت على ما حولها من البقاع وانتشرت يذكر الله عز وجل إلى متنها من سبع أرضين وما من عبد يقدم يصلي إلا تزخرقت له الأرض . ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم لا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم .

الباب السادس والسبعون

في الوياضة وفصل أهل الكرامة

أعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً أبصره بعبود نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عنه عبودته فإذا عرف العبود أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعبود أنفسهم يرى أحدهم لقدى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف نفسه هذه أربعة طرق (الأول) أن يجلس بين يدي شيخ يصبر بعبود النفس مطلع على خفايا الأفعال ويحكمه في همه ويسع إشارته في معاهدته وهذا شأن المريد مع شيوخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أسناده

(١) (ضميف) البيهقي ٣ / ٧٥ ، وضميف الجامع (٦٢٩٧)

(٢) آية (٢٩) سورة النحل

وشيعه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا عز في هذا الزمان وجوده ، (الثاني) أن يطلب صديق بصيراً متديباً يصبره رقيب على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله مما كره من أحواله وعبوده الباطنة والظاهرة يهده عليه فهكذا كان يعمل الأكياس والأكابر من أئمة الدين .

كان صهر - رضي الله عنه - يقول رحمه الله امرأ أهدي إلى هيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال ما الذي بلغك عنى بما تكرهه فاستمعى فألح عليه فقال بلغنى أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حنتين حطة بالنهار وحطة بالليل ، قال وهل بلغك غير هذا قال لا ، فقال أما هذان فقد كعبتهما . وكان يسأل حنيفة ويقول له أنت صاحب مر رسول الله ﷺ في المناققين فهل ترى على شيئا من آثار التفارق فهو على جملة قفرة وهو متصبه هكذا كانت تهمته لنفسه - رضي الله عنه - فكل من كان أوفر عقلاً وأعلى متصبا كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضاً قد عز قتل في الأصلقة من يترك للفتنة فيغير بالمعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدفائك عن حسود أو صاحب فرس يرى ما ليس بهيب عيا أو عن مداهن يخفى عنك بعض عيوبك ، ولهذا كان داود الطائي قد احتل الناس فقير له لم لا تخالط الناس فقال وماذا أصنع بأنوم يخفون عني هيوبي . فكانت شهوة دوى الدين أن يتبهوا لعيوبهم بتبويه غيرهم وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من نصحناء وعرفنا عيوبنا ويكاد هذا أن يكون مفسحاً من ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لناغة فلو نبهنا عنه على أن نحت ثوبنا حقرباً لتقلنا منه مئة وفرحتا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإصلاحها وقتنها وإنما نكابتها على البدن ويدوم لها يوماً فما دونه ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب انمضى أن تدوم بعد الموت أبداً أو الآقا من الستين ثم أنا لا نفرح بمن نبهنا عليها ولا نشغلنا بازائها بل نشغل بمقابلة الناصح بمثل مقابله فنقول له وأنت أيضاً تصنع كبت وكبت ونشغلنا العلوة معه عن الانتفاع بنصحه ويهبه أن يكون ذلك من قسوة القلب التي أضرتها كثرة القنوب . وأصل كل ذلك ضعف الإيمان فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويصبرنا ويشغلنا بمدلولاتها ويوقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا منه وفضله .

الطريق (الثالث) أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط تبيد ولعل انتفاع الإنسان بمدو حشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويحصى عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب المدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم .

الطريق (الرابع) أن يحاطب الناس فكل ما رآه مدحوماً فيها بين الخلق فليطالب نفسه بها ويسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطبع متفارية في

اتبع الهوى ، فما يتصف به واحد من الأقرباء لا يفتك القرن الآخر من أصله أو عن أصله منه أو شيء منه فليتمتع نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره ، وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لا يستغنوا عن المؤدب .

واعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمرائها وأدويتها بمرور العلم واليقين من عجزت عن ذلك فلا يبقنى أن يعوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقى والتقليد لمن يستحق التقليد لأن للإيمان درجة كما أن العلم درجة ولعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا تَلْفُوزُونَ ﴾ فمن صدق بأن مخالفته الشهوات هو الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا ، وإذا اطلع ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذى يقتضى الإيمان بهذا الأمر فى القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ لِقَاءُ رَبِّ الْكَافِرِينَ ﴾ فإن النجاة هي القأوى ﴿ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ يُفَصِّلُونَ الْكُفْرَ ﴾ ﴾ قبل نزول منها محبة الشهوات . وقال ﷺ : « المؤمن بين خمس شذائذ مؤمن يحسنه ومتفق يخطئه وكافر يقاتله وشيطان يضلّه ونفس تنزعه » (١) . فبين أن النفس حلو نازع يجب عليه مجاهدتها .

ويرى أن الله تعالى أوحى إلى داود - عليه السلام - يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عن محبوبة ، وقال عيسى - عليه السلام - طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لم يعود غائب لم يره . وقال نبينا ﷺ نقوم قدموا من الجهاد : مرجا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس . وقال ﷺ : « المجاهد من جاهد نفسه بى طاعة الله عز وجل » (٢) . وقال سفيان الثوري ما حاجت شيئا أشد على من نفسه مرة لى ومرة على ، وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا ملى الدنيا مع أرباب الملوك تسممين ولا لى طلب الآخرة مع العباد مجتهدين كائى بك بين الحله والنار تحسبين يا نفس ألا تتحسين . وقال الحسن ما الدابة الجموح بأحرج إلى النجاة الشديدة من نفسك . وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد نفسك بأسيايف الرضاية والرضاوية والرضاوية على أربعة أوجه القوت من الطعام والعض من سام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولد من فنة الطعام موت الشهوات ويرى له اسم صغر الإرادات ومن قلة الكلام السلامة من الألفاظ ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات

وقال أيضا أعداء الإنسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن

الشیطان بمخالغته ومن النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار أسيرا فى حب شهواتها محصورا فى سجن هواها مقهورا مغلولاً زمامه فى يدها تجرّه حيث شاءت فتتمتع قلبه من الموائد . وقال جعفر بن حميد أجمعت العلماء والحكماء على أن النسيم لا يدرك إلا بترك الميم . وقال أبو يحيى الوراق من أرض الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجر الندامات . وقال وهيب بن الورد مازاد على الحيز فهو شهوة ، وقال أيضا من أحب شهوات الدنيا فليتها للذل .

ويرى أن امرأة العزيز قالت ليوسف - عليه السلام - بعد أن ملك خزائن الأرض وتعلت له على رابية الطريق فى يوم موكب وكأن يركب فى رهاء اثنى عشر ألف من عظماء مملكته سبحانه من جمع الملوك عبيدا بالمعصية وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم له إن احرص والشهرة صبرا الملوك عبيدا وذلك جراء المفسدين وأن الصبر والتقوى صبرا العبيد ملوكا . فقال يوسف كما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ إِنَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) ، وقال الجليلي أرقت ليلة لقيت إلى وردى فلم أجد الحلاوة التى كنت أجدتها فأردت أن أنام فلم أقدر فجلست فلم أطق الجلوس فمخرجت فإذا رجل يلتف فى عباءة مطروح على الطريق ، فلما أحس بى قال يا أبا القاسم إلى الساعة قف يا سيدى من غير مرهد ، فقال بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لى قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك قال : فمتى يصير داء النفس دواها فقلت إذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه فقال إسمعى فقد أجبك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد ها قد سمعته ثم اتصرف وما عرفته . وقال يزيد الرقاشى إليكم عنى الماء البارد فى الدنيا لعلى لا أحرمه فى الآخرة . وقال رجل لعمر ابن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - متى أتكلم قال إذا اشتبهت الصمت : قال متى أصمت قال إذا انتهيت الكلام . وقال على - رحمه الله عنه - من أشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات فى الدنيا .

الباب السابع والسبعون

فى الإيمان والتفان

إعلم أن كمال الإيمان الذى هو التصديق بوحدة الله تعالى وبما جاءت به الرسل - صلوات الله عليهم - بربده الأعمال . قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَأْتُوا جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ وقال الله تعالى . ﴿ وَلَكِنْ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ﴾

« لم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته . »

١٠٠. وأوحى الله إلى موسى - عليه السلام - : من مات ثانيا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة .
 ١٠١. مات مصراً عليها نهر أول من يدخل النار . وقال أنس أمر رسول الله ﷺ الناس يصوم يوم النحر ، لا يظنون أحد حتى آخذ له فصار الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يهجو فيقول يا رسول الله طالت صائما فأذن لي لأفطر فيأذن له والزل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتانان من الناس قلت صائمتهين وأنهما يستحيان أن يأتيتن فأذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده .
 ١٠٢. من عته ثم عاوده فقال إنهما لم يصوما وكعب يصوم من قل بهاره يأكل لحوم الناس إذغب .
 ١٠٣. هما إن كانتا صائمتهين أن يستخينا فرجع ليهما فأخبرهما فاستفادتاه فقات كل واحدة منهما صاحبة من دم فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره ، فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار ، وفي رواية أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال يا رسول الله إنهما قد ماتتا لو كادتا أن تموتا ، فقال ﷺ اتترنى بهما لجاءتا فدعا رسول الله ﷺ بقدر فقال لإحداهما قيتي فقامت من فيج وهم وصلي حتى ملأت القدر وقال للأخرى فيثي فقامت كذلك فقال إن هاتين صامتا هما أحل الله لهما وأطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس .

وقال أنس خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زبية يرتبها الرجل وأوى الربا عرض الرجل المسلم .

١٠٤. أما النسيئة فهي غصلة دميمة فقال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا مَثَلٌ بَعِثْنَا فِيهِ رَسُولًا مِنْ رَبِّهِمْ لِيَكُونَ آيَةً لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْحَدِيثَ وَكُفَرُوا بِالْحَقِّ وَالْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَكُونُ آيَةً لِلَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴾ (١) ثم قال : ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) ، قال عبد الله بن المبارك الزعيم ولد الرب الذي لا يكتم الحديث ومشى بالنسيئة .
 ١٠٥. قال عبد الله بن المبارك : ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣) .
 ١٠٦. وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ هُمُومًا لَمْرَةً ﴾ (٤) قيل الهزيمة السام ، وقال تعالى : ﴿ حِفَاةٌ لِلْعَبْدِ ﴾ (٥) قيل أنها كانت ثمة حمانة للحديث ، قال تعالى : ﴿ فَعَانَتْهُمَا لَمَمٌ يَخْتَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ ﴾ (٦) قيل كانت امرأة لوط تخبر بالصبيان وامرأة موح تخبر أنه مجنون ، وقد قال ﷺ : لا نسيئة .
 ١٠٧. أحسن قول : (٧) وفي حديث آخر لا يدخل الجنة من دخل الجنة من النار . وقال أبو هريرة

(١) آية (١١) سورة الفهم .
 (٢) آية (١٢) سورة الفهم .
 (٣) آية (١٣) سورة الفهم .
 (٤) آية (١٤) سورة الفهم .
 (٥) آية (١٥) سورة الفهم .
 (٦) آية (١٦) سورة الفهم .
 (٧) صحيح (صحيح) في الإيمان (١٠٥)

قال رسول الله ﷺ أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا الموطنون أكفاهم الدين بأمرهم وبؤلمون وإن أبغضكم إلى الله المشامون بالنسيئة المفرقون بين الإخوان للتمسكون للبراء العثرات وقال ﷺ ألا أخبركم بشراكم قالوا بلى قال المشامون بالنسيئة المفسدون بين الأخوة الباغون للبراء العيب .
 وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ من أشاع على مسلم كلمة يشبه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة .

وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ : « أبا رجل أشاع على رجل كلمة وهو برئ يشبه بها في الدنيا كحق على الله أن يشبهه بها يوم القيامة من النار » (١) . وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبو مقعده من النار ويقال أن ثلث عذاب القبر من النسيئة ، وهو ابن عمر عن النبي ﷺ إن الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت سعد من دخلني فقال الجبار جل جلاله وهرني وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نمر من الناس . لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قاتل وهو السام ولا ديوت ولا شرطي ولا محنت ولا قاطع رحم ولا الذي يقول على الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به .

وروى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط فاستقى موسى - عليه السلام - مرات .
 فما سقوا ما أوحى الله تعالى إليه أن لا أستجيب لك وإن معك وميكم ثم قام قد أصبر على النسيئة ، فقال موسى يارب من هو ذلني عليه حتى أخرجني من بيننا قال يا موسى أنهاكم من النسيئة وأكون ثم قام فتابوا جميعا فسقوا . ويقال أتبع رجل حكيمًا سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال إني جئت لك للذي أتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أفسى منه وعن النار وما أحر منها وعن الزمهرير وما أبود منه وعن البحر وما أعسى منه وعن الينيم وما أدل منه فقال له الحكيم البهتان على البرئ أثقل من السموات والحق أوسع من الأرض والقدب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبود من الزمهرير ونبت الكاكر أفسى من الحجر والسمام إذا بان أمره أدل من لينيم .

وما أحسن قول الشاعر :

من غم في الناس لم تؤمن عقاره • • • على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
 كالسبل بالليل لا يدري به أحد • • • من أين جاء ولا من أين يأتيه
 الويل لمنعه منه كيف ينفضه • • • والويل للود منه كيف ينميه

وقول الآخر :

يسمى عليك كما يسمى إليك فلا ••• تأمن غوائل ذي وجهين كيداً

الباب التاسع والسبعون

في بيان عداوة الشيطان

قال ﷺ : في القلب لثان لمة من الملك لإبعاد الخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ولمة من العدو لإبعاد بالشر وتكليب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ الآية . . وقال الحسن إنما هما ممان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبداً وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من العدو جهاده ، وقال جابر بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال إنما ذلك مثل البيت الذي يمر به المصوم فإن كان فيه شيء حاجوه ولا مضوا وتركوه يعني إن القلب الخالي من الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنْ عِبَادِي لَأُنْصِرَنَّ لَهُمْ فَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله ولذلك لا يدخله الشيطان وقال تعالى : ﴿ لَأُفْرَأَنَّ مِنَ الْفَخْخِ لِهَذَا هَذَا ﴾ وهو إشارة إلى أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله ، ولذلك قال عمرو بن العاص للنبى ﷺ يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقرآني فقال ذلك شيطان يقال له خنزرب فإذا أحسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يمارك ثلاثاً قال فعلمت ذلك فأذهب الله عني .

وفي الخبر أن لئوسوه شيطاناً يقال له الولهان لماستعينوا بالله منه ، ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به بجوار أيضاً أن يكون محالاً للشيطان وذكر الله وهو الذي يؤمن جانيه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يبالغ الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعانة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون العالين عليهم ذكر الله تعالى وإن الشيطان يطوف عليهم في أوقات العلمات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ أَتَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْهَرُونَ ﴾ وقال مجاهد في معنى قوله تعالى ﴿ من شر الوسواس الخناس ﴾ عد هو ميسر على القلب فإذا ذكر الله تعالى غشى وانقبض وإذا غفل أبسط على قلبه فالتطاود بين ذكر الله تعالى

ووسوسة الشيطان كانت تصد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى : ﴿ استعوذ عيهم الشيطان فاسمهم ذكر الله ﴾ وقال أسد بن رسول الله ﷺ : إن الشيطان وضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خمس وإن سى الله تعالى التقم عليه . وقال ابن عباس : وضاح في حديث ذكره إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يشب مسح الشيطان وجهه بيده وقال بأبي وجهه وجه من لا يملح وكما أن الشهوات محتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضاً صاربة في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه .

ولذلك قال ﷺ : إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم لضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ويجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه ، قال الله تعالى إخباراً عن إبليس : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ثم لايتهم من ابن آدم ومن خلفهم ومن أيمانهم ومن خصالهم . . وقال ﷺ : إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرفة لقمعه له بطريق الإسلام فقال أسلم وترك دينك ودين أبائك فعصاه وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أنهاجر وتدع أرضك ومسجداك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل تقتل فتكبح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد ، وقال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة .

الباب الثمانون

في بيان المحبة ومحاسبة النفس

قال سميان المحبة اتباع رسول الله ﷺ وقال غيره دوام الذكر وقال غيره إيثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتمتنع الألسن عن عبارتي ، وقال الجنيح حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بمحوى فإذا رآه المحوى زالت المحبة ، وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله إظهار أن تلب لغير الله . وقيل للشبلي رحمه الله صف لنا الماوف والمحبة فقال الماوف إن تكلمت هلك والمحبة إن سكنت هلك وأنشد الشبلي حبه الله :

يا أيها السيد الكريم ••• حبك بين الخشاش مقبم

يا رافع السنوم عن جفوني ••• أنت بما مرى هليم

وقالت رابعة العدة به ما عدا عدا ••• حباً فقالت عداة لها حسناً معنا ولكن الدنيا

قطعتا عنه ، وقال ابن الجلاء - رحمه الله تعالى - أوحى الله تعالى إلى عيسى - عليه السلام - إنني إذا أعلمت على سر عبيد فلم أجده فيه حبه الدنيا والآخرة ملائمة من حبي وتوليته بحفظي ، وقبل تكلم سنون يوماً في المحبة فإذا بطائر تزل بين يديه فلم يزل يتقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه ممات ، وقال إبراهيم بن أدهم إلهي إنك تعلم أن أليمة لا ترون عندي جناح بموضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وأنستني بذكرك وفرقتني للتفكر في عظمتك ، وقال السري - رحمه الله - من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحمق يقدو ويروح في لاش والعافل عن عيوبه تناش .

وأما محاسبة النفس فقد أمر الله بها بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَحَرُّوا عَنْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُنْكَرِ لِقَاءَ إِنْكُمْ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال ولذلك قال عمر - رضي الله تعالى عنه - حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وفي الخبر أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمتو من أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإذا كان رشداً فامضه وإن كان حياً فائته عه وفي الخبر وينبغي للعافل أن يكون له أربع مساهات منها ساعة يحاسب فيها نفسه قال تعالى : ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَكُمْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى ﴾ (٢) والتوبة نظر في العمل بعد المراجحة منه بالتدبر عليه وقد قال النبي ﷺ إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة ، وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ خُلُوفٌ مِنْ الثَّيْبَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْتَلُونَ ﴾ (٣) .

وعن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شركه والشريك يحاسب بعد العمل .

وروي عن عائشة - رضي الله عنها - أن أبا بكر - رضوان الله عليه - قال لها عند الموت ما أحد من الناس أحب إلى من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لا أحد أعز علي من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها ، وحديث أبي طلحة حين شعله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندماً ورجاء للمرء مما فاتته ، وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بيتك وغلماذك ما يكفيك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تذكره . وقال الحسن المؤمن فوام على نفسه يحاسبها الله وإنما يخف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم

(١) آية (١٨) سورة الحشر

(٢) يه (٣١) سورة البور

(٣) آية (٢٠١) سورة الأعراف

القبلة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم فسر المحاسبة فقال إن المؤمن يمجزه الشيء بعينه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك هذا حساب قبل العمل ثم قال ويعرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أهدر بهذا والله لا أهود لهذا أبداً إن شاء الله .

وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوماً وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا فسمعت يقول ويبنى ويبنه جدار وهو في الحائط عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين بيع بنخ والله لتتقين الله أو ليعلينك . وقال الحسن في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْسِمُ بِالْوَائِمِ ﴾ (١) قال لا يلقى المؤمن ألا يملأ نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والقاجر يمضي قدما لا يعاقب نفسه ، وقال مالك بن دينار - رحمه الله تعالى - رحم الله عبداً قال لنفسه ألسنت صاحبة كذا ألسنت حاصبة كذا ثم دعها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قالدا وهذا من معاتبة النفس ، وقال ميمون بن مهران التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان خاشم ومن شريك شحيح ، وقال إبراهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة أكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأهانت أبنائها ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها وأشرب من صديدنها وأهانت من سلاسلها وأغللها فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدني فقالت لريد أن أورد إلى الدنيا فأحمل صاحبها قلت فأنت في الأمانة فاهمل . وقال مالك بن دينار سمعت الصحابي يخطب وهو يقول رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحاسب إلى غيره ، رحم الله امرأ أخذ يمتنان عمله فنظر ماذا يريد به ، رحم الله امرأ نظر في مكياله ، رحم الله امرأ نظر في ميزانه فمارال يقول حتى أيكاني وحكي صاحب للأحتف بن قيس قال كنت أصعبه فكان عامة صلاته بالليل الدهاء وكان يجهي إلى الصباح فيضع فيه إصبعه فيه حتى يحمى بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا .

الباب الحادي والثمانون

في بيان تلبيس الحق بالباطل

قال رسول الله ﷺ فيما رواه محفل بن يسار : يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الشيايب على الأبدان أمرهم كله يكون طمعاً لا حروف معه إن أحسن أحدهم قال يقتل مني وإن أساء عا لم يعمر لي فأحير أنهم يصعدون الطمع مريض الخوف لجهلهم

(١) آية (٢) سورة الصفا

بحرميات القرآن وما فيه ، ويمثله أحبر أنهم البصاري ، إذ قال تعالى : ﴿ لَخَلَفَ مِنْ بَدْعِهِمْ خَلْفٌ وَرُوِيَ الْكِتَابُ بِالْأَعْيُنِ عَلَى الْأَعْيُنِ وَيُتْلَوْنَ سُبْحَانَ اللَّهِ ﴾ (١) ومعناه أنهم ورثوا الكتاب أي هم عماء ويأخذون عرض هذا الأدنى أي شهواتهم من الدنيا حراما كان أو حلالا ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَحِمْ طَمَاحُ رِيَّةٍ جَنَّةٍ ﴾ (٢) ، ﴿ لَمْ يَحِمْ طَمَاحِي وَخَالٍ وَعَيْدٍ ﴾ (٣) والقرآن من أوله تحذير وتحذير لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمنا بما فيه وثرى الناس بهدونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفصتها ورفعها وتصبها وكأنهم يترجون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الائتمات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاصي إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المنعرة ويظنون أنهم ترجع كافة حسناتهم مع أن ما في كافة السيئات أكثر هذا غاية الجهل ترى الواحد يتصلق بغيرهم مصدقة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أخصافه ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه يتصلق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألف وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة جعلها واعتد بها كالدني يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يفتش المسلمين ويحرق أعراسهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طرل النهار من غير حصر وعدد ويكون نظره إلى هدد سبحانه أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هدايته طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالمقاب على كل كلمة فقال : ﴿ مَا يُلْقِ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَسِدٌ ﴾ فهذا أبدا يتأمل في فصول التسيحات والتهديلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة المفتابين والكذابين والشامسين والنافقين الذين يظهرون من الكلام مالا يضرهم إلى غير ذلك من آيات اللسان وذلك محض الغرور ، ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هدايته الذي زاد على تسيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من معانيه وما نطق به في قراته كان يعلم ويحسب ويوازنه بتسيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخها فيما عجزا لمن يحاسب نفسه ويحسب خوفه على قيراط بقوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فورت الفردوس الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تمكر فيها فقد دفعنا إلى أمر أن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وأن صدقنا به كنا من الحمقى الغرورين ، فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإنما نهرا إلى الله أن تكون من أهل الكرام فيبحان من صدقنا عن التنبيه واليقين مع هذا البيان .

(١) آية (١٦٩) سورة الأعراف

(٢) آية (١٦) سورة الزمر

(٣) آية (١٤) سورة إبراهيم

الباب الثاني والثمانون

في فضل صلاة الجماعة

قال ﷺ : صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة . همت أن أمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتجمعون عنها فأمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بعزم الخطب ولو علم أحدكم أنه يجد عظما سميت أو ممراتين لشهدا . . . يعني صلاة العشاء .

وقال عثمان - رضي الله عنه - مرفوعا عن شهد العشاء فكأنما قدم نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة . وقال ﷺ : « من صلى صلاة في جماعة فقد ملا بجره عبادة » (١) وقال سعيد بن المسيب ما أدد مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد . وقال محمدين واسع ما أشتي من الدنيا إلا ثلاثة : أنما أن تموجت قومي وقوتنا من الرزق عفوا بغير توبة وصلاة مع جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها .

وروي أن أبا عبيدة بن الجراح أم قوما فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي أتفا حتى رأيت أن لى فضلا على غيرى لا أوم أبدا . وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يحتلم إلى العلماء . وقال النعمان مثل الذي يوم الناس بعير علم مثل الذي يكيى الماء في البحر لا يدرى رباته من نقصانه . وقال حاتم الأصم فأتى الصلاة في الجماعة فغزاني أبو إسحاق البخاري وحده ولو مات بي ولد لمرى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا . وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع المتأدي فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خيرا . وقال أبو هريرة - رضي الله عنه - لأن محلا أدن ابن آدم وصاحبا مذبا خيرا له من أن يسمع البناء ثم لا يجب .

وروي أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقليل له إن الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق . وقال ﷺ : « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لا تقوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له برامتين براءة من النفاق وبراعة من النار » (٢) وقال أنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكركب الذي يقول لهم الملائكة ما كنتم أعمالكم فيقولون ك إذا سمع الأذان قما إلى العبادة لا يشعب غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد اسؤل ك ما توشا فل انوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان في المسجد .

(١) اتفاق السادة ١٥ / ٣

(٢) العنل للثناهي ١ / ١٣٥

وروى أن اسعف كانوا يعرفون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويمرون سبعا إذا فاتتهم الجماعة

الباب الثالث والثمانون

فصل في صلاة الليل

أما من الآيات فقولته تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ ﴾ (١) الآية . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ تَتَجَلَّىٰ جَنَّةُكَ عَلَىٰ الْمَضَاجِعِ ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَاتِلُ أَتَانِ اللَّيْلِ ﴾ الآية . . . وقوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يَبُوءُونَ بِرَبِّهِمْ سَجُودًا وَقِيَامًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَجِبُوا لِلَّهِ وَالصَّلَاةِ ﴾ قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر على مجاهدة النفس

ومن الأخبار : قوله ﷺ : « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فلقد فلان استيقظ وذكر الله تعالى انصرفت عقدة فلان توهأ انصرفت عقدة فلان صلى انصرفت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان (٢) . وفي الخبر أنه ذكر عند رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذلك رجل بال الشيطان في أذنه . وفي الخبر أن للشيطان سموطا ولعوطا ودورا فإذا أمسح العبد ماء خلفه وإذا ألمقه ذرب لسانه بالشر وإذا دوره نام الليل حتى يصبح . وقال ﷺ : « ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولو أن أشق على أمتي لمرغبتها عليهم » (٣) . وفي الصحيح من جابر أن النبي ﷺ قال : إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه ، وفي رواية يسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة . وقال المغيرة بن شعبه قام رسول الله ﷺ حتى تقطرت قدماه فقبل له أما قد خسر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : أفلا أكون عبدا شكورا . ويظهر من معناه أن ذلك كثافة من زيادة القرينة فإن الشكر سبب المزيد . قال تعالى : ﴿ هَلْ يَشْكُرُكُمْ لَا يُشْكُرُكُمْ ﴾ (٤) وقال ﷺ : يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكر مور يبتك في السماء كور الكواكب والنجم عد أهل الدنيا . وقال ﷺ : « عليكم بقيام الليل فإنه داب لصاحبي قبلكم فإن قيام الليل قربه إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطرده للنداء عن

(١) آية (٢٠) سورة المزمل

(٢) (صحيح البخاري) (١١٤٢) ، ومسلم (٧٧٦)

(٣) (ضعيف) (تحف السادة ٥ / ١٨٥ ، وضعيف الجامع (٣١٣٧) .

(٤) آية (٧) سورة إبراهيم

الحمد وسهاة عن الإثم» (١) وقال ﷺ : ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه . وقال ﷺ لأبي ذر : لو أردت سفرا أصعدت له حدة قال نعم قال فكيف سمر طريق القيامة ألا أبتك يا أبا ذر عما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبي أنت وأمي قال صم يوما شديدا لخير ليوم النشور وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ورحم حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها .

وروى أنه كان على عهد النبي ﷺ رجل إذا أخذ مضاجعهم وهذأت العيون قام يصلي ويقرأ الفرقان ويقول بآب النار أجرني منها ، مذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : إذا كان ذلك فادنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يا رسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث إلا يسيرا حتى نزل جبرائيل - عليه السلام - وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة . ويرى أن جبرائيل - عليه السلام - قال للنبي ﷺ : نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل ما أخبره النبي ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلي بالليل ثم يقول يا نافع أسحرتنا فأفرك لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرتنا فيقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر . وقال علي بن أبي طالب شيع يحيى بن زكريا - عليهما السلام - ليلة من حبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى لو وجدت دارا خيرا لك من داري أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعدتني وجلالي يا يحيى لو اطلعت على العروس اطلعة لذاب شحمك ولزهدت نفسك إشتياقا ، ولو اطلعت إلى جهنم اطلعه لذاب شحمك ولبكيت الصديق بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح . وقال رسول الله ﷺ رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أبطل امرأته فصلت فلان أبى نضح في وجهها الماء وقال ﷺ رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أبطلت زوجها فصلت فلان أبى نضحت في وجهه الماء . وقال ﷺ من استيقظ من الليل وأبطل امرأته لصيا ركعتين كتبنا من الذكركين الله كثيرا والناكرات . وقال ﷺ أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل . قيل كان الإمام البخاري - رضي الله عنه - كثيرا ما يمثل بهذين البيتين

احتنمت في الفراغ فصل ركوع • • • فحس أن يكون موتك بقصة

كم صحيح رأيت من غير سم • • • خرجت نفسه الصحيحة فنته

• • •

الباب الرابع والثمانون

في عقوبة علماء الدنيا

وتعطي يعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدتهم من العلم التلثم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والكره **قال** **ﷺ** : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم يتعلمه الله يعلمه ، وعنه **ﷺ** أنه قال لا يكون المرء عالماً حتى يكون يعلمه عالماً . **وقال** **ﷺ** : العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع . **وقال** **ﷺ** : يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق . **وقال** **ﷺ** : لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتكبروا به السفهاء ولتعرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار . **وقال** **ﷺ** : من كتم علماً عنده ألبسه الله بلجام من نار . **وقال** **ﷺ** : لأننا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فليل ما ذلك فقال من الأئمة المضلين . **وقال** **ﷺ** : من أراد علماً ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا بعداً . **وقال** عيسى عليه السلام : إلى متى تصمون الطريق للملجدين وأنتم مقبضون مع المتحينين . فهذا ولغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فإن العالم إما منمرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وإنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة **وقال** عمر رضي الله عنه : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المناق العليم قالوا وكيف يكون منافقاً علماً قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل . **وقال** الحسن رحمه الله لا تكون ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجزي في العمل مجرى السقاء . **وقال** رجل لأبي هريرة رضي الله عنه : أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى ترك العلم إضاعة له وقيل لإبراهيم بن عبيدة أي الناس أطول للماء قال في جاهل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فعاظم مفرط . **وقال** الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك عالم لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدري ولا يدري أنه يدري فذلك جاهل فارفضوه . **وقال** سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا أنجل . **وقال** ابن المبارك لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فإذا طي أنه قد علم فقد جهل . **وقال** الفضل بن عياض رحمه الله إني لأرحم ثلاثة : عزيز قوم ذل وغني قوم فقير وعالم تلعب به الدنيا وقال الحسن عتوة العلماء موت القلب وموت لقلب طلب الدنيا يعلم الآخرة وأنشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ••• ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه ••• بدينه سواه فهو من ذين أعجب

وقال **ﷺ** : إن لعالم ليعذب عذاباً يطيب به أهل النار استعطافاً لشدة عذبه أراد به العالم العاخر . **وقال** أسامة بن زيد سمعت رسول الله **ﷺ** يقول : يؤتى بالمعالم يوم القيامة فينقى من النار فتدلق أقدانه فيدور بها كما يدور الحمير بالرحى فيطيب به أهل النار فيقبضون مالك فيقول كنت أمر بالخير ولا آتية وأنهى عن الشر وآتية وإنما بصاعب عذاب العالم في معصيته لأن عصي عن عدم ولذلك قال الله عز وجل **﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾** ^(١) لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل لليهود شراً من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا أنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذا قال الله تعالى **﴿ يَخْفَوْنَ كَمَا يَخْفَوْنَ أَتَانَهُمْ ﴾** . **وقال** **ﷺ** : لعلنا جامعهم ما عرفوا ككفروا به لعلنا الله على فكالكربن **ﷺ** . **وقال** تعالى في قصة لعمام بن باهرواء **﴿ وَافْلَ عَلَيْهِمْ نَارُ الَّذِي أَتَاهَا نَارًا لَانْصِلَ مِنْهَا فَاتَمَّ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْقَارِيَةِ ﴾** ^(٢) حتى قال فتمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تترك يلهث فكل ذلك العالم الفاجر فإن بلعام أوتى كتاب الله تعالى فأخذ إلى الشهوات وقال عيسى عليه السلام : مثل علماء السوء كمثل صحرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع .

الباب الخامس والثمانون

في فضل حسن الخلق

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مشياً عليه ومظهراً بعبودته لديه **﴿ وَأَنَّكَ لَفِي حَقَرٍ عَظِيمٍ ﴾** ^(٣) وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله **ﷺ** خلقه القرآن . **وسأل** رجل رسول الله **ﷺ** من حسن الخلق فقال قوله تعالى **﴿ خُذِ الْعَمْرُ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾** ثم قال **ﷺ** هو أن تصل من قطعك وتمضي من حرملك وتعمو عن ظلمك **وقال** **ﷺ** : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ^(٤) **وقال** **ﷺ** : أتقبل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق وجاء رجل إلى رسول الله **ﷺ** من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق فأثابه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين قال حسن الخلق ثم أنه من قبل شعله فقال ما الدين قال حسن الخلق ثم أنه من وراءه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت إليه وقال أما تفقه هو أن لا تمص وقبل يا رسول الله ما الشؤم قال سوء الخلق **وقال** رجل لرسول الله **ﷺ** أوصني فقال اتق الله حيث كنت قال ردي قال أتبع السنة أحسن لمحجها ، ردي قال حائلك الناس يخلق حسن ومثل عليه السلام : أي الأعمال أفضل قال خلق حسن . **وقال** **ﷺ** : ما حسن الله خلقي جيد وخلقته

(٢) آية (١٧٥) سورة الأعراف

(٤) البقي ١٠ / ١٩٢

(١) آية (١٤٥) سورة النساء

(٣) آية (٤) سورة القلم

يطعمه الله . وقال العنبري قيل لرسول الله ﷺ إن ملائكة تصوم النهار وتقوم الليل وهي ميتة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا غير فيها هي من أهل النار . وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء » (١) . ولما خلق الله الإيمان قال اللهم قربي فقواه بحسن الخلق والسخاء . ولما خلق الله الكفر قال اللهم قربي فقواه بالبحل وسوء الخلق . وقال ﷺ : إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا مرموا دينكم بهما . وقال عليه السلام - حسن الخلق خلق الله الأعظم - وقيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل إيماناً قال أحسنهم خلقاً . وقال ﷺ : إنكم لي تسموا الناس بأموالكم فسموهم بسط الوجه وحسن الخلق . وقال أيضاً ﷺ : سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل . وعن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك .

وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً . وعن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي . وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله . وعن أسامة بن شريك قال شهدت الأعراب يسألون النبي ﷺ يقولون ما غير ما أعطى العبد قال خلق حسن . وقال ﷺ : إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ ثلاث من لم يكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتقوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه أو خلق يعش به بين الناس . وكان من دعائه ﷺ في امتتاح الصلاة اللهم اهذب لأحسن الأخلاق لا يهني لأحسنها إلا أنت واصبر عني سيئها لا يصبر عني سيئها إلا أنت . وقيل فيم التجميل ؟ قال في لطف الكلام وإظهار البشر والابتسام فمن لقي الناس بالإحسان وعاملهم بالأخلاق الحسان فهو الذي يحف عليهم جانبه ويحمد إخاؤه كما قال

إذا حسوت خصال الخير أجمعها ••• فضلاً وعاملت كل الناس بالحسن
لم تعدم الخير من ذي العرش تحرز ••• والشكر من خلقه في السر والعلن

•••

الباب السادس والثمانون

في الضحك والبكاء والبأس

قال بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿ آمَنَ هَذَا الْقَدِيثَ فَتَجَوَّنَ ﴾ أي القرآن « تعجبون » منه تكديماً « وتضحكون » منه استهزاء مع كونه من عند الله تعالى « ولا تكون » خوفاً وانزعاجاً لما فيه من الوعيد « وأنتم سامعون » لا هون غاطلون عما يطلب عنكم . قال لما نزلت هذه الآية فما ضحك النبي ﷺ بعد ذلك إلا أن يتسم . وفي لفظ فما روى النبي ﷺ ضحكاً ولا مبتسماً حتى ذهب من الدنيا . وعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال خرج النبي ﷺ ذات يوم من المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون موقف ومطم عليهم ثم قال أكثروا ذكر هادم اللذات ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى فإذا قوم يضحكون فقال أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً . ولما أراد الخضر أن يفارق موسى عليهما السلام قال له عطني قال يا موسى ليأك والملاحة ولا تمشي بغير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخطيئين بمخطاياهم وابك على خطيئتك . وقال ﷺ : كثرة الضحك تغيث القلب . وقال ﷺ : من ضحك لشيا به يكي لهرمه ومن ضحك لغناه يكي لفقره ومن ضحك لحياه يكي لموته وقال ﷺ : افرأوا القرآن فإن لم تتكروا فيها كروا . وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿ لَبِضْضَكُمْ قَلِيلًا ﴾ أي في الدنيا « وليبكروا كثيراً » في الآخرة « جزاء بما كانوا يكسبون » وقال أيضاً يا عجباً من ضاحك ومن ورثه النار ومن مسرور ومن ورثه الموت . وعن ابن عباس - رضي الله عنه - شاب يضحك فقال له يا بني هل جزأت على الصراط قال لا قال هل تبين لك أنك تصير إلى الجنة قال لا قال فقبم الضحك فما روى الشاب ضاحكاً بعد ذلك . وعن ابن عباس رضي الله عنهما من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يكي . وملك الله تعالى أقواماً بالبكاء فقال تعالى : ﴿ وَيَخْرُجُونَ لِلْذِّكْرِ ﴾ وعن الأوزاعي في قوله تعالى ﴿ مَا لَهَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاها ﴾ قال الصغيرة التيسم والكبيرة الفقهة وقال ﷺ : كل حين يأكية يوم القيامة إلا ثلاثاً منها بكت من حشية الله وعبت غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله تعالى . ويقال ثلاثة أشياء تقسي القلب الضحك ما غير عجب والأكل ما غير جوع والكلام ما غير حاجة وكان رسول الله ﷺ يلس من الشيايب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك وكان يعجبه الشيايب الخضر وكان أكثر لباسه البياض ويقول ألبسوها أحياءكم وكفوتوا فيها موتاكم . وكان له ﷺ قباء مستديم فيلبسه فتعصن خضرته على بياض لونه وكان ثيابه كلها مشمرة فرق الكعبيين ويكون الأرو فوق ذلك إلى نصف الساق ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت أم سمية بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود فقال كسوته فقالت ما رأيت شيئ قط كان أحسن من بياضك على سواده . وكان ﷺ إذا لبس ثوباً ليه من قبل مياحه ويقول الحمد لله الذي كساني ما أولرى به هورتي وأجمل به في الناس وإذا

نزع ثوبه أخرجه من ميامره وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه إلا الله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واره حيا وميتا . وكانت له رحمة عبادة تفرش له حينما تنقل تنس طافين تحته وكان يتم على الحصر ليس تحته شيء غيره .

الباب السابع والثمانون

في فضل القرآن وفضل العلم والعلماء

قال رحمة : « من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر من عظمة الله تعالى (١) » وقال رحمة : ما من شيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن . وقال رحمة : أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن وقال رحمة : خيركم من تعلم العلم وعلمه وقال رحمة : إن القلوب لتتصدأ كما يتصدأ الحديد فليل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت ، وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن . قال أيضا من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه غنم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليته غنم له بطابع الشهداء .

وأما فضل العلم والعلماء فالأحاديث الواردة في ذلك كثيرة قال رحمة : من يرد الله به خيرا يقهه في الدين ويلهمه رشده . وقال رحمة : العلماء ورثة الأنبياء . ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة . وقال رحمة : أفضل الناس للمؤمن العالم الذي إذا احتيج إليه مع وإن استغنى عنه أغنى نفسه . وقال رحمة : أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد ، أما أهل العلم فليلوا الناس على ما جاءت به الرسل . وأما أهل الجهاد فليجاهدوا بأسيا فلهم على ما جاءت به الرسل . وقال رحمة : « موت قبيلة أيسر من موت عالم » (٢) وقال رحمة : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » (٣) . وقال رحمة : لا يشيع عالم من علم حتى يكون منهية الحنة . وقال رحمة : هلاك أمتي في شينين ترك العلم وجمع المال . وقال رحمة : كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة أي مفضا فتهلك . وقال رحمة : أفة العلم الخلاء . ومن أمثال الحكماء من طلب العلم للرئاسة فقد عدم التوفيق والسياسة ، قال تعالى : « ما عرفت من آياتي الذين يكثرون في الأرضي يتر الحق » وقال الشافعي - رضي الله عنه - من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه جل مقبلوه ومن تعلم الحديث قوت حجته ومن تعلم الحساب جزل رأيه

(١) الخلف السادة ٤ / ٤٦٣

(٢) الخلف السادة ١ / ٧٣

(٣) (مروء) الخلف السادة ١ / ٤١ ، وضميم الجامع (٦٤٤٧)

ومن تعلم العريب وق طبعه ومن لم يعز نفسه لم ينعمه عليه . وقال الحسن بن علي - رضي الله عنهم - من أكثر مجالسة العلماء أطلى عقل لسانه وفتح مراقي دهره وسره ما وجد من الريادة في عهده وكانت له ولاية لما بعدم وفادة لما تعلم . وقال رحمة : ادرد الله عبدا يحظر عليه العلم وقال رحمة : لا فقر أشد من الجهل .

الباب الثامن والثمانون

في فضل الصلاة والزكاة

إعلم أن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبادئ الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي التي أعطى الأعلام فقال تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وقال رحمة : بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . الحديث وتشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال تعالى « فويل للمفسكين الذين هم عن صلاتهم ساهون » وتقدم الكلام على ذلك مستوفى ، وقال تعالى « والذين يكثرزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيخرفهم بطوابيبهم » . ومعنى الإنفاق في سبيل الله إخراج الزكاة .

(فائدة) يستحب أن يطلب لصدقة أئمة الفقهاء المعروفين من الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة فإن ذلك يربو به المال . قال رحمة : لا تأكل إلا طعام نفى ولا يأكل طعامك إلا نفى . وذلك لأن لنفى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في طاعته باعانتك إياه . وكان بعض العلماء يؤثر بالصدقة فقراء الصوفية دون غيرهم فليل له لو سمعت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فإذا طرقتهم فافقه تشتت همه أحدهم فلا أرد همه واحد إلى الله عز وجل أحب إلى من أن أعطى ألفا من همته الدنيا فذكر هذا الكلام الجيد فاستحسنه وقال هذا ولي من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت مد رمان كلاما أحسن من هذا ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحائزات فبعث إليه الجنيح مالا وقال اجعله بضماعتك ولا تترك الحائزات فإن التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثم ما يتناحونه وكان ابن المدرك يحض بمعروفه أهل العلم فليل له لو سمعت فقد إني لا أعرف بعد مقام النبوة أعص من مقام العلماء فإذا اشعلت قلب أحدهم يحاحه لم يتصرع للعلم ولم يقبل على التعلم فتعريفهم بعلوم أفضل وأن يحض ذوي المعاني لا سيما ذوي لأرحام والأقارب فتكون صدقة وصلة ورحم وفي صلة الرحم ما لا يحصى من الأجر كما هو في بابه وأن يخرج الصدقة سرا ليسلم من شوم لرياء ومن ادلان معص في المال فإن رحمة : صدقة لسر بطي غضب الرب (١) وذكر

(١) (صحيح) المجم الصغير ٢ / ٩٦ ، وصحيح الجامع (٢٧٥٩)

في حديث السبعة الذين يظلم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا يعلم شئها ما أعطت يمينه نعم إن كان في أظهار الصدقة خير كان كاذباً يقتدى به غيره فلا أنس من الرياء وتجنب الامتنان كما قال تعالى ﴿ لَا تَبْلُغُوا حُدُودَكُمْ بِالْعَمَى وَالْأَذَى ﴾ (١) ففة المعروف لمن يمل يؤثر كتمانها ويستعمل نسيانها كما يجب على من صنع له معروف نشره وتبين عليه شكره كما في الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

وما أحسن قول القائل :

يد المعروف غم حيث كانت • • • تحملها كفسور من شكور

ففي شكر الشكور لها جزاء • • • وعند الله ما كفى الكفور

الباب التاسع والستون

في بر الوالدين وحقوق الآلهة

لا يخفى أنه إذا تأكد من حق القرابة والرحم فأقصى الأرحام وأسمى الولادة فيتضاعف تأكيد الحق فيها . وقد قال ﷺ : « لى يجزى ولد والده حتى يجهده مملوكا فيشره فيعتقه » (٢) . وقد قال ﷺ : بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والمعرة والجهاد في سبيل الله . وقد قال ﷺ : « من أصبح مرضيا لأبيه أصبح له بيان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى فممثل ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما . ومن أصبح مسخطا لأبيه أصبح له بيان مفتوحان إلى النار ، ومن أمسى فممثل ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما » (٣) . قال ﷺ : أن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها عاق ولا قاطع رحم . قال ﷺ : بر أمك وأباك وأعطك وأعطاك ثم أدناك فأدناك .

ويروى : أن الله تعالى قال لموسى - عليه السلام - يا موسى إني من ير والديه وعقني كتبه باراً ومن يرني وعق والديه كتبه حاقاً . وقيل لما دخل يعقوب على يوسف - عليهما السلام - لم يمش له حتى دله إليه أنتعاطم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبياً . وقال ﷺ : ما سمى أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانتا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجرهما من غير أن ينقص من أجرهما شيء . وقال مالك بن ربيعة بينما نحن رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من ير أبوى شيء

(١) سورة النور .

(٢) سورة النور .

(٣) صحيح (صحاح السنة ٦ / ٣١٦ ، وصحيح الجامع (٥٤٢٧) .

أبرهما به بعد . وعانها قال نعم الصلاة عليهما ولاستغفار لهما وإعادهما وإكرام صديقتهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما . وقال ﷺ : إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب وقال ﷺ : « بر الوالدة على الولد على شفعاء . وقال ﷺ : دعوة الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من أبر فقال بر والديك فقال ليس له والدا فقال بر ولديك كما أن لو أنيك عليهما حقا كذلك لو أنيك عليك حق . وقال ﷺ : رحم الله والدا أعان ولده على بره أى لم يحمله على العقوق بسوء عمله . وقال ﷺ : ساووا بين أولادكم في العطية وقد قيل ولديك ربحاتك تشمها سبعا وخادمك سبعا ثم هو عندك أو شريكك . وقال أنس - رضى الله عنه - قال النبي ﷺ الغلام يعني عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين فزول فرائشه فإذا بلغ عشرة سنين فحرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة فزوجه أبوه ثم أخذ يده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعود بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة . قال ﷺ : من حق الولد على الوالد أن يحسن إليه ويحسن اسمه . وقال - عليه السلام - كل غلام رهين أو رهينة بعقيقة فتذبح عنه يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة إذا دبت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أو داجها ثم قوضع على قافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الحليب ثم يغسل رأسه ويحلق بعد . وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أفسدته ويستحب الفرق بالولد . رأى الأفرح بن حابس النبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لى عشرة من الولد ما قبلت أحد منهم فقال - عليه السلام - إن من لا يرحم لا يرحم . وقالت عائشة - رضى الله عنها - قال لى رسول الله ﷺ يوما أغسل وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا إذ لم تكن له جارية . وتعثرت الحسن والنبي ﷺ على منبره فزول فحمله وقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَةً ﴾ . وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله ﷺ بالناس لما جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا قد أطلت السجود يا رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال أن ابني قد أرنحنى فكرهت أن أصبله حتى يقضى حاجته . وفي ذلك فوائد أحداها القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجدا وفي الرفق بالولد والمير وتعليم لأمة . وقال ﷺ : ربيع الولد من ربيع الجنة (١) . وقال يزيد ابن معاوية أرسل أبي إلى الأحص بن قيس فلما وصل إليه قال له يا أبا بكر ما تقول في الولد قال يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا وسمر لهم أرض دليمة وسماء طلبه وبهم نصول على كل جيلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم يحسوك ودهم ويحسوك

(١) صحيح (صحاح السنة ٦ / ٣٢٠ ، وصحيح الجامع (٣١٤٥)

جهنم ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا غريك فقال له معلومة الله أنت يا أحف لقد دخلت على وأنا مخلوع غضبا وغيتا على يزيد فلما خرج الأحف من عنده رضى عن يزيد وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقامه أباهما على الشطر .

الباب التاسعون

في حقوق الجوار والإحسان للمساكين

اعلم أن الجوار يقتضى حقا وراه ما تقتضيه أخوة الإسلام فيستحق الجوار المسلم ما يستحقه كل مسلم وريادة إذ قال النبي ﷺ : « الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجوار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك » (١) فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار . وقد قال ﷺ أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما . وقال النبي ﷺ ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه . وقال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . وقال ﷺ لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقال ﷺ أول خصمين يوم القيامة جاران . وقال عليه السلام : إذا أنت رميت كلب جارك فقد أدبته .

ويروي أن رجلا جاء إلى ابن مسعود - رضى الله عنه - فقال له إن لي جارا يؤذني ويشتتى ويشيق على فقال الذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه . وقيل لرسول الله ﷺ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤدى جيرانها فقال ﷺ هي في النار وجاء رجلا إليه - عليه السلام - يشكو جاره فقال له النبي ﷺ أصبر ثم قال له في الثالثة والرابعة أطرح منافع في الطريق قال فجعل الناس يمشون به ويقولون مالك فيقال أذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له رد منافعك فوالله لا أعود .

وروي الزهري أن رجلا أتى النبي - عليه الصلاة والسلام - فجعل يشكو جاره فأمر النبي ﷺ أن ينادى على باب المسجد ألا إن أريعين دارا جارا قال الزهري أريعون هكذا وأريعون هكذا وأريعون هكذا وأريعون هكذا وأريعون هكذا وأريعون هكذا وأريعون هكذا . وقال - عليه السلام - (اليمين والشزم في المرأة والمسكن والفرس ليمين المرأة خفة مهرها ويسر تكاحها وحسن خلقها ، وشؤمها خلاء مهرها

وعسر تكاحها وسوء خلقها ، ويسر المسكن سعة وحسن جوار أهله ، وشؤمها فسوء خلقها ، ويسر الفرس ذلة وحسن خلقه ، وشؤمها صعوبة وسوء خلقه .

واعلم أنه ليس حق الجوار كفا الأذى فقط بل احتمال الأذى أيضا فلو كان الجار إذا عطف أذاه وليس في ذلك قبيح حق ولا يكفى احتمال الأذى بل لابد من الرق وإسله والخير والمعروف إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق بجاره العني يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم تمنعني معروفه وسد بابي دومي وشكا بعضهم كثرة العار في داره فقيل له لو اقتنيت مرا عقال أحشى أن يسمع العار صرت الهر فيهب إلى دور الجيران فأكون قد أحيت لهم ما لا أحب لنفسي .

وجملة حق الجار أن يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه الشكوال ويعوده في المرض ويعزيه في اللصية ويقوم معه في العزاء ويهتبه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصمخ عن رلاته ولا يتطلع من السطح إلى عوراته ولا يضيقه في وضع الجذع على جداره ولا يصب الماء في ميزابه ولا يطرح التراب في فثاته ولا يضيق طريقه إلى النار ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره ويستتر ما يتكشف له من عوراته ويتعنه من صرعته إذا نأته نائبة ولا يتغل عن ملاحظة داره عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويص بصره عن حرمة ولا يدهم النظر إلى خادمته ويتلفظ بولده في كلمته ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودينه هذا إلى جملة الحقوق التي لعامة المسلمين . وقد قال ﷺ أتدرون ما حق الجار إن استعان بك أمته وإن استنصرك نصرته وإن استقرضك أقرضته وإن اضطر عدت عليه وإن مرض هدته وإن مات تبعه جنازته وإن أصابه محير هأته وإن أصابه مصيبة عزته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإفقه ولا تؤذنه وإذا اشترت مأكلة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك فيغيظ بها ولده ولا تؤذنه بقتار قدرك إلا أن تعرف له منها ثم قال أتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله . .

هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ . قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلغل له يسلم شاة فقال يا غلام إذا سلخت الشاة فأبدا بجارها اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول في هذا فقال إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه . وقال هشام كان الحسن لا يرى بأسا أن تظعم الجار اليهودي والنصراني من أصحابك . وقال أبو ذر - رضى الله عنه - أوصاني خليلي ﷺ وقال إذا عيشت قبرا فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها

الباب الواحد والتسعون

في عقوبة شارب الخمر

نجد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (١) الآية . . .
 في الصلاة مخرج فزول قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ﴾ (٢) الآية . . .
 فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها حرم - رضي الله عنه - فأخذ يلحق
 عبر وشج بها رأس عبد الرحمن ابن عوف ثم قعد يروح على قتل بدر فيبلغ رسول الله ﷺ فخرج
 معضبا بجر رجاءه فرغ شيئا كان في يده فغربه به فقال أعود بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل
 الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْمِرِ ﴾ (٣) الآية . . .
 لقول عمر - رضي الله عنه - انتهت انتهت .

ومن الأخبار المتفق على تحريمها قول سيفنا رسول الله ﷺ : ﴿ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَشْرَبُ خَمْرٍ ﴾ (٤) وقوله ﷺ أول ما نهاني ربي بعد عبادة الأوثان من شرب الخمر وملاحة الرجال ،
 وقوله ﷺ ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على
 بعض يتلاومون يقول أحدهم للآخر يا فلان لا جزاك الله حتى يحرقا فأنت أوردتني هذا المورد
 ليقول له الآخر مثل ذلك .

وعنه ﷺ أنه قال من شرب الخمر في الدنيا سقاء الله من سم الأسود شرة يتساقط منها لحم
 وجهه في الإناء قبل أن يشربها فإذا شربها يتساقط لحمه وجلفه ويتأذى به أهل النار إلا أن شاربها
 وحاصرها ومعتصرها وحاملها ولذمورة إليه وأكل ثمنها شركاء في إثمها لا يقبل الله منهم صلاة
 ولا صوما ولا حجا حتى يتوبوا فإن ماتوا قبل التوبة كان حقا على الله أن يستقيهم بكل جرعة
 شربوها في الدنيا من صده جهنم وأن كل مسكر حرام وكل خمر حرام .

ذكر ابن أبي الدنيا أنه مر بسكران وهو يبول في يده ويغسل به يده كهيئة المتوضا ويقول الحمد
 لله الذي جعل الإسلام بورا والماء طهورا .

وعن العباس بن مرقاس أنه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد في حرارتك
 فقال ما أنا بأخذ جهلي يبدى فأدخله في جوفى ولا أرضى أن أصبح سيد قومي وأمسى سفيهم .

(١) آية (٢١٩) سورة البقرة .

(٢) آية (٤٣) سورة النساء .

(٣) آية (٩١) سورة مائدة .

(٤) (صحيح) ابن ماجه (٣٣٧٦) ، وصحيح الجامع (٧١٧٣)

وروى البيهقي عن ابن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال اجتنبوا أم الحبيات فإنه
 كان رجلا من قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فملقته امرأة فأرسلت إليه خدما أن تدعوك لشهادة
 فدخل فطعنت عندما دخل بابا أغلقت دونه حتى إذا أقضى إلى امرأة وضيفة جلالة وعندما غلام
 وماطية فيها خمر فقالت أنا لم يدعك لشهادة ولكن دعوك لتقتل هذا العلام أو تقع على أو
 تشرب كأسا من الخمر فإن أبيت صحت بك وقضيتك فلما رأى أنه لا بد له من ذلك قال اسقني
 كأسا من الخمر فسقته قال ربي فم يزل حتى وقع عليها وقتل العس فاجتبروا الخمر فإنه والله لا
 يجتمع إيمان وإيمان في الخمر في صدر رجل أبدا يوشكن أحدهما يخرج صاحبه .

وروى أحمد وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إن آدم لما
 أعبط إلى الأرض قالت الملائكة أي رب : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
 بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قالوا ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال الله تعالى
 للملائكة علموا ملكين من الملائكة فتتظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت قال فاعبطا إلى
 الأرض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءها فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى
 تتكلما بهذه الكلمة من الإشراف لا لا والله لا تشرك بالله أبدا . فلهبت عنهما ثم رجعت إليهما
 ومعهما صبي تحمله فسألاها نفسها فقالت : لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله . فقالت
 حتى تشربا هذه الخمرة فشربا فسكرا فوقما عليها وقتلا الصبي فلما ألقاها قالت المرأة والله ما تركتما
 من شيء أبيتما على إلا فعلتما حين سكرتما ، فحبرا عند ذلك بين غلب الدنيا وغلب الآخرة
 فاختارا غلب الدنيا .

وروى عن أم سلمة - رضي الله عنهما - قالت اشتكت بنت لي فنبذت لها في كوز فدخل
 على رسول الله ﷺ وهو يعلو قال ما هذا يا أم سلمة فذكرت له أني أذكرى به ابنتي فقال ﷺ إن
 الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها . وروى أن الله تعالى لما حرم الخمر سلب منها المنافع

الباب الثاني والتسعون

في سحراج النبی - صلى الله عليه وسلم -

روى البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن
 ليلة أسرى به قال بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذا أنا في آت فقد قال وسمعت
 يقول فسق ما بين هذه إلى هذه فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني به قال من شجرة نجره إلى
 شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ففصل قلبي ثم حشني (ثم أهد) ثم

أثبت بداية دون البخل وفوق الحمار أبيهض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنى نعم
 يشرح خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فلتطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل
 من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فتنعم
 للمجىء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد
 السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح
 فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فتنعم
 للمجىء جاء ففتح . فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخلة قال هذا يحيى وعيسى فسلم
 عليهما فسلمت عليهما فردا ، ثم قال مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بي حتى أتى
 السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال
 نعم قيل مرحبا به فتنعم للمجىء جاء ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه
 فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة
 فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل
 مرحبا به فتنعم للمجىء جاء ففتح فلما خلصت إذا إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه
 فرد ثم قال مرحبا بالآخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح
 فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فتنعم
 للمجىء جاء ففتح فلما خلصت فإذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالآخ
 الصالح والنبى الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل
 قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فتنعم للمجىء جاء ففتح فلما
 خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالآخ الصالح
 والنبى الصالح فلما غمورت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لأن خلافا بعث بعدى يدخل الجنة
 من أمته أكثر منى يدخلها من أمتى ثم صعد بي حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال
 جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحبا به فتنعم للمجىء جاء ففتح
 فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام فقال
 مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رفعت إلى سلوة المنتهى فإذا بقها مثل قلال الهجر وإذا
 ورعها مثل ذب القيلة قال هذه سلوة المنتهى وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت
 ما هذان يا حنبل قال أما الباطن نهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لى اليه
 معصود يده كل يوم سمون ألف ملك ثم أثبت يده من خمر وإياه من لبن وإياه من عسل
 فأخذت اللبن فقال هى الفطرة التى أنت عليها وأنتك ثم فرغت على الصلوات خمسين صلاة
 كل يوم قال فرجعت فمررت على . . . فقال ع . . . أمرت قال فقلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم

قال إن أمك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جريت الناس قبلك هاجلت بني إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وهاجلت بني إسرائيل أشد المعالجة فأرجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال سألت ربي حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم قال فلما جاؤزت نادى مناد أمضيت فرضيته ونحفت

بر عبادي

الباب الثالث والتسعون

في فضل الجمعة

إعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخص به المسلمون قال الله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلْعَلَاءِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَفَرُوا الْفَجْعَ ﴾ (١) فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل ما راف عن السعى إلى الجمعة وقال ﷺ إن الله عز وجل فرغ عليكم الجمعة في يومى هذا فى مقامى هذا وقال ﷺ من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفى لفظ آخر فقد نبذ الإسلام وراء ظهره .

واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد الجمعة ولا جماعة فقال في النار فلم يتردد إليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول في النار .

وقى الخير أن أهل الكتائب أعطوا يوم الجمعة فاحملوا فيه نصركوا عنه وعلنا الله تعالى له
 راحته لهذه الأمة وجعله عبدا لهم فهم أولى الناس به سيقا وأهل الكتائب لهم تم .

وفي حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال أتاني جبرائيل - عليه السلام - لي كفه مرأة يدهاء وقال هذه الجمعة يرضعها عليك ريك لتكون لك عيدا ولأمتك من يمتك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو يس له قسم دخر له ما هو أعظم منه أو تعود من شر هو مكتوب عليه إلا أعطاه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الأخيرة يوم المزيدي قلت ولم قال أن ريك عز وجل اتخذ في الجنة واقعا أقبح من

المثلث أبصر ماذا كان يوم الجمعة بل تعالى من عيسى على كرسية فينبجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم وقال ﷺ طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهب إلى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المريد كذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة . وفي الخبر أن الله عز وجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار .

وفي حديث أنس - رضي الله عنه - أنه ﷺ قال : « إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام » (١) وقال ﷺ إن الجحيم تسر في كل يوم قبل الرواد عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تصع فيه . وقال كعب بن الأشعث رضي الله عنه وجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر . ويقال إن الطير والهوام يلتقي بعضها بعضا في يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح . وقال ﷺ من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووفاه ثمة القبر .

باب الرابع والستون

في حق الزوجة على الزوج

حقوق الزوجات على الأزواج كثيرة منها حسن الخلق ومعونته واحتمال الأذى مشهون ترحموا لقصور عقولهن ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢) وقال في تعظيم حقهن ﴿ وَأَحْلَنَ مِنْكُمْ فَيَافَقُوا عَلَيْهَا ﴾ (٣) وقال : ﴿ وَالصَّاحِبُ بِالْجَنِّبِ ﴾ (٤) قيل هي المرأة وآخر ما وصي به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفى كلامه جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهن ما لا يطيقن الله في النساء فإنهون عوان في أيديكم يعني أسراء أخذنوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . وقال - عليه السلام - من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه ومن صبر على سوء خلق زوجها أعطاه الله مثل ثواب أسية امرأة فرعون .

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كصف الأذى عنها بل لاحتتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وخضوعها اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحلة منهن يوما إلى

الليل . وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال أترجعيني بالكعباء فقالت إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت إن راجعته ثم قال حفصة لا تغتري بآبنة ابن أبي قحافة فإنها حب رسول الله ﷺ وخولها من المراجعة .

وروي أنه دلفت إحداهن في صدر رسول الله ﷺ فزجرتها أمها فقال - عليه الصلاة والسلام - دعيتها فأتته أكثر من ذلك وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلها بينهما أبا بكر - رضي الله عنه - حكما واستشهده فقال لها رسول الله ﷺ تكلمين أو اتكلمن فقالت بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا فلطمها أبو بكر حتى دس فوها وقال يا عدوة نفسي أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال له النبي ﷺ ثم يدعك لهذا ولا أردنا منك هذا . وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك بي الله فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول إني لأعرف غضبك من رضاك فقالت وكيف تعرفه قال إذا رضيت قلت لا وإله محمد وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم قالت صدقت إنما أجهز اسمك . ويقال إن أول حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - وكان يقول لها كنت لك كأي ذرع لأم ذرع خير أني لا أطلقك وكان يقول لسانه لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في خلاف امرأة متكن غيرها .

وقال أنس - رضي الله عنه - كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان ومنها أن يزيد على احتمال الأذى بالمداينة والزرع والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق حتى روي أنه ﷺ كان يسابق عائشة في العدو فسبقت يوما وسبقها في بعض الأيام فقال - عليه السلام - هذه بظك .

وفي الخبر أنه كان ﷺ من أنكره الناس مع نسائه . وقالت عائشة - رضي الله عنها - سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون في يرم عاشوراء فقال لي رسول الله ﷺ أتحيين أن ترى لعبهم فانت قلت نعم فأرسل إليهم فجاءوا وقال رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كعبه على الباب ومد يده ووضع ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله ﷺ يقول حبسك وأقول أسكت مرتين أو ثلاثا ثم قال يا عائشة حبسك فقلت نعم فأشار إليهم فانصرفوا فقال رسول الله ﷺ أكمل المؤمنين إيمانا أحسبهم خلقا وأطعمهم بأهله . وقال - عليه السلام - خيركم خيركم لسانه وإتخيركم لسانتي .

وقال عمر - رضي الله عنه - مع خشوته يبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا . وقال لقمان - رحمه الله - يبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي وإذا كان في القوم وجد رجلا

(١) (موضح) الأحكام ٢ / ٥٩ ، وضميف الجامع (٥٤٩) .

(٢) آية (١٩) سورة النساء

(٣) آية (٢١) سورة النساء

(٤) آية (٣٦) سورة النساء

وفي تفسير الخبير المروي أن الله يفيض الجعظري الجواظ قليل هو الشديد على أهله التكبير في عبه وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى : ﴿ عِلَّ ۖ قِيلَ الْعَتَرُ هُوَ الْعَطُّ اللَّسَانُ الْعَلِيطُ الْقَلْبُ عَلَى أَهْلِهِ ۖ وَقَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - جَلْبَابٌ هَلَا بِكَرًا تَلَاعِبُهَا وَتَلَاهِيكَ ۖ

ووصفت أعرابية زوجها وقد ماتت فثالت والله لقد كان ضحوكاً إذا ولج ، سكيناً إذا خرج ، أكلاً ما وجد ، غير مسائل عما فقد ، ومنها أن لا ينسبط في الدخابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيئته عند ما بل يراعى الاعتدال فيه فلا يذع الهية والاتقاضي مهما وراي منكراً ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة .

قال الحسن والله ما أصبح رجل يطبع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار وقال عمر - رضي الله عنه - خالعو النساء فإن خالفن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن . وقد قال - عليه السلام - تمنى عبد الزوجة وإنما قال ذلك لأنه أطاعها هواها فهو عبدها وقد تمنى فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال : ﴿ وَلَا تُرْهِمُ الْفَاهِرُونَ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ (١) إذ حق الرجل أن يكون متبوعاً لا طاعماً وقد سمي الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيداً فقال تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَهَا سَيِّدُهَا فَمَنْ لَهَا قَلْبٌ ﴾ (٢) .

قال الشافعي - رضي الله عنه - ثلاثة إن أكرمتهم أعارتك وإن أهنتهم أكرموك المرأة والخدام ولبطى . وأراد به إن محضت الإكرام ولم تخرج خلقك بليتك ونظامك يرفقت .

الباب الخامس والتسعون فحق الزوج على الزوجة

والقول الشافعي فيه أن التكاح نوع رف فهي رقيقة فعلها طاعة الزوج مطلقاً في كل ما طلبت منها في نفسها عما لا معصية فيه .

وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال ﷺ : « أيها امرأة ماتت و زوجها عنها راض دخلت الجنة » (٣) . وكان وجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها من الأسفل فمرض فأسس المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول إلى أبيها فقال ﷺ : أطيعي زوجك فماتت فاستأذنته فقال أطيعي زوجك فمرض أبوها فأسس رسول الله ﷺ إليها يحرمها أن الله قد عمر لأبيها بطاعها لزوجها . وقال ﷺ : إذا صلت المرأة حمماً

(١) آية (١١٩) سورة النساء .

(٢) آية (٢٤) سورة يوسف .

(٣) صحيح (ابن ماجه (١٨٥٤) ، وصحيح (الجامع (٢٢٢٧)

وصامت شهرها وحفظت فرجها وأدعت زوجها دخلت جنة ربها . فأضاف الزوج إلى مبادئ الإسلام .

وذكر رسول الله ﷺ النسيء فقال حاملات والذات مرضعات ورحيمات بأولادهن لولا ما يأتيهن إلى أزواجهن دخلن مصباتهن الجنة وقال ﷺ : أطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء فقلن لم يا رسول الله قال يكثرن اللعن ويكثرن المشير يعني الزوج للمعاشرة . وفي غير آخر أطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء فقلن أين النساء قال شغلن الأحمران الذهب والزعفران . يعني الحلى ومصبغات الثياب . وقالت عائشة - رضي الله عنها - أتت فتاة إلى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله إنني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لو كان من فوقه إلى قدمه صديق فلحسته ما أدبت شكره قالت فلا أتزوج قال بلا تزوجي فإنه خير .

وقال ابن عباس أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقالت إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج قال إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها من نفسها وهي على ظهر بعير لا قمعه ومن حقه أن لا تعطى شيئاً من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الزور عليها والأجر له ومن حقه أن لا تصوم تطوعاً إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها وإن خرجت من بيته بعير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب . وقال ﷺ : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها . وقال ﷺ : قرب من تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قصر بيتها وإن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في محلدها أفضل من صلاتها في بيتها . والمطبخ بيت في بيت . وذلك للتستر . ولذلك قال - عليه السلام - المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وقال أيضاً للمرأة عشر هورات . محقوق الزوج على الزوجة كثيرة وأهمها أمران أحدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبية بما وراء الحاجة والتعفف عن كسبه إذا كان حراماً ، وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل إذا خرج من منزله يقول له امرأته أو إيته إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار . وهم رجل من السلف على السر فكره جيرانه سره فقالوا المزوجة لم ترضين بسرهم ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته أكالاً وما عرفته رزاقاً ولي رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق .

ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله ﷺ : لا يحمل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فسادة فإن أطلعت من رضاء كان لها مثل أجره وإن أطلعت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر .

ومن حقاها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج كما روى أن أسماء

بت خارجة القراري قالت لا يتبها حد التزويج إنك خرجت من العيش الذي فيه خرجت فصررت إلى مواس لا يبريه وقريب لم تألميه فكوى له أرضا بكى لك سماء وكوى له مهادا بكى لك صمادا وكوى له أمة بكى لك عبدا ولا تلحقني به فيقلاك ولا تباعدني عنه فينمناك إن دنا منك فأقرب منه وأن أبى فأبعدني عنه واحفظي أنفسه وسمعه وعبه فلا يثمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا .

- غلى العفو مني تتدبني ملتي ● ولا تطغى في سورتي حين الغضب
- ولا تنظريني نظر الذم مرة ● فلو كنت لا تدبني كيف المغييب
- ولا تكثرني الشكوى فتذهب بالهوى ● ويأبك قلبى والقلوب تذهب
- فإني رأيت الحب في القلب والأذى ● إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

الباب السادس والتسعون

في فضل الجهاد

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج وقال آخر لا أبالي أن لا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام . وقال آخر للجهاد فضل مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستعيت فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل : ﴿ أَبْغِظْكُمْ سَفَاةُ الْمَنَاجِ وَعَمَلَةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِبْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

وعن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - قال فعندنا نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ مخرج علينا مقرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴾ كثير مفا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (٢) إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم ببان مرفوض (٣) إلى آخرها وفراها عليها رسول الله ﷺ

(١) آية (١٩) سورة التوبة

(٢) آية (٢-١) سورة الصف

وروى أن رجلا قال يا رسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده ثم قال هل تستطيع إذا خرج للجهاد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تقتر وتصوم ولا تعطر فقال ومن يستطيع ذلك

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال مر رجل من أصحاب النبي ﷺ يشعب فيه عيبه من ماء عذبة فقال لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ﷺ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لا تعمل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلته في بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أخزوا في سبيل الله تعالى من قاتل في سبيل الله تعالى موق ناقة وجبت له الجنة فإذا كان الصحاى الجليل لم يأذن له رسول الله ﷺ في العزلة مع اجتهداه في الطاعات وتعاطيه من الطيبات بل أوشده ﷺ إلى الجهاد فكيف يليق بنا تركه مع قلة طاعنا وكثرة سيئاتنا وتعاطينا ما جهل حظه من الأقوات وفساد المزاجم والنيات . وقال رسول الله ﷺ إن مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم الخائض الرامع الساجد . وقال رسول الله ﷺ : من رضي بالله ويا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد الخدري فقال أهدنا على يا رسول الله فأهدانا عليه ثم قال وأخري يرفع الله بها للعبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله (١) .

الباب السابع والتسعون

في مكرو الشيطان

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أيتام الشيطان فتبسم وقال لو نام لاسترحنا فإذا لا خلاص للمؤمن من نعم له ميبيل إلى دفعه وتضعيف قوته قال ﷺ إن المؤمن ينفي شيطانه كما ينفي أحدكم بغيره في سفره . وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول . وقال عيسى بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وأنا مثل الحور وأما الآن مثل المصعور قلت ولم ذاك تديس يذكر الله تعالى . فأهل التقوى لا يثمنو عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة أصى الأبواب الظاهرة والطرق الخفية التي تمضي إلى المعاصي الظاهرة وإلها يتمشرون في طرقه الخاضعة فإنهم لا يهدون إليها فيحمر سوبها لأن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد وقد اتبس ذلك الباب الواحد بهذه الطرق عامضة السالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا

(١) (صحيح) مسلم (١٨٨٤)

بصيره وحلوع شمس مشرقة والمعين البصيرة ههنا هي القلب المصطفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم العربي المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيما يهتدى به إلى غوامض طرقه وبلا طرقه كثيرة وغامضة .

قال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا من يمين الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدهو إليه ثم تلا : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّقُوا اللَّهَ لَا تَتَّبِعُوا سُبُلَ الْفُتْرَى بَيْنَ يَدَيْكُمْ مِنْ سَبِيلِهِ ﴾ . وقد ذكرنا مثالا للطريق العام من طرقه وهو الذى يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكامنة عن المعاصى الطاهرة فلندكر مثالا لطريقه الواضح الذى لا يخفى إلا أن يضطر الأحمى إلى سلوكه وذلك كما روى عن النبى ﷺ أنه قال كان راهب فى بنى إسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فختفها وألقى فى قلوب أهلها أن دوامها عند الراهب فأتوا بها إليه فلقى أن يقبلها فلم يزلوا به حتى قبلها فلما كانت عنده ليحيا بها أتاه الشيطان فزى له مقربتها ولم يزل به حتى واقمها فحملت منه فوسوس إليه وقال الآن تفتضح يأتك أهلها فأقتلها فإذن سألك فقتل مائت فقتلها ودفعها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبها ثم قتلها ودفعها فأتاه أهلها سألوها عنها فقاتل مائت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال أنا الذى ختفتها وأنا الذى ألقى فى قلوب أهلها فأطعننى تنج وأخلصك منهم قال بماداً قال أسجد لى مسجدتين فسجد لى مسجدتين فقال له الشيطان إني يرى منك . فهو الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ .

وروى أن إبليس سأل الإمام الشافعى - رضى الله عنه - ما قولك فيمن خلقتى كما اختار واستعملتني فيما اختار وبعد ذلك إن شاء أدخلتني الجنة وإن شاء أدخلني النار أعدل في ذلك أم جار ؟ فنظر في كلامه ثم قال يا هذا إن كان خلقتك لما تريد أنت فقد ظلمك وإن كان خلقتك لما يريد هو فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاصبر إلى أن صلا لا شيء ثم قال والله يا شافعى لقد أخرجت بمائتى هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبادة إلى ديوان الرندة

وروى أيضا أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم - عليهما السلام - فقال له قل لا إله إلا الله فقل كلمة حق ولا أقولها بقولك أى لأن له تليسات فى الخير كما أن له تليسات من الشر تنهاى وبها يهلك العباد والزهاد والأعيان وأصناف الخلق إلا من حمطه الله ، اللهم احفظنا من مكائده حتى نلقاك مهتدين .

الباب الثامن والتسعون

فى بيان السماع

حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن الشافعى ومالك وأبى حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظا يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه . وقال الشافعى - رحمه الله - فى كتاب أداب القصاص أن الماء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سعيه ترد شهادته . وقال القاضى أبو طالب استماعه من المرأة التى ليست محرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعى - رحمه الله - بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال : قال الشافعى - رضى الله عنه - صاحب الحارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سعيه ترد شهادته . وقال وحكى عن الشافعى أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا عن القرآن . وقال الشافعى - رحمه الله - ويكره من جهة الخبر اللعب بالقرء أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي ولا أحب اللعب بالشطرنج وأكره كل ما يلعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة .

وأما مالك - رحمه الله - فقد نهى عن الغناء ولما إذا اشترى جارية فوجدتها منسية كان له ردها . وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده وأما أبو حنيفة - رضى الله عنه - فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب . وكذلك سائر أهل الكوفة سميان الثورى وحمد وإبراهيم والشعبي وغيرهم - فهنا كله نقله القاضى أبو الطيب الطبرى .

ونقل أبو طالب المكي إباحة السماع من جماعة فقال سمع من الصحابة هبذ الله ابن جعفر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم . وقال قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابى وتابعى بإحسان وقال لم يرل الحنجزيون عندنا بمكة يسمعون السماع فى أفضل أيام السنة وهى الأيام الممدودات التى أمر الله عبده فيها بذكره كأيام التشريق ولم يرل أهل المدينة مواطن كاهل مكة على السماع إلى زماننا هذا فأذكرنا أبا مروان القاضى وله جوارى يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية . قال وكان لحظه جاريتان يلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما . قال وفيه لأبى الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسرى السقلى وفو الثون يسمعون فقال وكيف أنكروا السماع وقد أجازوه وسعه من هو خير منى فقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وإذا أنكر اللهو واللعب مع السماع .

وروى عن يحيى بن معاذ أنه قال فقلت ثلاثة أشياء فما تراها ولا أراها تزفاد إلا قلة حسن الوجه مع الضيافة وحسن القول مع الديانة وحسن لإخاء مع الوفاء . ورأيت فى بعض الكتب

هذا محكيًا بعينه عن الحارث المحامسي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهله وتصاونه وجله في الدين وتشهيره .

قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دهوة إلا أن يكون فيها سماع وحكى غير واحد أنه قال اجتمعنا في دهوة ومعا أبو القاسم ابن بنت منيع وأبو بكر بن داود وابن مجاهد في نظرهم محضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرر عن ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي فقال أبو القاسم ابن بنت منيع أما أحمد فحدثني عن صالح بن أحمد أن أبيه كان يسمع قول ابن الحبيزة فقال مجاهد لابن داود دعني أنت من أبيك وقال لا بن بنت منيع دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أشد بيت شعر أهرام فقال ابن داود لا قال فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده قال لا قال فإن أنشده وطوله ونصرته المملود ومد منه المقصور أهرم عليه قال أنا لم أقر لشیطان واحد فكيف أقرى لشیطانتين .

قال وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عند السماع وصنف فيه كتابا ورد فيه على منكره وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكره .

وحكى عن بعض الشيوخ أنه قال رأيت أبا العباس الخضر - عليه السلام - فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقلام العلماء .

وحكى عن مشاد الدهموري أنه قال رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله هل تكر من هذا السماع شيئا فقال ما أنكر منه شيئا ولكن قل لهم يقتحمون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن .

وحكى عن ظاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من أهل العلم أنه قال كنت محتكفا في جامع جدة على البحر فرأيت يوما طائفة يقولون في جانب منه قولا ويستمعون فأنكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة وهو جالس في ذلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والبي ﷺ يستمع إليه ويصيح يده على صدره كالراجل بذلك فقلت في نفسي ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر يقول فأنصت إلى رسول الله ﷺ وقال هذا حق أو قال حق من حق أنا أشك فيه . وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين وعند السماع فإنهم يسمعون بوجود ويشهدون حقا .

وعن ابن جرير أنه كان يرخص في السماع بفيل له أيوني به يوم القيامة في جملة حسانتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه نسيه بالنعو وقال الله تعالى . ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ (١) وهذا ما نقل من الأثاويل ومن طلب الحق في التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأثاويل فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأثاويل بالنشئ وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقة وذلك بالبحث عن مدارك الخطر والإباحة .

الباب التاسع والتسعون

في النهي عن البدعة واتباع الطوائف

قال ﷺ إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال ﷺ من أحدث في أمر ديننا هذا ما ليس منه فهو رد ، وقال ﷺ عليكم بستي وستة خلفاء الراشدين من بعدي فعلم من هذه الأحاديث أن كل ما خالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة فهو بدعة مردودة . وقال ﷺ : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة (٢) ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة (٣) .

وقال قتادة - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ (٤) الآية . . . أعلموا أن السبيل واحد جماعة الهدى ومسيره الجنة وأن إبليس استبدع سبلا متفرقة جماعها الضلالة مصيرها إلى النار .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال خط لنا رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال هذه سبيل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية . وعن ابن عباس هذه السبل الضلالات .

وقال ابن عبيدة هذه السبل نعم اليهودية والنصرانية واللجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع والضلالات من أهل الأهواء والشذوذ في المروء وغير ذلك من أهل العمق في الجدل والتخوض في الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء العقيد . وقال ﷺ من رعب عن متي فليس مني . وقال ﷺ ما من أمة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة إلا أضاعت مشيها من السنة (٥) وقال ﷺ أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل

(١) آية (٢٢٥) سورة البقرة .

(٢) (صحيح) أحمد ٤ / ٣٦١ ، وصحيح الجامع (٣٦٠٥) .

(٣) آية (١٥٣) سورة الأنعام .

(٤) (ضعيف) الطبراني ١٨ / ٩٩ ، وضعيف المطبع (٥١٥٥) .

محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وإنما أخشى عليكم شهوات أنفسى في بطونكم ومروجكم ومضلات الهوى ، إياكم والمحدثات فإن كل محدثة ضلالة ، وقال ﷺ : « إن الله حبيب الثوبة من كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (١) . وقال ﷺ لا يقبل الله لصاحب البدعة صوما ولا حجبا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يرفع منها إلا مالك لكل عمرة ثمرة ولكل ثمرة فترة فمن كانت شيرته إلى مستى فقد اعتدى ومن كانت شيرته إلى غير ذلك فقد هلك إلى أخاف على أمتى من ثلاث من زلة عالم وهوى متبع وحكم جائر . رواه الترمذى وحسنه في مواضع وصححه في أخرى . والثرثرة بكسر الشين وفتح الراء مشددة النشاط والهمة .

فصل في النقص من آفة اللهم

روى البخارى أنه ﷺ قال من قال لصاحبه تعالى أفامرك فليصدق . وروى مسلم وأبو داود وابن ماجه : « من لعب بتره أو نردشين فكأنما غمس يده في لحم خنزير ودمه » (٢) .

وروى أحمد وغيره أنه ﷺ قال : « مثل الذى يلعب بالنرد ثم يقوم يصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى أى فلا تقبل له صلاة كما صرح به رواية أخرى .

وأخرج البيهقى عن يحيى بن كثير قال : « مر رسول الله ﷺ على قوم يلعبون بالنرد فقال : قلوب ، لاهية وأيد عاملة وألسنة لاهية » (٣) .

وأخرج الديلمى أنه ﷺ قال : « إذا مررتم بهذا الذين يلعبون بهذه الأزام والشرطج والنرد وما كان من هذه أى وما شابه ذلك من كل لهو محرم فلا تسلموا عليهم وأن سلموا عليكم فلا تردوا عليهم . وقال ﷺ ثلاث من اليسر : القمار والغرب بالكعاب والصغير بالحمام

ومر على - رضى الله عنه - يقوم يلعبون الشرطج فقال ما هذا التماثيل التى أنتم لها حاكفون لأن يمس أحدكم جمر حتى يطفا خير له من أن يمسها ثم قال والله لغير هذا خلقتكم وقال أيضا - رضى الله عنه - صاحب الشرطج أكثر الناس كلبا يقول أحدكم قتل وما قتل مات وما مات . وقال أبو موسى الأشعرى - رضى الله عنه - لا يلعب بالشرطج إلا خاطى

واعلم أن الملاهى إما حرام كمودة وطبور ومعرفة وطبل ومزمار وما إلى بصوت مطرب إذ

انفرد ، أو مكروه وهو ما يزيد به الفناء طربا ولم يطرب منفردا كالصبيغ والنصب فيكره مع العاء لا وحده ، أو صاح وهو ما حرج عن آلة الطرب إلى إفساد كالبرق وطبل الخرب أو لمجمعة وإعلان كالدف فى النكاح .

الباب المائة

فى فضائل رجب

رجب مشتق من الترجيع وهو التعتيم ويقال له الأصب لأن الرحمة تعصب فيه على التائبين وتقضى أنواع القبول على العاملين ، ويقال له الأصم لأنه لم يسمع فيه حسن قتال وقيل رجب اسم نهر فى الجنة ساؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج لا يشرب منه إلا من صام شهر رجب قال ﷺ رجب شهر لله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى . وقال أهل الإشارة رجب ثلاثة أحرف راء وجيم وياء فالراء رحمة الله والجميم جرم العبد وجانيته والباء بر الله كأن الله تعالى يقول أجعل جرم عبدى بين رحمتى وبرى .

وعن ابن مبررة - رضى الله عنه - قال قال ﷺ من صام السابيع والعشرين من رجب كتب له صيام سنتين شهرا . وقال ﷺ ألا أن رجبا شهر الله الأصم لمن صام من رجب لئمانا واحتسابا استوجب رضوان الله الأكبر .

وقيل زين الله الشهور بأربعة ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب وواحد فرد وهو شهر رجب .

وحكى أن امرأة فى بيت المقدس كانت تقرأ كل يوم من رجب قل هو الله أحد اثني عشرة ألف مرة وكانت تلبس الصوف فى شهر رجب فمرضت وأوصت ابنها أن يدفن معها صوفها فلما ماتت كمها فى ثياب مرتعة فراها فى منامه تقول له أنا هناك غير راضية لأنك لم تعمل بوصيتى فانبث فزعها وأخذ صوفها ليغسله معها فنش قبره من بعد ما فيه فتحير فسمع نداء أما علمت أن من أطاعنا فى رجب لا تتركه فردا وحيدا .

وروى داود ثلث الليل من أول جمعة من رجب لا يبقى ملك إلا يستعمر لصوم رجب . وعن أنس رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ من صام ثلاثة أيام من شهر حرام كتب له ثواب عبادة سبعائة سنة . قال أنس - رضى الله عنه - سمعت أذناى أن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ

(٢) (صحيح) مسلم (٢٢٦٠)

(١) الملل للقتامة ١ / ١٣٨ .

(٣) البيهقى ١٠ / ٢١٦ .

الأشهر الحرم أربعة وخيار الملائكة أربعة وأفضل الكتب منزلة أربعة وأعطاه الوضوء أربعة وأفضل الحيات أربعة كلمات أربعة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعماد الحساب أربعة ، واحد وعشرات ومئات وألف والأوقات أربعة الساعة واليوم والشهر والسنة ولوصول السنة أربعة ربيع وصيف وخريف وشتاء والمطالع أربعة بحرارة وبرودة وبيوضة وورطوبة وسطاط البدن أربعة صفراء وسوداء ردم وبلغم والخلفاء الراشدون أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - وضواء الله عليهم أجمعين -

روى التلمیسی عن عائشة - رضي الله عنها - قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول يسبح الله الخبير في أربع ليالي سحا ليلة الأضحى وليلة القدر وليلة النصف من شعبان وأول ليلة من رجب - وروى التلمیسی أيضا بسنده عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال غمسي ليال لا ترد فيها دهره أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين .

الباب الأول في فضل شعبان

في فضل شعبان المبارك

سمى شعبان لأنه يتشعب منه غير كثير مشتق من الشعب بكسر الشين وهو طريق الجبل فهو طريق الخير .

روى عن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال كان رسول الله ﷺ يقول : « إذا دخل شعبان فظهروا أنفسكم وأحسنوا نيتكم فيه ورضي الله عنها - قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يعطى ويصوم حتى نقول لا يصوم وكان أكثر صيامه في شعبان » (١) .

وفي النسائي من حديث أمامة - رضي الله عنه - قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : « ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال ، رب العالمين فأحب أن يرقع عملي ولما صائم وفي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت ما رأيت رسول الله ﷺ استعمل صيام شهر قط إلا رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صيام من شعبان . وفي رواية كان يصوم شعبان كله . ولمسلم كان يصوم شعبان إلا قليلا فهذه الرواية مصورة للأولى فالمراد بكلمة أغلبه قيل أن للملائكة في السماء ليالي عيد كما أن للمسلمين في الأرض يوم عيد فعيد للملائكة ليلة البراءة وهي ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وعيد للمسلمين في يوم الأضحى فلذا سميت ليلة نصف شعبان ليلة عيد الملائكة . وذكر

السبكي في تفسيره أنها تكثر ذنوب السنة ، وليلة الجمعة تكثر ذنوب الأسبوع وليلة القدر تكثر ذنوب العصر أي إحياء هذه الليالي سبب لتكفير الذنوب وتسمى ليلة التكفير أيضا للملائكة وليلة الحياة ، لما روى الترمذي مرفوعا من أحيا ليالي العيد وليلة النصف من شعبان لم يموت قلبه يوم ماتت القلوب . وتسمى ليلة الشفاعة لما روى أنه ﷺ سأل الله تعالى ليلة الثالث عشر الشفاعة في أمته فأعطاه الثلث وسأله ليلة الرابع عشر فأعطاه الثلث وسأله ليلة الخامس عشر فأعطاه الجميع إلا من شرد على الله شراد البعير يعني من فر من الله وتباعد عنه بالإصرار على المعصية . وتسمى ليلة المعرة أيضا لما روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : « أن الله ليطلع ليلة النصف من شعبان إلى عباده فيخفر لأهل الأرض الأوجلين مشرك أو مشاحن وتسمى ليلة العتق لما روى ابن إسحاق عن أنس بن مالك بعثني رسول الله ﷺ إلى منزل عائشة - رضي الله عنها - فكنى حاجبة فقلت لها أسرعي فإني تركت النبي ﷺ يحدثهم عن ليلة النصف من شعبان فقالت يا أنس اجلس حتى أحدثك بعديث ليلة النصف من شعبان . تلك الليلة كانت ليالي من رسول الله ﷺ فجاه ودخل معي في الخافي فالتبته من الليل فلم أجده فقلت لعله ذهب إلى جاريته المقبضة فخرجت فمررت في المسجد فوقعت رجلي عليه وهو يقول سجد بك سوادى وخيالي وآمن بك فؤادى وهذه يدي وما جئت بها على عسى يا عظيم أرجى لكل عظيم إغفر الذنب العظيم ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وخلق بصوره ، ثم رقع رأسه فقال اللهم ارفع قلبي تقيا نقيما عن الشرك بر يا لا كافر ولا شقيا ، ثم عاد ساجدا فسمعته يقول أهو ذير لك من سحقك ويعصك من عقرتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، أقول كما قال أغنى فلود أحقر وجهي في الشراب لسيدى وحق لوجهي يا سيدى أن يعمر ثم رفع رأسه فقلت بأبي أنت وأمي أنت في واد وأنا في واد فقال يا حميراء أما تعلمين أن هذه الليلة ليلة النصف من شعبان إن لله عز وجل في هذه الليلة عتقاء من النار بعدد نحرهم كلب إلا ستة : لا مومن حمر ، ولا هاني لوانديه ، ولا مصر على الزنا ، ولا مصارم ، ولا مضرب ، ولا قتات . وفي رواية مصور بطل مضرب ، وتسمى ليلة القسمة والتخير لما روى عطاء بن يسار إذا كانت ليلة النصف من شعبان نسح لملك الموت كل من يموت من شعبان إلى شعبان وأن العيد ليعرس العرس وينكح الأزواج ويبنى البنيان وأن اسمه قد نسح في الموتى وما ينتظر به ملك الموت إلا أن يؤمر به فيقبضه

الباب الثاني بعد المائة

في فضل رمضان العظيم

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (١) من سعيد بن جبير - رضى الله عنه - كان صوم من قبلنا من الأتمة إلى الليلة القابلة كما كان في بناء الإسلام وقال جماعه من أهل العلم كان واجبا على التنصاري مريجا كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في أسفارهم وبعض معاشهم فاجتمع رأي كبارهم على أن يجعلوا صيامهم في فصل من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وروا فيه عشرة أيام كرامة ما صنعوا ثم أن ملكا لهم اشتكى فجعل الله عليه أن يرى من وجهه وأن يرد فيه أسرها فمات ذلك ووليهم ملك آخر فقال أتموه خمسين يوما ثم أصابتهم موتان وهو موت الهالك فقال ريدوا صياكم فزادوا عشرا فيل وعشرا بعد . وقيل ما من أمة إلا وفرض عليهم صيام رمضان إلا أنهم ضلوا عنه .

قال الجعفي والصحيح أن رمضان اسم للشهر من الرمضاء وهي الخجارة المحمة لأنهم كانوا يصومون في الحر الشديد لأن العرب لما أرادت أن تضع أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور كان في شدة الحر . وقيل صمى بذلك لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها . وفرغ في السنة الثانية من الهجرة وهو معلوم من الدين بالضرورة يكفر جناح وجوه . وورد في فضله أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها فلم يعلق منها باب في الشهر كله . وأمر الله تعالى مناديا ينادي يا طالب الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر ثم يقول هل من مستغفر فيحفر له ، هل من سائل فيعطى مؤله ، هل من تائب فيتاب عليه ، فلم يزل كذلك إلى انفجار الصبح والله كل ليلة عند الفطر ألف ألف عتيق من النار قد استوجبوا العذاب .

وعن سلمان الفارسي - رضى الله عنه - قال خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال أيها الناس قد أهداكم شهر عظيم فيه بنة القدر حبر من ألف شهر جعل الله صومه مريضة وقيام ليلة تطوها ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المراساة ، وهو شهر يزد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان له عتيق رقبة ومغفرة لذنوبه ، قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يعطيه الصائم قال يعطى الله هذا الثواب من يفطر صائما مدقة لبن أو شربة ماء أو نجرة ومن أشبع صائما كان له مغفرة لذنوبه ومقاهيه من حوضي شربة لا ينظما

بعد ما أبدا وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتيق من النار ، ومن خفف عن مملوكه فيه أحسن الله من النار فاستكثروا به من أربيع حصال . خصلتين ترخصون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم عنهما أما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتعودون به من النار ، ومنها قوله ﷺ من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورواه ﷺ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجره به . وما هيك بعبادة أعبدها البارئ تبارك وتعالى لنفسه ومنها قوله ﷺ أعطيت أمي خمس خصال في شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلها حروف دم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يعطروا ، ونصفه فيه مردة الشياطين ، ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادي الصالحون أن يكف عنهم السوء والآذى ، ويغفر لهم آخر ليلة منه ، قيل يا رسول الله أي ليلة القدر قال لا ولكن العامل يوفي أجره إذا قضى عمله .

الباب الثالث بعد المائة

في فضل ليلة القدر

روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فحجب رسول الله ﷺ لذلك وثنى ذلك لأمت فقال يا رب جعلت أمي أقصر الأم أعمارا وأقلها أعمارا فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر مدة حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله له ولأمته إلى يوم القيامة . فهي من خصائص هذه الأمة ، ويقال اسم ذلك لرجل شمعون غرا العدو ألف شهر لم يجعب لبد فرسه وقهر الكفار لما أعطى من القوة والجماعة بضاعت قلوبهم منه فبعثوا رسلا إلى امرأته وضموا لها طستا من ذهب مملوكة ذهب إن هي قيدته حتى يجسوه في بيت لهم ويستريحوا منه فلما نام بالليل أوثقت بهيل من ليف فلما اتجه حرك أعضائه فقطع الحبل قطعاً وسألها لم صنعت ذلك فقالت أجرتك فوثق فلما أغير الكفار بذلك بعثوا لها سلسلة ففعلت مثل ما فعلت فقطعها فجاء إبليس إلى الكفار وأرسلهم إلى أن تسأل المرأة زوجها أي شيء لا تقوى على فكه وقطعه فأرسلوا إليها فسألته فقال ذؤبنتي وكان له ثمانية دواب طويلة تجر على الأرض فلما قام قيدت رجله بأربعة وينيه بأربعة فجاء الكفار وأخذوه وذهبوا به إلى بيت مله بهم مقدار أربعمائة ذراع علوه ومعه اتساعه له عمود واحد فقطعوا أذنيه وشفتيه وكثروا كلهم مجتمعين لديه فسأل الله تعالى أن يقوى على فك وثاقه وعلى أن يجر العمود ويهدمه عليهم من مجاته منهم ففواه الله فتتحرك فانمك وثاقه وحرك العمود فوقع عليهم السقف فأهلكهم الله جميعا ونجا منهم ، فلما سمع أصحاب رسوا

الله ﷻ ذلك الخبر قالوا يا رسول الله هل ندرك ثوابه فقال لا أجرى ثم سأل ربه فأعطاه كما تقدم ليلة القدر ، وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷻ إذا كان ليلة القدر نزل جبريل - عليه السلام - في كبكة من الملائكة يصلون ويسمون على كل عید قائم أو قاعد يذكر الله تعالى . قال أبو هريرة - رضي الله عنه - الملائكة تنزل ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الخصى فتفتح أبواب السماء لتتزل كما ورد فتطلع الأنوار ويحصل نخل عظيم ويكشف فيها الملكوت والسموات في ذلك متفاوتون فمنهم من يكشف له عن ملكوت السموات والأرض فتكشف له الحجب عن السموات فيشاهد فيها الملائكة على صورها ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وذاكر وشاكر ومسبح ومهلل ومنهم من يكشف له عن الجنة بما فيها من دورها وقصورها وحورها وانهارها وأشجارها وأثمارها ويشاهد عرش الرحمن وهو سقفها ويشاهد منازل الأنبياء والأولياء والشهداء والصديقين ويهيم في هذا الملكوت ويتنزه في ذلك الرحمنوت ويشاهد جهنم ويشاهد دركاتهما ومنازل الكفار إلى غير ذلك ومنهم من تكشف حجبته عن جمال الله فلا يشاهد إلا إياه . وعن عمر عنه عليه - الصلاة والسلام - من أحيا ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان إلى الصبح فهو أحب إلى من قيام ليالي شهر رمضان كلها ، فقالت فاطمة يا أبت ما تصنع الضعفاء من الرجال والنساء ممن لا يقدر على القيام قال لا يضعون الوسائد فيتكون عبيها ويقعدون ساعة من ساعات تلك الليلة ويدعون الله - عز وجل - إلا كان ذلك أحب إلى من قيام أمي جميعا شهر رمضان . وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت قال رسول الله ﷻ من أحيا ليلة القدر وصلى فيها ركعتين واستغفر فيها غفر الله له وغاض في رحمة الله ومسحه جبريل بجناحه ومن مسحه جبريل بجناحه دخل الجنة .

الباب الرابع بعد المائة

في فضل العید

سمى هذا اليوم الذي هو أول شوال واليوم الذي هو العاشر من ذي الحجة عيداً لأن المؤمنين عادوا فيهم من طاعة الله تعالى التي هي أداء فريضة صيام رمضان والحيح إلى طاعة رسوله ﷺ التي هي صيام ست من شوال والتأهب لزيارته ﷺ وتكرار ذلك كل عام ، ولكثرة عوائد الله تعالى فيه بالإحسان والعود السرور بعوده وأول عيد صلاه رسول الله ﷺ عيد الفطر في السنة الثانية من الهجرة ولم يشركها فهي سنة مؤكدة . وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : « زينوا أعيادكم بالتكبير » (١) . قال ﷻ : من قال سبحان الله ويحمده يوم العيد ثلاثاً مرة وأهدأها

(١) (ضعيف) الصحيح الصغير ١ / ٢١٥ ، وضعيف الجامع (٣١٨٢) .

لأموات المسلمين دخل في كل قبر ألف نور ويجعل الله تعالى في قبره إذا مات ألف نور . وعن وهب بن منبه - رضي الله عنه - أن إبليس يرن في كل عيد فتجتمع إليه الأبالسة فيقولون يا سيدنا م غضبك فيقول إن الله تعالى غفر لأمة محمد ﷺ في هذا اليوم فليكنم أن تشغلوهم باللذات والشهوات . وعن وهب أيضاً أن الله تعالى خلق يوم عيد الفطر وغرس شجرة طوى يوم عيد الفطر . واصطفى جبريل للوحي يوم عيد الفطر وقات على سحرة فرعون يوم عيد الفطر وقال النبي ﷺ : « من قام ليلة لعید محسباً لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » (١) .

حكى أن عمر رأى ولداً له يوم عيد وعليه قميص فبكى فقال ما يبكيك فقال له يا بني أخشى أن يتكسر قلبك في يوم العيد إذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق فقال إنما يتكسر قلب من أهدمه الله وضاه أو حق أمه وأبيه وإني لأرجو أن يكون الله راضياً عني بفضلك فيكي عمر وضاه إليه ودعا له - رضي الله عنهما - .

وما أحسن قول القائل :

قالوا غدا العيد ماذا أنت لأبسه * * * نلت خلعة ساق عيده الجبرعا
فقهر وصبر ثوبان بينهما * * * قلب يرى ربه الأعياد والجمعا
العيد لي مأم إن غبت يا أملي * * * والعيد أن كنت لي مرأى ومعتما

ورود إذا كان غدا عيد الفطر يمت الله الملائكة ليهبطون إلى الأرض ويقومون على السكك فينادون بصوت يسمعه جميع خلق الله إلا الإنس والجن يقولون يا أمة محمد أخرجوا إلى رب كريم يعطي العطاء الجبريل ويغفر الذنب العظيم فإذا برزوا إلى مصلاهم قال الله للملائكة ما جزاء الأجير إذا عمل فيقولون جزاؤه أن يوفى أجره فيقول سبحانه أشهدكم أنني قد جعلت ثوابهم رضائي ومغفرتي .

الباب الخامس بعد المائة

في فضل عشر ذي الحجة

روى ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن النبي ﷺ قال : ما من أيام العمل فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر قالوا ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء ، وعن جابر بن عبد الله قال :

(١) (ضعيف) ابن ماجه (١٧٨٢) ، وضعيف الجامع (٥٧٤٦)

فإن سبب اسمه ﷺ ما من أيام أحب إلى الله وأنزل من أيام العشر قبل ولا مثلها في سبيل الله ، قال ولا مثلها في سبيل الله وعن عائشة - رضي الله عنها - أن شاكيا كان صاحب سماع وكان إذا أهل هلاك دى لحجة أصبح صائم مبلغ ذلك رسول الله ﷺ فدعاه فقال ما يحملك على صيام هذه الأيام فإن أبى أنت وأمي يا رسول الله إنها أيام المشعر وأيام الحج عسى الله أن يشركني في دعائهم . قال فإن لك بكل يوم تصومه هذا مائة رقة ومائة بشفة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله فإذا كان يوم التروية فلك فيها هذا ألف رقة وألف بشفة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله فإذا كان يوم عرفة فلك فيها هذا ألف رقة وألف بشفة وألف فرس تحمل عليها في سبيل الله تعالى ، وقال ﷺ يعدل صوم يوم عرفة بصوم ستين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة وقال أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا سُبُلَ اللَّهِ ۚ كُلُّ حِزْبٍ طَافٍ بِمَا لَصِقَ الْبَطْنُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ ۝١٦﴾ الآية . إنها العشر الأولى من ذي الحجة ، ومن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن الله اختار من الأيام أربعة ومن الشهور أربعة ومن النساء أربعة يسبقون إلى الجنة وأربعة اشتقت إليهم الجنة أما الأيام فأولها يوم الجمعة فيها ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى شيئا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وثانيها يوم عرفة فإذا كان يوم عرفة يباهي الله تعالى ملائكته فيقول يا ملائكتي انظروا إلى عبادي جاءوا شعثا حبرا قد أنفقوا الأموال وأنعموا الأبدان أشهدوا أنني غفرت لهم ، وثالثها يوم المحرم فإذا كان يوم التمر وقرب العيد قرباته فأول قطرة قطرت من القربان تكون كفارة لكل ذنب عمله العبد ، ورابعها يوم الفطر فإذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة إن كل عامل يطلب أجره وعبادي صاموا شهرهم وخرجوا من حينهم يطلبون أجرهم أشهدكم أنني قد غفرت لهم . ويأدى النادي بأمة محمد إرجعوا فقد بدلت مشيئتكم حسنت . وأما الشهور فمرحب الفرد ودو القحطة وذي الحجة والمحرم . وأما النساء فمرحب بنت عمران وحديجة بنت خويلد سافرة ساء العالمين إلى الإيمان بالله وسوله وأسفة بنت مزاحم امرأة فرعون وقاطمة بنت محمد سيدة ساء الجنة . وأما السابقون فلنكل قوم سابق قسيلا محمد ﷺ سابق العرب وسلمان سابق الفرس وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة . وأما الأربعة الذين اشتاقت لهم الجنة فعلى بن أبي طالب وسلمان الفارسي وهمل بن ياسر والمقداد بن الأسود . وعن ﷺ من صام يوم التروية أعطاه الله ثوابا مثل ثواب عيسى - عليه السلام - وعن النبي ﷺ إذا كان يوم عرفة نشر الله رحمته فليس أكثر من يوم عتفاته ومن سأل الله تعالى في يوم عرفة حاجة من حسنات الدنيا والآخرة قضاه له ، وصوم يوم عرفة يكفر سنة ماضية وستة مستقبلية (١٦) . والحكمة في ذلك والله أعلم أنه يبي عيدين وهما يوم سرور المؤمنين ولا سرور

(١٦) الآية (١٤٢) سورة الأعراف

(١٧) صحيح مسلم (١٦٦٢)

أعظم من غفران ذنوبهم ، ويوم عاشوراء يبيد الميدين لهو كفارة سنة واحدة ولأنه موسى - عليه السلام - ويوم عرفة نبييا ﷺ وكرامته تضاعف على غيره ﷺ

الباب السادس بعد المائة

في فضل عاشوراء

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال قدم النبي ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون عاشوراء لأنهم من ذلك فقالوا إن هذا اليوم أظهر فيه موسى وبنو إسرائيل على قوم فرعون فنحن نصومه تعظيما له فقال النبي ﷺ نحن أولى بموسى منكم فأمر يصومه وقد ورد في فضل عاشوراء آثار كثيرة منها أنه تيب على آدم فيه وكان خلقه فيه وفيه أدخل الجنة وفيه خلق المرش والكرسي والسموات والشمس والقمر والنجوم وولد إبراهيم الخليل فيه وكانت نجاة من النار فيه وكلكت نجاة موسى ومن معه وإخراق فرعون ومن معه وفيه ولد عيسى وفيه رفع إلى السماء وفيه رفع إدريس مكانا عليا وفيه استوت سبعة نوح على الجودي وأعطى فيه سليمان الملك العظيم وأخرج يونس من بطن الحوت ورد بصير يعقوب عليه وأخرج يوسف من الجب وكشف عن أخيه وأول مطر نزل من السماء إلى الأرض كان يوم عاشوراء وكان صومه معمولا بين الأمم حتى قيل بأنه فرض قبل رمضان ثم نسخ به وصام ﷺ قبل الهجرة ، ولما دخل المدينة أكد طلبه حتى قال ﷺ في آخر عمره الشريف إن عشت إلى قابل لأصوم التاسع والعاشر فانتقل إلى الرليق الأعلى من عدمه ولم يصم غير العاشر لكنه رغب فيه وفي صوم التاسع والعاشر حشر بقوله ﷺ صوموا قبله يوما وبعده يوما خالفوا سنة اليهود . أي حيث أفردوه بالصوم . وروى البيهقي في شعب الإيمان من وسع على عياله وأهله في يوم عاشوراء وسع الله عليه في سائر سنته وفي رواية منكره للطبراني الصدقة فيه بدرهم بسبعمائة ألف درهم وأما حديث من اكتحل يومه لم يرم ذلك العام ومن اعتسل فيه لم يرم من فموضوع . وقد صرح الحاكم بأن لاكتحال يومه بدعة ، وقال ابن القيم حديث الاكتحال وطيخ الجيوب والأدهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكلبيين .

واعلم أن ما أصيب به الحسين - رضي الله عنه - يوم عاشوراء إنما هو الشهادة الثالثة على مريد رفعتة وخرجته عند الله والحقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه فلا يبي أن يشع إلا بالإسراج ، مبتالا للأمر وإحرازا لمرته تعالى عليه بقوله ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ صُلَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَنْتَ هُمْ الْمُتَهَنِّدُونَ ﴾ (١) وإياه ثم إياه أن يشتمل سدع الرافضة ويحرم من

(١) آية (١٥٧) سورة البقرة

السبب والباحة والحرث [د ليس ذلك من أخلاق المؤمنين والآن يكون يوم وفاة جده ﷺ أولى بذلك وأحرى وحيينا الله تعالى وحده ونعم الوكيل .

الباب السابع بعد المائة

في فضل ضيافة الفقراء

قال ﷺ : لا تكلموا المضيف فتبتفضوه فإنه من أيتس الضيف فقد أبتس الله ومن أنفست الله أبتسه الله (١) وقال ﷺ : لا خير ليمس لا يضيف (٢) . ومرو رسول الله ﷺ برجل له ابل ويفر كثيرة فلم يضيفه ومرو امرأة لها شويهاة فلبحت له فقال ﷺ انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمسحه خلقا حسنا فعل . وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ أنه نزل به ﷺ ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلتني شيئا من الدين إلى رجب فقال اليهودي والله لا أسلعه إلا برهن فأخبرته فقال والله إنني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفتني لأدته فأنهض بدمعي وأرهنه عنده ، وكان إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه وسلامه - إذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يتمس من يتغذى معه وكان يكتي أبا الضيفان ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا وبأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة . وقال قوام الموضع أنه لم يخل ليلة عن ضيف . وسئل رسول الله ﷺ ما الإيمان فقال إطعام الطعام وبذل السلام وقال ﷺ في الكفارات والدرجات إطعام الطعام وطيب الكلام . وقال أسد رضى الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة . والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى .

وما أحسن قول القائل :

لم لا أحبيب الضيف أو ••• إزراح مسن طمرب إليه

والضيف يأكل وزقه ••• عندي وشكرني عليه

ومن كلام الحكماء لا تتم الصنعة إلا بطلاقة الوجه وحسن الحديث ولطف اللقاء وقال آخر :

أصاحبت ضيفي قبل أنزل رحله ••• ويغصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف في كثرة القرى ••• ولكتما وجهه الكريم غصيب

(١) بحاف البداة ٥ / ٢٣٨

(٢) (صحيح) أحمد ٤ / ١٥٥ ، وصحيح الجامع (٧٤٩٢)

فينبغي للداعي أن يعتمد بدعوته الانتباه دون الفساق قال ﷺ : أكل طعامك الأبرار في دهائه لبعض من دعا له . وقال ﷺ : لا تأكل إلا طعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى (١) ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص . قال ﷺ : شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء (٢) . ويبقى أن لا يحمل آثاره في ضيافته فإن إهمالهم إباحش وقطع رحم وكذلك يراعى الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إباحشا للقلوب الباقين ويبقى أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتعاخر بل استمالة قلوب الإخوان وأحسن سعة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين ويبقى أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة أو يتأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب ، ويبقى أن لا يدعو إلا من يحب إجابته . قال سفيان من دعا أحدا إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطبة فإن أجاب الدعوة فعليه خطبتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة ولو علم ذلك لم كان يأكله . وإطعام التقى إهانة على الطاعة وإطعام الفاسق تقوية على السق وقال رجل غياط لابن المبارك أن أخيط ثياب السلاطين فهل تحاف أن أكون من أحوال الظلمة قال لا ، إنما أحوال الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنتهم وأما الإجابة فهي سنة مؤكدة ، وقد قيل بوجودها في بعض المواضع . قال ﷺ لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدى إلى دراع لقبلت وللإجابة خمسة آداب مذكورة في إحياء علوم الدين وغيره .

الباب الثامن بعد المائة

في الكلام على الجنائز والقبر

إعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه له وتذكير لأهل الخلفة فإنها لا تزيدهم مشاغلهم إلا قسوة لأنهم يظنون أنهم أبدا إلى جنارة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون أو يحسبون ذلك ولكنهم قبل حساباتهم وانقرض ولا يتفكرون أن النحومين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون قبل حساباتهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظر هبد إلى جنازة إلا ويقرر نفسه محمولا فاته محمول عليها على القرب ولعله في غدا أو بعد غد . ويروى عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أنه كان إذا رأى جنازة قال أمضوا فإننا على الأثر . وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال أغدوا فربما راحتمون مرة واحدة بليلة وخمسة عشرة يذهب الأول والآخر لا عقل له وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة فحدثني نفسي بشيء سوى ما هو معمول به وما هو صائر

(١) انحاء السادة ٤ / ١٢٨

(٢) (صحيح) البخاري (٥١٧٧)

إليه ، ولما مات أخوه مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تفر هيتي حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ولا أعلم مادمت حيا

وقال الأعمش كتبنا تشييد الجنائز فلا نرى من نعزي لحزن الجميع . وقال ثابت البناني كتبنا تشييد الجنائز فلا نرى إلا متنعما بأكياء مهكبا كان حورهم من الموت ، والآن لا ننظر إلى جماعة يحسرون حنارة إلا وأكثرهم مصحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتعكر أقرابه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتعكر واحد منهم إلى ما شاء الله في حناره بمسه وفي حاله إذا حصل عليها ولا سبب لهذه العفلة إلا فسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسي الله تعالى واليوم الآخر والأحوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونعمل وبشغل بما لا يعنيننا ، فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال العاصرين على الجنائز بكاءهم على الميت ولو عفلوا ليكوا على أنفسهم لا على الميت . نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة وجه ملك الموت وقد رأى ومرارة الموت وقد ذاق وعذوبة الحفاضة وقد آمن . وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يعلو على كتابه فمرأ فاطمت جنازة : فقال :

نسرونا الجنائز مقبلات * * * ونلهو حين تذهب منبرات

كروعة ثلثة لفار ذكب * * * فلما غاب عادت رائعات

فمن آداب حضور الجنائز التفكير والتبني والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرت آدابيه وسنه في فن الفقه ومن آدابيه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح فإن الحفاضة خطيرة لا تدري حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن در أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجأى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا أبا ملان فلقد صحيت عمرك وبالتواحد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب وقو خطايا فمن منا غير مذنب وغير دى خطايا

ويحكى أن رجلا من المنهمكين في انصاف مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعيها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه فكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملتها إلى المصلى فلما صلى عليه أحد فحملتها إلى الصحراء للدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرأته كالمنظر للجسارة ثم قصد أن يصلى عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلى على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتصبحت الناس من

صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام ينزل إلى موضع كنا نرى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصل عليها فإنه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت بحيرته ، قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين شيئا من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء كان إذا أفاق من سكره وقت الصبح يندب ثيابه ويوضأ ويصلى الصبح في جماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتمل بالنفس ، والثاني أنه كان أبدا لا يحلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد الاعتقاد لهم ، والثالث أنه كان يعيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب أي زاوية من روايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الحديث يعني بمسه . فتنصرف الراعد وقد ارتفع إشكاله من أمره قال الضحكك قال رجل يا رسول الله من أزهده الناس قال من لم ينس القبر وأقلى وترك فضل زينة الدنيا وأثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد هذا من أيامه وعد نفسه من أهل القبور .

وقيل لعلى - كرم الله وجهه - ما شأنك جاورت المقبرة قال إني أجدهم خير جيران إني أجدهم جيران صدق يكون الألسنة ويذكرون الآخرة . وكان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحية فمثل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي إذا وقت على قبر فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإلا لم يسج منه فما بعده أشد ^(١) . وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحسب أن أتقرب إلى الله بهما . وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعلنت لك فما أعلنت لي .

وقال أبو ذر ألا أخبركم يوم تقرى يوم أوضع في قبري .

الباب التاسع بعد المائة

في التخييف من عذاب جهنم

أخرج البخاري كان أكثر دهاء النبي ﷺ ربنا أننا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا هذاب النار . وأبو يعلى أنه ﷺ خطب فقال لا تنسوا العظيمتين الجنة والنار ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جاتين لحية ثم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة لأشيتهم على الصعيد وأخيتهم على رؤوسكم التراب . والطبراني في الأوسط جاء جبري إلى النبي ﷺ في حين

عن حبه الذي كان يأتيه فيه فقام إليه رسول الله ﷺ فقال يا جبريل مالي أولئك متعير اللود فقال ما حدثت حتى أمر الله عز وجل بمذبح النار فقال رسول الله ﷺ يا جبريل صف لي اسرار أو ابعث لي جهنم فقال جبريل إن الله تبارك وتعالى أمر بجحيم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى أحمرت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى أسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شروها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق نبيا لو أن قدر تقب ليرة فتح من جهنم مات من في الأرض كلهم جميعا من حره والذي بعثك بالحق لو أن حاربا من حرمة جهنم برد إلى أهل الدنيا مات من في الأرض كلهم جميعا من قبح وجهه ومن من ربحه والذي بعثك بالحق لو أن حلقه من خلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لأرغمت وما تقاربت حتى تنتهي إلى الأرض السفلى فقال رسول الله ﷺ حسبي يا جبريل لا تصدع قلبي فأمرت قال فظن رسول الله ﷺ إلى جبريل وهو يكي فقال يكي يا جبريل وأنت من الله بالمكان الذي أنت به فقال وما لي لا أكي وأنا أحق باليكاء لعلي أكون في علم الله على غير الحال التي أنا عليها وما أدرى لعلي إيتني بما ابتلى به إبليس فقد كان من الملائكة وما أدرى لعلي إيتني بما ابتلى به هاروت وماروت قال يكي رسول الله ﷺ ويكي جبريل فما زالا يكيان حتى نوذيا أن يا جبريل ويا محمد إن الله تعالى قد أمركما أن تعصيا فارتفع جبريل وخرج رسول الله ﷺ فمر بقوم من الأنصار يضحكون ويلعبون فقال أتضحكون ووراءكم جهنم فلو تعلمون ما أحلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أو أسفتم الطعام والشراب وخرجتم إلى الصعدات فجأروا إلى الله عز وجل - فنودي يا محمد لا تقط عبادي إنما بعثك مشرا ولم أبعثك مبشرا فقال ﷺ سددوا وقاربوا .

وروي أنه ﷺ قال لجبريل مالي لا أرى ميكائيل ضاحكا قط قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ، وابن ماجة والحاكم وصححه أن تارككم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم ولولا أنها أطفئت بماء مرتين لما انتقمتم بها وإنها لتدعو الله عز وجل أن لا يعيدها فيها . والبيهقي أن عمر - رضي الله عنه - قرأ : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَتْ لَهُمْ جُلُودًا غَيْرُهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ (١) قال يا كعب أخبرني بتفسيرها فإن صدقت صدقتك وأن كذبت رددت عليك فقال إن جلد ابن آدم يعرف في ساعة أو في يوم ستة آلاف مرة قل صدقت والبيهقي أن الحسن البصري قال في الآية تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قبل لهم حودوا فيعودون كما كانوا . ومسلم يؤتى بأسم أهل الدنيا من أهل النار فيصعب في النار صبغة ثم يقال له يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط فيقول ما رأيت خيرا قط . ويؤتى بأبأس أهل الدنيا فيعص في آفة غصة ثم يقال له هل رأيت مؤثما قط فيقول ما مؤثما في يؤس قط ولا رأيت شدة قط . وروي ابن ماجة يرسل البكاء على أهل النار فيكون حتى تنقطع الدموع ثم يكون الدم حتى يصير في وجوههم كهية الأحود لو

(١) الآية (٥٦) سورة النساء

أرسلت فيها السفن لجحمت . وأبو يعلى يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتابكوا فإن أهل النار يكون في النار حتى تسيل دموعهم في عذوبتهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسول يعني الدم فتفرح العيون .

الباب العاشر بعد المائة

في الميزان والصراط

أخرج أبو داود عن الحسن بن عاتشة أنها كتبت فقال رسول الله ﷺ ما يبكك قالت ذكرت النار يبكيت مهمل تذكرون أهلكم يوم القيامة ، فقال ﷺ أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أحسن ميزانه أم يشقى ، وعند نظائر الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره ، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حتى يعلم أيجوز أم لا ، والترمذي عن أنس - رضي الله عنه - قال سألت رسول الله ﷺ أن يشع لي يوم القيامة قال أنا فاهل إن شاء الله تعالى قلت فأين أطبق قال أول ما تطبني على الصراط قلت فإن لم ألتك على الصراط قال فاطبني عند الميزان قال فاطبني عند الجوز فإني لا أخطئ . هذه الثلاثة مواطن .

وروي الحاكم يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزنت أو وضعت فيه السموات والأرض لو وضعت فتقول الملائكة يا رب لم يزن هذا ، فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة سبحانك ما عندك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد موسى فتقول الملائكة من يجوز على هذا فيقول من شئت من خلقي ليقولون سبحانك ما عندك حق عبادتك . وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرفف مدحضة مزلة عليه كلاليب من نار يختطف بها ممسك يهوى فيها ومصروع ومنهم من يمر كالبريق فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو ثم كجرى الفرس ثم كسعى الرجل ثم كمرل الرجل ثم كمشى الرجل ثم يكون آخرهم إنسانا رجل قد لوحته النار ولقى فيها شرا ثم أدخله الله الجنة بفضلته وكرمه ويقال له ممن وصل فيقول أي رب أنهزأ مني وأنت رب العزة فيقال له ممن وصل حتى إذا انقطعت به الأماني قال لك ما سألت ومثله معه . وروي مسلم عن أم مبشر لأصحابها - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حمصة رضي الله عنها لا يدخل النار إن شاء الله تعالى أحد من أصحاب الشجرة الذين يابحوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فلتعزها فقالت حمصة - رضي الله عنها - وإن منكم إلا واردها فقال النبي ﷺ قد قال الله تعالى :

﴿ثُمَّ نَجَّى الدِّينَ فَقَرَأَ وَاذْكُرَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جُنُودًا﴾ ^(١١) وروى أحمد أن جماعة اختلفوا في الورد فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعاً ثم ينجى الله الدين انقوا فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم لا يدخلها مؤمن

الباب الحادي عشر بعد المائة

فی وفاة النبی - صلی اللہ علیہ وسلم -

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - « دخلنا على رسول الله ﷺ بينت أمنا عاتكة - رضي الله عنها - حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت حينئذ ﷺ ، ثم قال مرحبا بكم حياكم الله أراكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله إنى لكم منه خير ميم إن لا تعملوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمقلب إلى الله وإلى سيرة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأولى فالزموا على أنفسكم وعلى من فعل في دينكم بعدى مني السلام ورحمة الله » (٢).

وورى أنه ﷺ قال جبريل - عليه السلام - عند موته من لأمى بعدى ، فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبي أنى لا أخذه فى أمته ، وبشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأم حتى يدخلها أمته ، فقال الآن قرت عيسى وقالت عائشة - رضى الله عنها - أمرنا رسول الله ﷺ أن يغسله ب سبع قرب من سبعة أبار ففعلنا ذلك فوجدوا حية فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوحى بالأنصار لا تزيد على مئتي ألف من عليها اليوم وأن الأنصار عيشة النى أوتيت إلهيا فأكرموا كريمهم يعنى محمداً ﷺ وتجاوزوا عن مسيئتهم قم قال أن عبداً غير بين الدنيا وبين ما عند الله فاتحار ما عند الله فيكى أبو بكر - رضى الله عنه - وظن أنه يريد نفسه فقال لى ﷺ على رسلك يا أبا بكر سلوا هذه الأبواب والشوارع فى المسجد ، وإلا ياب أبى بكر فإنى لا أعلم امرأ أفضل عنى فى الصلابة من أبى بكر قالت عائشة - رضى الله عنها - فقبض ﷺ فى يتي وفى يومى وبين مسحوى ونسحرى وحمد الله

(١) آية (٧٦) سورة مريم

19A / (عجله) (7)

بين ريقى وريقه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن وبيده سواك فحمل ينظر إليه فعرفت أنه يحبه ذلك فقلت له أخطفك لك فأرما برأسه أى نعم فتأوك إياه فأدخله فى فيه فاشتد عليه فقلت: إليه لث فأوما برأسه أى معم فليته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدهس فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن لمعرت لسكرات ثم نصب يده يقول الرميض الأعلى الرميض الأعلى فقلت إذا والله لا يختارنا .

وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأيت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزاد تنظيراً لأطرافهم بالمسجد فدخل العباس - رضي الله عنه - على النبي ﷺ فأعلمته بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمته بمثل ذلك ثم دخل عليه علي - رضي الله عنه - فأعلمته بمثله ، فمجد يده وقال ما فتأولوه فقال ما تقولون قالوا نقول محشى أن الموت ونصايح سألهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ فسار رسول الله ﷺ متوكئاً على علي والفضل ، والعباس أمامه ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجله حتى جلس على أسفل مرقاة من الثبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تفكرون من موت نبيكم ألم أبع إليكم وتعي إليكم أنفسكم هل عثدت نبي قبلي فيمن بعث فأخلف فيكم ألا إنني لأحق بربي وإتاكم لأحقون به وإنني أوصيكم بالمهاجرين فيمن بعث خيراً وأوصى المهاجرين فيما بينهم فإن الله - عز وجل - قال : ﴿ وَالْفَضْرِي ﴾ إن الإلهان لي خسر ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) إلى آخره . وأن الأمور تجري بإذن الله فلا يحمنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله قلبه ومن خادع الله خدعه فهل حسيتم إن توليتهم أن تصدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيراً ، فإنهم الذين تنوءوا الذار والإيمان من قلوبكم أن تحسبوا إليهم ، ألم يشاؤروكم الثمار ألم يؤسّموا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ، ألا قص ولي أن يحكم بين رجس قليل من محسبهم وليتجاوز عن مسيئتهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإنني فرط لكم وأنتم لأحقون بي ألا وإن موعدكم الخوض حوضي أعرض عما بين بصري الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماؤه أقصد يأنسا من لبس والين من الزبد وأحلى من الشهد ، من شرب منه لم يظم أبداً حصيلاً للؤلؤ ويطحاه المسك ، من حره في الموقف غدا حرم الخير كله ، ألا فمن أحب أن يرد علي غدا فليكشف لسانه ويده إلا عما ينقي . فقال العباس يا نبي الله أوصي بقريش فقال إني أوصي بهذا الأمر قريشاً والناس تبع لقريش يرههم لجرهم ولأجرهم لفأجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيراً يا أيها الناس إن مذئوب تعير الجمع وتبدل القسم فإذا بر الناس برهم ألبتهم وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُلْهِى بَعْضَ الْمُنَافِقِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٢) وروى ابن مسعود -

(١) آية (٣٠-١) سورة الأنعام .

(٢) أية (١٢٩) ضرورة الانضمام

رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال لأبي بكر - رضى الله عنه - سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتدلى فقال ليتهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن متقلبنا فقال إلى الله وإلى سدة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأولى والرفيق الأعلى والحظ والتميش المهنأ ، فقال يا نبي الله من يلى غسلك ، قال رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قال فقيم نفسك قال ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر ، فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلتموني وكفتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عنى ساعة فإن أول من يصلى على الله عز وجل : ﴿ هو الذي يصلى عليكم وملائكته ﴾ (١) ثم يأذن للملائكة في الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسماعيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها - صلى الله عليهم أجمعين - ثم أنتم فادخلوا على أفواجاً فصلوا على أفواجاً زمرة زمرة وسلموا تسليماً ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم الأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم ويرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى . وقالت عائشة - رضى الله عنها - فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله ﷺ رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوادثهم مستبشرين وأدخلوا رسول الله ﷺ بالنساء فبينما نحن على ذلك لم تكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك إذ قال رسول الله ﷺ اخرجن عنى هذا الملك يستأذن على فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتحنيت فى جانب البيت فناحى الملك طويلاً ثم إنه دهاتى فأعاد رأسه فى حجرى وقال للنسوة ادخلن ، فقلت ما هذا يحسن جبريل - عليه السلام - فقال رسول الله ﷺ أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال إن الله - عز وجل - أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا بإذن فإن لم تأذن لى أرجع وأن أفتن لى دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك ، أكف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهله ساعة جبريل قالت عائشة - رضى الله عنها - فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجئنا وكأنا نمرينا بصاحبة ما نحير إليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لتلك الأمر وهيبة ملائكة أجوافنا قالت وجاءه جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت قد دخل فقال إن الله - عز وجل - يقرأ عليك السلام ويقول كيف تحمدك وهو أعلم بالذى تحمدك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرقا وأن يتم كرامتك وشرقا على الخلق وأن تكون سنة فى أمك فقال أجدنى وجعا فقال أبشر فإن الله تعالى أراد أن يهلك ما أعد لك فقال يا جبريل أن ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريد بك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبداً إلا أن

ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذا حتى يجيىء وأذن للنساء فقال يا فاطمة انزلى فأكبت عليه فتناجها فرفعت رأسها وعيناها تسمع وما تطبق الكلام ثم قال أدنى منى رأسك فأكبت عليه فتناجها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطبق الكلام فكان الذى رأينا عنها عجيباً فسألناها بعد ذلك فقالت أخبرنى وقال إنى ميت اليوم فيكبت ثم قال إنى دهوت الله أن يلمحك بى فى أول أهلى وأن يجعلك معى فضحكت وأدنت ابنها منه فشبهما ، فقالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد قال الحقنى برى الآن فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد على أحد ترده عنك ولم ينه عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج . قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما نزل فيه إلى الأرض أبداً طوى الوحى وطوى الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقعى لا الذى بعث محمد بالحق ما لى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه ووجدنا وأشفقنا ، قالت فقمتم إلى النبى ﷺ حتى أضع رأسه بين ثنئى وأمسكت بصدرة وجعل يغنى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته من إنسان قط فجعلت أملت ذلك العرق وما وجدت رائحة شىء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح ، فقال يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس للكافر تخرج من شديده كغض الحمار فعند ذلك ارتعدنا وبصنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أى بعته إلى أبى فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيىء أحد وإنما صدمه الله عنه لأنه ولأه جبريل وميكائيل وجعل إذا أغنى عليه قال بلى الرفيق الأعلى كأن الخيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة .

قالت عائشة رضى الله عنها مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانقضاء النهار يوم الاثنين ، قالت فاطمة رضى الله عنها ما لقيت من يوم اثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة ، أو قالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات رسول الله ﷺ وفيه قتل على وفيه قتل أبى فما لقيت من يوم الاثنين . وقالت عائشة رضى الله عنها لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حتى ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بشوى فاختلفوا فكذب بعضهم بموته واخرس بعضهم لما تكلم إلا بعد البعد وغلط آخرون فلاتوا الكلام بغير بيان وبقى آخرون معهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن اخرس ولم يكن أحد من المسلمين فى مثل حال أبى بكر والعباس فإن الله - عز وجل - أبدعهم بالتوفيق والسادد وإن كان الناس لم يرفعوا إلا يقول أبى بكر حتى جاء العباس فقال والله الذى لا إله الا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت ولقد قال وهو

بين أظهركم : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِلَهُم مَّيْمُونٌ ﴾ (١) لَمْ إِلَٰكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَسَدٌ رِيحُكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿ (٢) وبلغ أبا بكر الخير وهو في بني الحارث بن الخزرج فجهاد ودخل على رسول الله ﷺ فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله لينبك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله ﷺ ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت ، فقال الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الْإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَاقِيَكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَتَّبِعْ عَلَى هُدًى ﴾ (٣) الآية . فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يرمونه .

وفي رواية أن أبا بكر - رضي الله عنه - لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلي على النبي ﷺ وميثاء تهملان وعصمه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد القمل والمقال فأكب عليه فكشف عن وجهه فقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعله يركي ويقول بأبي أنت وأمي وتغنن وأهلى طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء فعمطت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت سلاة وعممت حتى صرنا بك سواء ولو لا أن موتك كان اختيارا منك لجئنا لحزتك بالنفوس ولو لا أنك نهيت عن البكاء لانتقلنا عليك ماء الميرون فلما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفاً لا يرحان اللهم فأبلغه عنا . اذكرنا يا محمد - صلى الله عليك - عند ربك ولنكن من بالك فلولاً ما خلقت من السكينة لم يفهم أحد لما خلقت من الوحشة إنهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا وليكن هذا آخر ما أقدرنا الله عليه واجذب قلوبنا إليه ليكون لنا برسول الله أسوة حسنة وأرجو من الله أن يبدل السيئة بالحسنة وأن يلمحنا بيننا ﷺ على الإيمان إنه أكرم مسؤول وأعز مأمول والحمد لله رب العالمين .

يقول مصححه الخائف وعيد ربه الراجي منه الوعد طه بن عبد الرزاق سعد :

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات ونشهد إلا إله إلا الله شهادة تشغل ياربنا بها لنا ميزان الحسنات وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا بهوته واتبع سبيل المؤمنين .

أما بعد : فقد تم هذا الكتاب الشريف فذلك الصرح الفخم المنيف أرجو من الله أن يتوب ويغفر لكل من ساعد في نشر هذا الكتاب وتكل من قرأه أو سمعه واجعلنا من الذين يسمعون القول فيشبعون أحسنه واجعلنا من الذين يقولون فيفعلون ويقولون فيخلصون ويخلصون فيقبلون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

(١) آية (٣١-٣٠) سورة الزمر . (٢) آية (١٤٤) سورة آل عمران .

ترجمة حياة الإمام الغزالي

- ٥ في بيان الخوف
- ٧ في الخوف من الله تعالى
- ١٠ في الصبر والمرض
- ١٢ في الرياضة والشهوة النفسانية
- ١٥ في غلبة النفس وعداوة الشيطان
- ١٦ في الغفلة
- ١٩ في نسيان الله تعالى والفسق والتفك
- ٢١ في التوبة
- ٢٤ في المحبة
- ٢٦ في العشق
- ٢٩ في طاعة الله ومحبة ومحبة رسول الله ﷺ
- ٣٤ في ذكر إبليس وعذابه
- ٣٦ في الأمانة
- ٣٨ في إتمام الصلاة بالخضوع والخشوع
- ٤١ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٤٤ في عداوة الشيطان
- ٥٢ في بيان الأمانة والتوبة
- ٥٧ في فضل الترحم
- ٥٩ في بيان الخشوع في الصلاة
- ٦٢ في بيان الغيبة والندبة

- في بيان الزكاة ٦٦
- في بيان الزنا ٦٧
- في صلة الرحم وحقوق الوالدين ٧٢
- في بر الوالدين ٧٦
- في الزكاة والبخل ٧٨
- في طول الأمل ٧٩
- في ملازمة الطاعة وترك الحرام ٨٤
- في بيان ذكر الموت ٨٨
- في ذكر السموات والأجناس المختلفة ٨٩
- في بيان الكبرى والعرش وبيان الملائكة والأرزاق والترك ٩١
- في ترك الدنيا ودمها ١٠٢
- في ذم الدنيا ١٠٦
- في فضل القناعة ١١٠
- في فضل الفقراء ١١٥
- في اتخاذ ولي من دون الله وفي بيان العرصات ١١٧
- في النفخ والفرع والحشر من المقابر ١٢٠
- في بيان القضاء بين الخلائق ١٢٢
- في بيان ذم المال ١٢٥
- في الأعمال والميزان وعذاب النار ١٣١
- في فضل الطاعة ١٣٣
- في الشكر

- في بيان ذم الكبر ١٣٩
- في التفكير في الإيمان وغيرها ١٤١
- في بيان شدة الموت ١٤٤
- في بيان القبر وسؤاله ١٤٧
- في بيان علم اليقين وعين اليقين والسؤال يوم العرض ١٤٨
- في فضل ذكر الله تعالى ١٥١
- في فضل الصلوات ١٥٢
- في بيان عقوبة تارك الصلاة ١٦١
- في بيان عرصات جهنم وعذابها ١٦٣
- في بيان عذاب جهنم أيضاً ١٦٦
- في بيان فضل الخوف من الذنب ١٦٨
- في بيان فضل التوبة ١٧٢
- في بيان النهي عن الظلم ١٧٤
- في النهي عن ظلم اليتيم ١٧٥
- في بيان ذم الكبر ١٧٧
- في فضل التواضع والقناعة ١٧٩
- في بيان غرور الدنيا ١٨١
- في بيان ذم الدنيا والتحذير منها ١٨٥
- في فضل الصدقة ١٨٧
- في قضاء حاجة أخيه المسلم ١٨٨
- في فضل الوضوء

| | |
|-----|-------------------------------------|
| ١٩٢ | في فضل الصلوات |
| ١٩٣ | في بيان أهوال القيامة |
| ١٩٥ | في صفة جهنم والميزان |
| ١٩٥ | في بيان ذم الكبر والعجب |
| ١٩٦ | في الإحسان إلى اليتيم واجتناب الظلم |
| ١٩٨ | في تحريم أكل الحرام |
| ٢٠٠ | في النهي عن الربا |
| ٢٠٢ | في حقوق العبد |
| ٢٠٣ | في ذم اتباع الهوى وفي بيان الزهد |
| ٢٠٧ | في صفة الجنة ومراتب أهلها |
| ٢١٠ | في الصبر والرضا والقناعة |
| ٢١٢ | في فضل التوكل |
| ٢١٣ | في فضل المسجد |
| ٢١٤ | في الرياضة وفضل أهل الكرامة |
| ٢١٧ | في الإيمان والتفاني |
| ٢١٩ | في النهي عن الغيبة والنميمة |
| ٢٢٢ | في بيان عداوة الشيطان |
| ٢٢٣ | في بيان المحبة ومحاسبة النفس |
| ٢٢٥ | في بيان تلبيس الحق بالباطل |
| ٢٢٧ | في فضل صلاة الجمعة |
| ٢٢٨ | في فضل صلاة الليل |

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٢٣٠ | في عقوبة علماء الدنيا |
| ٢٣١ | في فضل حسن الخلق |
| ٢٣٣ | في الضحك والبكاء واللباس |
| ٢٣٤ | في فضل القرآن وفضل العلم والعلماء |
| ٢٣٥ | في فضل الصلاة والزكاة |
| ٢٣٦ | في بر الوالدين وحقوق الأولاد |
| ٢٣٨ | في حقوق الجوار والإحسان للمساكين |
| ٢٤٠ | في عقوبة شارب الخمر |
| ٢٤١ | في معراج النبي ﷺ |
| ٢٤٣ | في فضل الجمعة |
| ٢٤٤ | في حق الزوجة على الزوج |
| ٢٤٦ | في حق الزوج على الزوجة |
| ٢٤٨ | في فضل الجهاد |
| ٢٤٩ | في مكر الشيطان |
| ٢٥١ | في بيان السماع |
| ٢٥٣ | في النهي عن البدعة واتباع الهوى |
| ٢٥٤ | في فصل في النهي عن آفة اللهم |
| ٢٥٥ | في فضل رجب |
| ٢٥٦ | في فضل شعبان المبارك |
| ٢٥٨ | في فضل رمضان المعظم |
| ٢٥٩ | في فضل ليلة القدر |
| ٢٦٠ | في فضل العيد |
| ٢٦١ | في فضل عشر ذي الحجة |
| ٢٦٣ | في فضل عاشوراء |
| ٢٦٤ | في فضل ضيافة الفقراء |
| ٢٦٥ | في الكلام على المنارة والقبر |
| ٢٦٧ | في التخويف من عذاب جهنم |
| ٢٦٩ | في الميزان والصراف |
| ٢٧٠ | في وفاة النبي ﷺ |
| ٢٧٩ | في شهر رمضان |